عصر الخلفاء الراشدين (1)

أبوبكر الصديق رضي الله عنه

شخصيته وعصره

تأليف

الدكتور علي محمد الصَّلاَّبي

1422هـ - 2001م



الإهداء

الى العلماء العاملين ، والدعاة المخلصين،

وطلاب العلم المجتهدين،وأبناء الأمة الغيورين

أهدي هذا الكتاب سائلاً المولى عز وجل بأسمائه

الحسنى وصفاته العُلا أن يكون خالصاً

لوجهه الكريم

قال تعالى: .... فمن كَاَن ْيرُجو ِلقَاءِ ربه فلْيَعمل عَملاً صاِلحاً ولا يُشرك بِعبَادَةِ ربه أحدَاً.
(سورَة الكهف، آية 110

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} (سورة آل عمران : آية 102).

{يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} (سورة النساء، الآية: 1).

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا⇦يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا⇦} (سورة الأحزاب، الآيتان:70،71).

أما بعد؛

يارب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضى.

كان شغفي بسيرة الصديق ◄ منذ الطفولة وكنت شديد الولع بالقراءة والسماع لسيرته العطرة ومضت الأيام ومرت السنون، وأكرمني الله تعالى بالدراسة في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة وكان من ضمن المواد المقررة في مادة التاريخ الاسلامي تاريخ الخلفاء الراشدين، وقد طلب الاستاذ المحاضر أن ندرس كتاب البداية والنهاية لابن كثير، والكامل لابن الأثير في ترجمة الصديق ولم يكتفي بكتاب التاريخ الاسلامي للشيخ محمود شاكر، فكانت لتلك الارشادات أثر بعد توفيق الله تعالى للتعرف على حقيقة شخصية الصديق وعصره، وعندما سجلت بجامعة ام درمان الاسلامية رسالة الدكتوراه وكان عنوانها فقه التمكين في القرآن الكريم وأثره في تاريخ الأمة، استقر البحث على ثلاثة أبواب، فقه التمكين في القرآن الكريم، فقه التمكين في السيرة النبوية، فقه التمكين عند الخلفاء الراشدين، وكانت أوراق البحث قد جاوزت 1200 صفحة، فرأى الدكتور المشرف أن نكتفي بفقه التمكين في القرآن الكريم وعدّل الخطة على هذا الأساس، وقدم مقترحه لمجلس الكلية فوافق على ذلك، وقال لي بعد المناقشة بإذن الله تعالى تستطيع أن تخرج، فقه التمكين في السيرة النبوية، وفقه التمكين عند الخلفاء الراشدين ككتب، لعل الله ينفع بها المسلمون، وبتوفيق الله وبسبب ماساقه من أسباب تطوّر كتاب فقه التمكين في السيرة النبوية وأصبح السيرة النبوية عرض لوقائعها وتحليل لأحداثها.

وهذا الكتاب الذي أقدم له الآن "أبوبكر الصديق شخصيته وعصره" يرجع الفضل في كتابته للمولى عز وجل ثم للأستاذ الدكتور المشرف على رسالة الدكتواره، ومجموعة خيرة من الدعاة والشيوخ والعلماء الذين شجعوني على الاهتمام بدراسة عصر الخلفاء الراشدين، حتى أن أحدهم قال لي أصبحت هناك فجوة كبيرة بين أبناء المسلمين وذلك العصر وحدث خلط في ترتيب الأولويات حيث

صار الشباب يلمّون بسير الدعاة والعلماء والمصلحين أكثر من إلمامهم بسيرة الخلفاء الراشدين، وأن ذلك العصر غني بالجوانب السياسية، والإعلامية والأخلاقية والاقتصادية والفكرية، والجهادية والفقهية التي نحن في أشد الحاجة إليها، ونحتاج أن نتتبع مؤسسات الدولة الاسلامية، وكيف تطورت مع مسيرة الزمن، كالمؤسسة القضائية، والمالية، ونظام الخلافة، والمؤسسة العسكرية، وتعيين الولاة وماحدث من اجتهادات في ذلك العصر عندما احتكت الأمة الاسلامية بالحضارة الفارسية والرومانية، وطبيعة حركة الفتوحات الاسلامية.

كانت بداية هذا الكتاب فكرة إراد الله لها أن تصبح حقيقة، فأخذ الله بيدي وسهل لي الأمور، وذلل الصعاب، وأعانني على الوصول للمراجع والمصادر، وأصبح هذا العمل همّاً سيطر على مشاعري، وتفكيري وأحاسيسي، فجعلته من أهدافي الكبرى، فسهرت له الليالي ولم أبالي بالعوائق ولا الصعاب والفضل لله تعالى الذي أعانني على ذلك قال الشاعر:

الهول في دربي وفي هدفي
وأظَل أمضي غير مضطربِ
ماكنت من نفسي على خَوَرٍ
أو كنت من ربي على رَيبِ
مافي المنايا ماأحاذره
الله ملءُ القصد والأَرَبِ

إن تاريخ عصر الخلفاء الراشدين مليئ بالدروس والعبر وهي متناثرة في بطون الكتب والمصادر والمراجع سواء كانت تاريخية أو حديثية أو فقهية أو أدبية أو تفسيرية، فنحن في أشد الحاجة لجمعها وترتيبها وتوثيقها وتحليلها، فتاريخ الخلافة إذا أحسن عرضه يغذي الأرواح ويهذب النفوس، وينور العقول، ويشحذ الهمم، ويقدم الدروس، ويسهل العبر، وينضج الأفكار، فنستفيد من ذلك في إعداد الجيل المسلم وتربيته على منهاج النبوة، ونتعرف على حياة وعصر من قال الله فيهم: {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (سورة التوبة، آية: 100).

وقال تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا....} (سورة الفتح، الآية: 29).

وقال فيهم رسول الله ﷺ: (خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم...)(1).

وقال فيهم عبدالله بن مسعود: من كان مستناً فليستن بمن قد مات فإن الحي لاتؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد، كانوا والله أفضل هذه الأمة، وابرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من

---

(1) مسلم (1963/4-1964).

أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم(1)، فالصحابة قاموا بتطبيق أحكام الإسلام ونشروه في مشارق الأرض ومغاربها فعصرهم خير العصور، فهم الذين علموا الأمة القرآن الكريم ورووا لها السنن والآثار عن رسول الله ﷺ، فتاريخهم هو الكنز الذي حفظ مدخرات الأمة في الفكر والثقافة والعلم والجهاد، وحركة الفتوحات والتعامل مع الشعوب والأمم، فتجد الأجيال في هذا التاريخ المجيد مايعينها على مواصلة رحلتها في الحياة على منهج صحيح وهدي رشيد وتعرف من خلاله حقيقة رسالتها ودورها في دنيا الناس، وقد عرف الأعداء من اليهود والنصارى والعلمانيين والماركسيين والروافض وغيرهم خطورة التاريخ وأثره في صياغة النفوس وتفجير الطاقات، فعملوا على تشويهه وتزويره وتحريفه وتشكيك الأجيال فيه، فقد لعبت فيه الأيدي الخبيثة في الماضي وحرفته أيدي المستشرقين في الحاضر، ففي الماضي تعرض تاريخنا الاسلامي للتحريف والتشويه على ايدي اليهود والنصارى والمجوس والرافضة الذين اظهروا الاسلام وأبطنوا الكفر إذ رأوا أن كيد الاسلام على الحيلة أشد نكاية فيه وفي أهله، فأخذوا يدبرون المؤامرات في الخفاء لهدم الاسلام وتفتيت دولته، وتفريق اتباعه، وذلك عن طريق تزييف الأخبار، وترويج الشائعات الكاذبة وتدبير الفتن ضد الخليفة الراشد عثمان بن عفان ◀ فقام عبدالله بن سبأ اليهودي وأتباعه بالدور الكبير في إشعال نار الفتنة التي أودت بحياة الخليفة الراشدي الثالث، وكذلك إشعال المعركة بين المسلمين في موقعة الجمل بعد أن كاد يتم الصلح بين الطرفين، الى غير ذلك من التحركات والمؤامرات التي قصد بها النيل من الاسلام واتباعه هذا بالإضافة الى الروايات الضعيفة والموضوعة الواردة في مصادر التاريخ الاسلامي -وهي تشوه سيرة الصحابة- كرواية التحكيم التي تتهم بعضهم بالخداع أو الغباء أو التعلق بالجاه والسلطة والهدف من وضع هذه الروايات الطعن في الاسلام بطريقة غير مباشرة لأن الاسلام لم يؤده لنا إلا الصحابة، والتشكيك في ثقتهم وعدالتهم هو تشكيك بالتالي في صحة الاسلام... هذا وقد استغل المستشرقون هذه الروايات الموضوعة -ومن سار على نهجهم من اذنابهم ممن يتكلمون بلغتنا، فركزوا على التوسع في البحث فيها، بل كانت مغنماً تسابقوا الى اقتسامه مادامت تخدم أغراضهم للطعن في الاسلام والنيل من أعراض الصحابة الكرام(2)...لقد قام الأعداء بصياغة تاريخنا وفق مناهجهم المنحرفة وتأثر بعض المؤرخين المسلمين بتلك المناهج المستوردة فأصبحت كتابتهم في العقود الماضية ترجمة حرفية لما كتبه المستشرقون والماركسيون والروافض واليهود وغيرهم من أعداء الأمة، وذلك لأنهم لايملكون تصوراً حقيقياً لروح الاسلام وطبيعته، حيث إن كتابة التاريخ الاسلامي تحتاج حتماً الى إدراك طبيعة الفكرة الاسلامية، ونظرتها الى الحياة والأحداث والأشياء، ووزنها للقيم التي عليها الناس، وتأثيرها في الأرواح والأفكار وصياغتها للنفوس والشخصيات ... ودراسة الشخصيات الاسلامية على وجه خاص- تقتضي إدراكاً كاملاً لطبيعة استجابة الشخصيات الاسلامية لإيحاءات الفكرة الاسلامية، فإن طريقة استجابة تلك

---

(1) شرح السنّة للبغوي (214/1-215).

(2) انظر: مقدمة الاستاذ سيد قطب لكتاب خالد بن الوليد للشيخ صادق عرجون، ص5.

الشخصيات لهذه الإيحات، مسألة هامة في صياغة شعورها بالقيم وسلوكها في الحياة، وتفاعلها مع الأحداث، ولن يدرك طبيعة الفكرة الاسلامية، ولا طريقة استجابة الشخصيات الاسلامية لها إلا كاتب مؤمن بهذه الفكرة مستجيب لها من أعماقه لكي يكون ادراكه لها ناشئاً عن تلبس ضميره بها، لا عن رصدها من الخارج، بالذهن المتجرد البارد(1).

وبسبب غياب ذلك المنهج وقع بعض المعاصرين من المؤرخين والكتّاب والأدباء في تشويه صورة سلف هذه الأمة، وأظهروا الصحابة بمظهر التكالب على الدنيا وسفك الدماء للوصول الى الغايات التي ينشدوها من الاستيلاء على الحكم والتنكيل بخصومهم، فتناولوا ذلك بعيداً عن فهم حقيقة الجيل الذي تربى في مدرسة المصطفى ⇦ وبعيداً عن تأثرهم بالاسلام وعقيدته وأصوله وبسبب تلك الكتابات نشأ جيل لايعرف عن تاريخه إلا الحروب وسفك الدماء والخداع والمكر والحيلة، وأصبحت صورة الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً مشوهة مما جعل بعض المسلمين يردد تلك الأباطيل دون أن يعي الحقيقة، بل مجرد أن تلك الأباطيل مسطرة في كتاب زيد أو عمرو من الكتّاب(2).

إن إعادة كتابة التاريخ الاسلامي بمنهج أهل السنّة والجماعة أصبح ضرورة ملحة لأبناء الأمة وقد بدأت أقلام الباحثين والكتّاب تصيغ التاريخ من هذا المنظور وهم لم يبدوا من فراغ، لأن الله حمى دينه وحمى أمته فقيض لتاريخ الصحابة من يحقق وقائعه ويصحح أخباره ويكشف الستار عن الوضاعين والكذابين من ملقفي الأخبار ويرجع الفضل في ذلك التصحيح الى الله ثم أهل السنّة والجماعة من أئمة الفقهاء والمحدثين الذين حفلت مصادرهم بالكثير من الإشارات والروايات الصحيحة التي تنقض وترد كل ماوضعه الملفقون(3). وقد سرت على أصول منهج أهل السنّة، فعكفت على المصادر والمراجع القديمة والحديثة ولم أعتمد في دراسة عصر الخلفاء الراشدين على الطبري وابن الأثير والذهبي وكُتب التاريخ المشهورة فقط، بل رجعت الى كتب التفسير، والحديث وشروحها، وكتب التراجم والجرح والتعديل ، وكتب الفقه، فوجدت فيها مادة تاريخية غزيرة يصعب الوقوف على حقيقتها في الكتب التاريخية المعروفة والمتداولة وقد بدأت بالكتابة عن أبي بكر الصديق ◄ متناولاً شخصيته وعصره، فهو سيد الخلفاء الراشدين وقد حثنا رسول الله ⇦ وأمرنا باتباع سنتهم والإهتداء بهديهم. قال ⇦ : (عليكم بسنتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي)(4)، فأبوبكر ◄ سيد الصديقين وخير الصالحين بعد الأنبياء والمرسلين، فهو أفضل أصحاب رسول الله ⇦ وأعلمهم وأشرفهم على الاطلاق فقد قال فيه رسول الله ⇦ : (لو كنت متخذاً خليلاً لأتخذت أبابكر، ولكن أخي وصاحبي)(5)، وقد

---

(1) انظر: مقدمة الاستاذ سيد قطب لكتاب خالد بن الوليد للشيخ صادق عرجون، ص5.

(2) انظر: ابوبكر رضي الله عنه، محمد مال الله، ص15،16.

(3) انظر: المنهج الاسلامي لكتابة التاريخ، د. محمد المحزون، ص4.

(4) سنن ابي داود (201/4)؛ الترمذي (44/5) حديث حسن صحيح.

(5) البخاري، كتاب فضائل الصحابة رقم 3656.

قال فيه رسول الله ﷺ وفي عمر أيضاً: (اقتدوا بالذين من بعدي: أبي بكر وعمر)(1)، وشهد له عمر بن الخطاب رضي الله عنهما بقوله: أنت سيدنا وخيرنا وأحبنا الى رسول الله ﷺ(2)، وقال عنه علي بن أبي طالب ◀ لما ساله ابنه محمد بن الحنفية بقوله : أي الناس خير بعد رسول الله ؟ قال ◀: أبو بكر(3).

إن حياة أبي بكر ◀ صفحة مشرقة من التاريخ الاسلامي، الذي بهر كل تاريخ وفاقه، والذي لم تَحْوِ تواريخ الأمم مجتمعة بعض ماحوى من الشرف والمجد، والإخلاص والجهاد والدعوة لأجل المبادئ السامية لذلك قمت بتتبع أخباره وحياته وعصره في المراجع والمصادر واستخرجتها من بطون الكتب وقمت بترتيبها وتنسيقها وتوثيقها وتحليلها لكي تصبح في متناول الدعاة والخطباء والعلماء والساسة ورجال الفكر وقادة الجيوش، وحكام الأمة وطلاب العلم، لعلهم يستفيدون منها في حياتهم، ويقتدون بها في أعمالهم فيكرمهم الله بالفوز في الدارين.

لقد تتبعت صفات الصديق وفضائله ومشاهده في ميادين الجهاد مع رسول الله ﷺ، وحياته في المجتمع المدني ومواقفه العظيمة بعد وفاة رسول الله وكيف ثبت الله به الأمة؟ وسلطت الأضواء على سقيفة بني ساعدة وماتم فيها من حوار ونقاش بين المهاجرين والأنصار، ونسفت الشبهات والأباطيل التي ألصقت بتاريخ سقيفة بني ساعدة، من قِبَل المستشرقين والروافض ومن سار على نهجهم، وبينت موقف الصديق من إرسال جيش اسامة ومافي هذا الحدث العظيم من دروس في الشورى، والدعوة والحزم، والاقتداء برسول الله ﷺ، وردّ الخلاف إلى الكتاب والسنّة، وآداب الجهاد وصورته المشرقة التي تمثلت في تعاليم الصديق لجيش أسامة رضي الله عنهم، وقد قمت بتوضيح أحداث الردة، فتحدثت عن أسبابها وأصنافها، وبدأيتها في أواخر العصر النبوي، وموقف الصديق منها في خلافته، وخطته التي وضعها للقضاء عليها وأساليبه التي استخدمها في حروبه ضد المرتدين، وقد وقفت مع مؤهلات الصديق التي توفرت في شخصيته والتي استطاع بها -بعد توفيق الله- أن يسحق حركة الردة، وقد تحدثت عن عصره وكيف تحققت شروط التمكين وأسبابه وصفات جيل التمكين في ذلك العهد الذي قاده الصديق؟ وأشرت إلى سياسة الصديق في محاربة التدخل الأجنبي في دولته، وذكرت أهم نتائج أحداث الردة، من تميز الإسلام عما عداه من تصورات وأفكار وسلوك، وضرورة وجود قاعدة صلبة للمجتمع، وتجهيز الجزيرة كقاعدة للفتوح الإسلامية، والإعداد القيادي لحركة الفتوح، والفقه الواقعي للردة، وسنة الله في إحاقة المكر السيء بأهله، واستقرار النظام الإداري في الجزيرة، وتكلمت عن فتوحات الصديق، فبينت خطته في فتح العراق، وسرت مع خالد في فتوحاته حتى ضم جنوب العراق

---

(1) صحيح سنن الترمذي للألباني (200/3).

(2) البخاري، كتاب فضائل الصحابة رقم 3668.

(3) البخاري، كتاب فضائل الصحابة رقم 3671.

وشماله بمعاركه العظيمة التي ظهرت فيها بطولات نادرة من المثنى بن حارثة والقعقاع بن عمرو وخالد بن الوليد وجيوشهم المظفرة، فكانت تلك المعارك الخطوة الأولى لمعارك الفتوح الكبرى التي جاءت بعد عصر الصديق والتي أنارت تاريخ الأمة في مشوارها الطويل لنشر دين الله والجهاد في سبيله قال الشاعر:

فالقادسية مايزال حديثُها
عِبَرٌ تضيء بأطيب الألوان
تحكي مفاخَرنا وتذكر مجدَنا
فتجيبها حِطّين بالمنوال
صفحات مجد في الخلود سطورُها
دان الرجال لها بغير جدال
وكأنني بابن الوليد وجنده
وبكلِّ كفٍّ لامع الأنصال
نشروا على أرض الخليل لواءهم
فغدا يظلّلُ أطهر الأطلال
وعن اليمين أبو عبيدة قد أتى
وأتى صلاح الدين صوبَ شمال
يَسعى إليهم قد شَرَوْا أرواحهم
لله بعد تسابق لقتال
فهم الأعزّةُ في كتاب خالدٍ
مابعد قول الله من أقوال

هذا وقد حرصت على بيان وإظهار الرسائل التي كانت بين الصديق وخالد بن الوليد، وعياض بن غنم رضي الله عنهم المتعلقة بفتوح العراق، وقد فصلت الخطوات التي سار عليها أبو بكر في فتوحات الشام، فتحدثت عن عزمه في غزو الروم ومشورته لكبار الصحابة في جهادهم، وعن استنفاره لأهل اليمن، وخطته في إرسال الجيوش ووصاياه للقادة الذين بعثهم لفتح الشام، ومتابعته لهم وإمدادهم بالرجال والعتاد، والتموين، ونقله لخالد من ميادين العراق إلى قيادة جيوش الشام، وماتمّ في معركة اجنادين واليرموك، واستخرجت من حركة الفتوحات بعض معالم الصديق في سياسته الخارجية، من بذر هيبة الدولة في نفوس الأمم، ومواصلة الجهاد الذي أمر به النبي ﷺ، والعدل بين الأمم المفتوحة والرفق بأهلها، ورفع الإكراه عنهم وإزالة الحواجز البشرية بينهم وبين الدعاة ووضحت بعض معالم التخطيط الحربي عند الصديق، في عدم الإيغال في بلاد العدو حتى تدين للمسلمين، وعن قدرته في التعبئة وحشد القوات، وتنظيم عملية الإمداد المستمرة، وتحديد هدف الحرب، وإعطاؤه الأفضلية لمسارح العمليات، وعزله لميدان المعركة، وتطويره لأساليب القتال، وحرصه على سلامة خطوط الإتصال بينه وبين قادة الجيوش، وبينت حقوق الله، والقادة والجنود من خلال وصاياه التي ألزم بها قادة حربه، وتحدثت عن

استخلافه لعمر وعن أيامه الأخيرة في هذه الحياة الفانية وعن آخر ماتكلم به الصديق في هذه الدنيا بقول الله تعالى:{ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ}.

لقد حاولت في هذا الكتاب أن أبين كيف فهم الصديق الإسلام، وعاش به في دنيا الناس؟ وكيف أثر في مجريات الأمور في عصره؟ وتحدثت عن جوانب شخصيته المتعددة، السياسية، والعسكرية، والإدارية، وعن حياته في المجتمع الإسلامي لما كان أحد رعاياه وبعد أن أصبح خليفة رسول الله، وركزت على دور أبي بكر الصديق كرجل دولة مميز من الطراز النادر وعن سياسته الداخلية والخارجية وأساليبه الإدارية، وعن مؤسسة القضاء كيف كانت بدايتها في عصره لكي نستطيع متابعة التطورات التي حدثت لها ولغيرها من مؤسسات الدولة عبر العصر الراشدي والتاريخ الإسلامي.

إن هذا الكتاب يبرهن على عظمة أبي بكر الصديق ◄، ويثبت للقارئ بأنه كان عظيماً بإيمانه، عظيما بعلمه، عظيما بفكره، عظيما ببيانه، عظيما بخلقه، عظيماً بآثاره فقد جمع الصديق العظمة من أطرافها وكانت عظمته مستمدة من فهمه، وتطبيقه للإسلام وصلته بالله العظيمة واتباعه الشديد لهدي الرسول الكريم ⇨، إن أبا بكر ◄ من الأئمة الذين يرسمون للناس خط سيرهم ويتأسى بهم الناس بأقوالهم وأفعالهم في هذه الحياة، فسيرته من أقوى مصادر الإيمان، والعاطفة الإسلامية الصحيحة والفهم السليم لهذا الدين، فلذلك اجتهدت في دراسة شخصيته وعصره حسب وسعي وطاقتي، غير مدع عصمة، ولامتبرئ من زلة ووجه الله الكبير لاغيره قصدت، وثوابه أردت، وهو المسئول في المعونة عليه، والانتفاع به إنه طيب الأسماء، سميع الدعاء،هذا وقد قمت بتقسيم هذا الكتاب إلى مقدمة وأربعة فصول وخلاصة وهي كالآتي:

المبحث الثاني: جهاد الصديق لأهل الردة.
المبحث الثالث: الهجوم الشامل على المرتدين.
المبحث الرابع: مسيلمة الكذاب وبنو حنيفة.
المبحث الخامس: أهم العبر والدروس والفوائد من حروب الردة.
الفصل الرابع: فتوحات الصديق واستخلافه لعمر ووفاته ويشتمل على أربعة مباحث:
المبحث الأول: فتوحات العراق.
المبحث الثاني: فتوحات الصديق بالشام.
المبحث الثالث: أهم الدروس والعبر والفوائد.
المبحث الرابع: استخلاف الصديق لعمر بن الخطاب ووفاته.

هذا وقد انتهيت من هذا الكتاب يوم الجمعة بعد صلاة العشاء بتاريخ 5 من شهر المحرم لعام 1422هـ الموافق 30/مارس من عام 2001م والفضل لله من قبل ومن بعد وأسأله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل قبولا حسناً وأن يكرمنا برفقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين قال تعالى: {مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (سورة فاطر، آية:2).

ولايسعني في نهاية هذه المقدمة إلا أن أقف بقلب خاشع منيب بين يدي الله عزوجل، معترفاً بفضله وكرمه وجوده، فهو المتفضِّل وهو المكرم، وهو المعين، وهو الموفِّق، فله الحمد على مامنّ به عليّ أولاً وآخراً، وأسأله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل عملي لوجهه خالصاً، ولعباده نافعاً، وأن يثيبني على كل حرف كتبته ويجعله في ميزان حسناتي، وأن يثيب إخواني الذين أعانوني بكافة مايملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع، ونرجو من كل مسلم يطلع على هذا الكتاب أن لاينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه {رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ}.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين.

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورضوانه
علي محمد محمد الصَّلاَّبي
1422/1/5هـ

الفصل الأول

ابو بكر الصديق رضي الله عنه في مكة

المبحث الأول

إسمه ونسبه وكنيته وألقابه وصفته

وأسرته وحياته في الجاهلية

أولاً: أسمه ونسبه وكنيته وألقابه:

هو عبدالله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي(1)، ويلتقي مع النبي ﷺ في النسب في الجد السادس مرة بن كعب(2) ويكنى بأبي بكر، وهي من البكر وهو الفتى من الإبل، والجمع بكارة وأبكر وقد سمَّت العرب بكراً، وهو أبو قبيلة عظيمة(3) ولُقب أبوبكر ◄، بألقاب عديدة كلها تدل على سمو المكانة، وعلو المنزلة وشرف الحسب منها:

1- العتيق:

لقبّه به النبي ﷺ؛ فقد قال له ﷺ: (أنت عتيقُ الله من النار) فسُمِّيَ عتيقاً(4) وفي رواية عائشة قالت: دخل أبو بكر الصديق على رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: (أبشر فأنت عتيق الله من النار)(5)، فمن يؤمئذ سُمي عتيقاً(6)، وقد ذكر المؤرخون أسباباً كثيرة لهذا اللقب، فقد قيل: إنما سمي عتيقاً لجمال وجهه(7)، وقيل لأنه كان قديماً في الخير(8)، وقيل سمي عتيقاً لعتاقة وجهه(9)، وقيل إن

---

(1) الإصابة لابن حجر (145،144/4).

(2) سيرة وحياة الصديق، مجدي فتحي السيد، ص27.

(3) ابو بكر الصديق، علي الطنطاوي، ص46.

(4) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (280/15) إسناده صحيح.

(5) رواه الترمذي رقم 3679 في المناقب وصححه الألباني في السلسلة 1574.

(6) أصحاب الرسول، محمود المصري (59/1).

(7) المعجم الكبير للطبراني (52/1).

(8) الإصابة (146/1).

أم أبي بكر كان لايعيش لها ولد، فلما ولدته استقبلت به الكعبة وقالت: اللهم إن هذا عتيقك من الموت فهبه لي(1)، ولا مانع للجمع بين بعض هذه الأقوال، فأبي بكر جميل الوجه، حسن النسب، صاحب يد سابقة الى الخير، وهو عتيق الله من النار بفضل بشارة النبي ﷺ له(2).

2- الصديق:

لقبه به النبي ﷺ ففي حديث أنس ◀ أنه قال: أن النبي ﷺ صعد أحداً، وأبوبكر، وعمر، وعثمان، فوجف بهم فقال: اثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان(3).

وقد لقب بالصديق لكثرة تصديقه للنبي ﷺ، وفي هذا تروي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فتقول: لما أسري بالنبي ﷺ الى المسجد الاقصى، أصبح يتحدث الناس بذلك، فارتد ناسُ، كانوا آمنوا به وصدقوه وسعى رجال الى أبي بكر، فقالوا: هل لك الى صاحبك؟ يزعم أن أسري به الليله الى بيت المقدس! قال: وقد قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن قال ذلك فقد صدق. قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة الى بيت المقدس، وجاء قبل أن يصبح؟!! قال نعم ، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة، فلذلك سمي أبوبكر الصديق(4).

وقد أجمعت الأمة على تسميته بالصديق لأنه بادر الى تصديق الرسول ﷺ ولازمه الصدق فلم تقع منه هناة أبداً(5)، فقد اتصف بهذا اللقب ومدحه الشعراء:

قال ابو محجن الثقفي:

وسُمِّيت صديقاً وكل مهاجر
سواك يُسَمَّى باسمه غير منكر
سبقت الى الاسلام والله شاهد
وكنت جليساً في العريش المشهر(6)

وأنشد الأصمعي(7)، فقال:

ولكني أحبّ بكل قلبي
وأعلم أن ذاك من الصواب

---

(9) المعجم الكبير (53/1)، الإصابة (146/1).

(1) الكنى والاسماء للدولابي (6/1) نقلاً عن خطب أبي بكر، محمد أحمد عاشور، جمال الكومي، ص11.

(2) تاريخ الدعوة الى الاسلام في عهد الخلفاء الراشدين، د.يسري محمد هاني، ص36.

(3) البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي، باب فضل ابي بكر (11/5).

(4) اخرجه الحاكم (62/3-63) وصححه وأقره الذهبي.

(5) الطبقات الكبرى (172/2).

(6) أسد الغابة (310/3).

(7) هو عبدالملك بن قريب الباهلي رواية العرب ونابغة الدنيا في الحفظ.

رسول الله والصدِّيق حبّاً
به أرجو غداً حسن الثواب(1)

3- الصاحب:

لقبه به الله عز وجل في القرآن الكريم: {إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (التوبة، الآية:40) وقد أجمع العلماء على أن الصاحب المقصود هنا هو أبوبكر ◄(2)، فعن أنس أن أبا بكر حدثه فقال: قلت للنبي ﷺ وهو في الغار: لو أن أحدهم نظر الى قدميه لأبصرنا تحت قدميه!! فقال النبي ﷺ: (ياأبابكر ماظنك باثنين الله ثالثهما)(3).

قال الحافظ رحمه الله: ومن أعظم مناقبه قول الله تعالى: {إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا......... إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}فإن المراد بصاحبه هنا أبوبكر بلا منازع(4)، والاحاديث في كونه كان معه في الغار كثيرة شهيرة ولم يشركه في المنقبة غيره(5).

4- الأتقى:

لقبه به الله عز وجل في القرآن العظيم في قوله تعالى: {وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى} (سورة الليل، الآية: 17). وسيأتي بيان ذلك في حديثنا عن المعذبين في الله الذين أعتقهم أبوبكر ◄.

5- الأواه:

لقب أبو بكر بالأواه وهو لقب يدل على الخوف والوجل والخشية من الله تعالى، فعن ابراهيم النخعي قال: كان أبوبكر يسمى بالأواه لرأفته ورحمته(6).

ثانياً: مولده وصفته الخَلْقية:

لم يختلف العلماء في أنه ولد بعد عام الفيل، وإنما اختلفوا في المدة التي كانت بعد عام الفيل، فبعضهم قال بثلاث سنين، وبعضهم ذكر بأنه ولد بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر، وآخرون قالوا بسنتين وأشهر ولم يحددوا عدد الأشهر(7)، وقد نشأ نشأة كريمة طيبة في حضن أبوين لهما الكرامة

---

(1) أبوبكر الصديق للطنطاوي، ص49.
(2) تاريخ الدعوة في عهد الخلفاء، يسري محمد هاني، ص39.
(3) البخاري، فضائل الصحابة رقم 3653.
(4) الإصابة في تمييز الصحابة (148/4).
(5) نفس المصدر (148/4).
(6) الطبقات الكبرى (171/3).
(7) سيرة وحياة الصديق، مجدي فتحي السيد، ص29؛ تاريخ الخلفاء، ص56.

والعز في قومهما مما جعل أبا بكر ينشأ كريم النفس، عزيز المكانة في قومه(1).

وأما صفته الخِلقية، فقد كان يوصف بالبياض في اللون، والنحافة في البدن، وفي هذا يقول قيس بن أبي حازم: دخلت على أبي بكر، وكان رجلاً نحيفاً، خفيف اللحم أبيض(2)، وقد وصفه أصحاب السير من افواه الرواة فقالوا: أن أبا بكر ◀ اتصف بأنه: كان أبيض تخالطه صُفرة، حسن القامة، نحيفاً خفيف العارضين، أجنأ(3)، لايستمسك إزاره يسترخي عن حقويه(4) رقيقاً معروق الوجه(5)، غائر العينين(6)، اقنى(7)، حمش الساقين(8)، ممحوص الفخذين(9)، وكان ناتئ الجبهة، عاري الأشجاع(10) ويخضب لحيته، وشيبه بالحناء والكتم(11).

ثالثاً: أسرته:

أما والده، فهو عثمان بن عامر بن عمرو يكنى أبا قحافة أسلم يوم الفتح، وأقبل به الصديق على رسول الله ﷺ فقال: يأبا بكر هلا تركته، حتى نأتيه، فقال أبوبكر: هوأولى أن يأتيك يارسول الله، فأسلم أبو قحافة وبايع رسول الله ﷺ(12)، ويروى أن رسول الله ﷺ هنأ أبا بكر بإسلام أبيه(13)، وقال لأبي بكر غيروا هذا من شعره، فقد كان رأس أبي قحافة مثل الثغامة(14).

وفي هذا الخبر منهج نبوي كريم سنَّهُ النبي ﷺ في توقير كبار السن واحترامهم ويؤكد ذلك قوله ﷺ (ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا)(15).

وأما والدة الصديق، فهي سلمى بن صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم وكنيتها أم الخير

---

(1) تاريخ الدعوة الى الاسلام في عهد الخلفاء الراشدين، ص30.

(2) الطبقات لابن سعد (188/3) إسناده صحيح.

(3) الجنأ: ميل في الظهر.

(4) حقويه: الحقو هومعقد الإزار، يعني الخصر.

(5) المعروق: هو قليل اللحم.

(6) غائر العينين: دخلت في الرأس.

(7) أقنى واستقنى: حَفَظَ حياءه ولزمه.

(8) حمش الساقين: دقيق الساقين.

(9) الممحوص: هو الشديد الخلق في الفخذين، مع قلة اللحم بهما.

(10) الأشاجع: هو مفاصل الاصابع.

(11) البخاري رقم 5895، ومسلم 2341، أبوبكر الصديق، مجدي السيد، ص32.

(12) الإصابة (375/4).

(13) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص577.

(14) الإصابة (375/4)، الثغامة نبات أبيض يشبه به الشيب.

(15) الترمذي، كتاب البر، باب 15.

أسلمت مبكراً وسيأتي تفصيل ذلك في واقعة إلحاح أبي بكر على النبي ⇨ على الظهور بمكة(1).

وأما زوجاته؛ فقد تزوج ◄ من أربع نسوة أنجبن له ثلاثة ذكور وثلاث إناث وهنّ على التوالي:

1- قتيلة بنت عبدالعزى بن أسعد بن جابر ابن مالك:

اختلف في إسلامها(2)، وهي والدة عبدالله وأسماء وكان أبوبكر طلقها في الجاهلية- وقد جاءت بهدايا فيها أقط وسمن الى إبنتها أسماء بنت أبي بكر بالمدينة، فابت أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها فأرسلت الى عائشة تسأل النبي ⇨ فقال النبي ⇨: (لِتُدْخِلها ولتقبل هديتها)، وأنزل الله عز وجل {لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} (سورة المتحنة، الآية:8) أي لايمنعكم الله من البر والإحسان وفعل الخير الى الكفار الذين سالموكم ولم يقاتلوكم في الدين كالنساء، والضعفة منهم كصلة الرحم، ونفع الجار، والضيافة، ولم يخرجوكم من دياركم، ولايمنعكم أيضاً من أن تعدلوا فيما بينكم وبينهم، بأداء مالهم من الحق، كالوفاء لهم بالوعود، وأداء الأمانة، وإيفاء أثمان المشتريات كاملة غير منقوصة، إن الله يحب العادلين، ويرضى عنهم، ويمقت الظالمين ويعاقبهم(3).

2- أم رومان بنت عامر بن عويمر:

من بني كنانة بن خزيمة، مات عنها زوجها الحارث بن سخبرة بمكة، فتزوجها أبوبكر، وأسلمت قديماً، وبايعت، وهاجرت الى المدينة وهي والدة عبدالرحمن وعائشة رضي الله عنهم، وتوفيت في عهد النبي ⇨ بالمدينة سنة ست من الهجرة(4).

3- أسماء بن عُمَيس بن معبد بن الحارث:

أم عبدالله، من المهاجرات الأوائل، أسلمت قديماً قبل دخول دار الأرقم، وبايعت الرسول ⇨، وهاجر بها زوجها جعفر بن أبي طالب ◄ الى الحبشة، ثم هاجرت معه الى المدينة فاستشهد يوم مؤتة، وتزوجها الصديق فولدت له محمداً روى عنها من الصحابة : عمر، وأبو موسى، وعبدالله بن عباس، وأم الفضل امرأة العباس، فكانت أكرم الناس أصهاراً فمن أصهارها: رسول الله وحمزة، والعباس وغيرهم(5).

4- حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير:

---

(1) تاريخ الدعوة في عهد الخلفاء الراشدين، ص30.

(2) الطبقات لابن سعد (169/3) (249/8).

(3) تفسير المنير للزحيلي (135/28).

(4) الإصابة (391/8).

(5) سير أعلام النبلاء (282/2).

الانصارية، الخزرجية وهي التي ولدت لأبي بكر أم كلثوم بعد وفاته وقد أقام عندها الصديق بالسُّنح(1).

وأما أولاد أبي بكر رضي الله عنهم فهم:

1- عبدالرحمن بن أبي بكر:

أسن ولد أبي بكر: أسلم يوم الحديبية، وحسن إسلامه وصحب رسول الله وقد إشتهر بالشجاعة وله مواقف محمودة ومشهودة بعد إسلامه(2).

2- عبدالله بن أبي بكر:

صاحب الدور العظيم في الهجرة، فقد كان يبقى في النهار بين أهل مكة يسمع أخبارهم ثم يتسلل في الليل الى الغار لينقل هذه الأخبار لرسول الله وأبيه، فإذا جاء الصبح عاد الى مكة، وقد أصيب بسهم يوم الطائف، فماطله حتى مات شهيداً بالمدينة في خلافة الصديق(3).

3- محمد بن أبي بكر:

أمه أسماء بنت عميس، ولد عام حجة الوداع وكان من فتيان قريش، عاش في حجر علي بن أبي طالب، وولاه مصر وبها قتل(4).

4- أسماء بنت أبي بكر:

ذات النطاقين أسن من عائشة، سماها رسول الله ⇨ ذات النطاقين لأنها صنعت لرسول الله ⇨ ولأبيها سفرة لما هاجرا فلم تجد ماتشدها به فشقت نطاقها، وشدت به السفرة فسماها النبي ⇨ بذلك، وهي زوجة الزبير بن العوام وهاجرت الى المدينة وهي حامل بعبدالله بن الزبير فولدته بعد الهجرة فكان أول مولود في الاسلام بعدالهجرة، بلغت مائة سنة ولم ينكر من عقلها شيء، ولم يسقط لها سن، روى لها عن الرسول ⇨ ستة وخمسون حديثاً، روى عنها عبدالله بن عباس، وأبناؤها عبدالله وعروة، وعبدالله بن أبي مُلَيْكة وغيرهم وكانت جوادة منفقة توفيت بمكة سنة 73هـ(5).

5- عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها:

الصديقة بنت الصديق تزوجها رسول الله ⇨ وهي بنت ست سنين، ودخل بها وهي بنت تسع

---

(1) منازل بني الحارث بن الخزرج في عوالي المدينة.

(2) البداية والنهاية (346/6).

(3) نسب قريش، ص275.

(4) نسب قريش، ص277، الاستيعاب (1366/3).

(5) سير أعلام النبلاء (287/2).

سنين، وأعرس بها في شوال، وهي أعلم النساء، كناها رسول الله ﷺ أم عبدالله، وكان حبه لها مثالاً للزوجية الصالحة(1).

كان الشعبي يحدث عن مسروق أنه إذا تحدث عن أم المؤمنين عائشة يقول: حدثتني الصديقة بنت الصديق المبرأة حبيبة حبيب الله ﷺ، ومسندها يبلغ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث (2210) اتفق البخاري ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثاً، وانفرد البخاري باربعة وخمسين، وانفرد مسلم بتسعة وستين(2)، وعاشت ثلاثاً وستين سنة وأشهراً، وتوفيت سنة 57هـ، ولا ذرية لها(3).

6- أم كلثوم بنت أبي بكر:

أمها حبيبة بنت خارجة. قال أبوبكر لأم المؤمنين عائشة حين حضرته الوفاة: إنما هما أخواك وأختاك فقالت: هذه أسماء قد عرفتها فمن الاخرى قال: ذو بطن بنت خارجة، قد ألقي في خلدي أنها جارية فكانت كما قال: وولدت بعد موته(4)، تزوجها طلحة بن عبيدالله وقتل عنها يوم الجمل، وحجت بها عائشة في عدتها فأخرجتها الى مكة(5).

هذه هي أسرة الصديق المباركة التي أكرمها الله بالاسلام وقد اختص بهذا الفضل أبو بكر ◀ من بين الصحابة وقد قال العلماء: لايعرف أربعة متناسلون بعضهم من بعض صحبوا رسول الله ﷺ، إلا آل أبي بكر الصديق وهم: عبدالله بن الزبير، أمه أسماء بنت أبي بكر بن ابي قحافة، فهؤلاء الأربعة صحابة متناسلون، وأيضاً محمد بن عبدالرحمن بن أبي بكر بن أبي قحافة ◀(6).

وليس من الصحابة من أسلم أبوه وأمه وأولاده، وأدركوا النبي ﷺ وأدركه أيضاً بنو أولاده: إلا أبوبكر من جهة الرجال والنساء -وقد بينت ذلك- فكلهم آمنوا بالنبي وصحبوه، فهذا بيت الصديق، فأهله أهل إيمان، ليس فيهم منافق ولايعرف في الصحابة مثل هذا لغير بيت أبي بكر رضي الله عنهم.

وكان يقال: للإيمان بيوت وللنفاق بيوت؛ فبيت أبي بكر من بيوت الإيمان من المهاجرين، وبني النجار من بيوت الإيمان من الانصار(7).

رابعاً: الرصيد الخُلقي للصديق في المجتمع الجاهلي:

كان أبو بكر الصديق في الجاهلية من وجهاء قريش وأشرافهم وأحد رؤسائهم، وذلك أن الشرف

---

(1) تاريخ الدعوة في عهد الخلفاء الراشدين، ص34.
(2) سير أعلام النبلاء (135/2،139).
(3) طبقات ابن سعد (58/58)؛ المنذر (5/4).
(4) الطبقات (195/3).
(5) نسب قريش، ص278؛ الإصابة (466/8)؛ تاريخ الدعوة في عهد الخلفاء الراشدين، ص35.
(6) ابوبكر الصديق، محمد رشيد رض، ص7.
(7) ابوبكر الصديق (280/1) لمحمد مال الله مستخرج من منهاج السنّة لابن تيمية.

في قريش قد انتهى قبل ظهور الاسلام الى عشرة رهط من عشرة أبطن، فالعباس ابن عبدالمطلب من بني هاشم، وكان يسقي الحجيج في الجاهلية، وبقي له ذلك في الاسلام وابو سفيان بن حرب من بني أمية، وكان عنده العقاب راية قريش، فإذا لم تجتمع قريش على واحد رأسوه هو وقدموه، والحارث بن عامر بن بني نوفل، وكانت إليه الرفادة، وهي ماتخرجه قريش من أموالها، وترفد به منقطع السبيل، وعثمان بن طلحة بن زمعة بن الاسود من بني أسد، وكانت إليه المشورة فلا يُجمع على أمر حتى يعرضوه عليه، فإن وافق ولاهم عليه، وإلا تخيّر وكانو له أعواناً، وأبو بكر الصديق من بني تيم وكانت إليه الأشناق وهي الديات والمغارم، فكان إذا حمل شيئاً فسأل فيه قريشاً صدقوه، وامضوا حمالة من نهض معه، وإن احتملها غيره خذلوه، وخالد بن الوليد من بني مخزوم، وكانت إليه القبة والأعنة، أما القبة فإنهم كانوا يضربونها ثم يجمعون إليها مايجهزون به الجيش، وأما الأعنة فإنه كان على خيل قريش في الحرب. وعمر بن الخطاب من بني عدي، وكانت إليه السفارة في الجاهلية، وصفوان بن أمية من بني جمح، وكانت إليه الأزلام. والحارث بن قيس من بني سهم، وكانت إليه الحكومة وأموال آلهتهم(1).

لقد كان الصديق في المجتمع الجاهلي شريفاً من أشراف قريش وكان من خيارهم، ويستعينون به فيما نابهم وكانت له بمكة ضيافات لايفعلها أحد(2).

وقد اشتهر بعدة أمور منها:

1- العلم بالأنساب:

فهو عالم من علماء الأنساب وأخبار العرب، وله في ذلك باع طويل جعله أستاذ الكثير من النسابين كعقيل بن أبي طالب وغيره، وكانت له مزية حببته إلى قلوب العرب وهي: أنه لم يكن يعيب الأنساب، ولايذكر المثالب بخلاف غيره(3)، فقد كان أنسب قريش لقريش وأعلم قريش بها، وبما فيها من خير وشر(4)، وفي هذا تروي عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال: إن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها(5).

2-تجارته:

كان في الجاهلية تاجراً، ودخل بُصرى من أرض الشام للتجارة وارتحل بين البلدان وكان رأس ماله اربعين ألف درهم وكان ينفق من ماله بسخاء وكرم عُرف به في الجاهلية(6).

---

(1) أشهر مشاهير الاسلام (10/1).

(2) نهاية الأرب (10/19) نقلاً عن تاريخ الدعوة، يسري محمد ، ص42.

(3) التهذيب (183/2).

(4) الإصابة (146/4).

(5) مسلم رقم 2490؛ الطبراني في الكبير رقم 3582.

(6) أبوبكر الصديق، علي الطنطاوي، ص66؛ التاريخ الاسلامي، الخلفاء الراشدون، محمد شاكر، ص30.

3-موضع الألفة بين قومه وميل القلوب إليه:

فقد ذكر ابن اسحاق في السيرة أنهم كانوا يحبونه، ويألفونه، ويعترفون له بالفضل العظيم، والخلق الكريم، وكانوا يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر لعلمه وتجارته وحسن مجالسته(1)، وقد قال له ابن الدغنه حين لقيه مهاجراً، إنك لتزين العشيرة، وتعين على النوائب، وتكسب المعدوم وتفعل المعروف(2)، وقد علّق ابن حجر على قول ابن الدغنه فقال: ومن أعظم مناقبه أن ابن الدغنه سيد القارة لما رد عليه جواره بمكة وصفه بنظير ماوصفت به خديجة النبي ﷺ لما بعث، فتواردا فيها نعت واحد من غير أن يتواطأ على ذلك، وهذه غاية في مدحه لأن صفات النبي ﷺ منذ نشأ كانت أكمل الصفات(3).

4-لم يشرب الخمر في الجاهلية:

فقد كان أعف الناس في الجاهلية(4)، حتى إنه حرّم على نفسه الخمر قبل الإسلام، فقد قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: حرم أبو بكر الخمر على نفسه، فلم يشربها في جاهلية ولا في إسلام، وذلك أنه مرّ برجل سكران يضع يده في العذرة، ويدنيها من فيه، فإذا وجد ريحها صرفها عنه. فقال أبو بكر: إن هذا لايدري ما يصنع، وهو يجد ريحها فحماها(5)، وفي رواية لعائشة ... ولقد ترك هو وعثمان شرب الخمر في الجاهلية(6).

وقد أجاب الصديق من سأله هل شربت الخمر في الجاهلية؟ بقوله: أعوذ بالله، فقيل: ولم؟ قال: كنت أصون عرضي، وأحفظ مروءتي، فإن من شرب الخمر كان مضيّعاً لعرضه ومروءته(7).

5-ولم يسجد لصنم:

ولم يسجد الصديق رضي الله عنه لصنم قط، قال أبو بكر رضي الله عنه في مجمع من أصحاب رسول الله ﷺ، ما سجدت لصنم قط، وذلك أني لما ناهزت الحلم أخذني أبو قحافة بيدي فانطلق بي إلى مخدع فيه الأصنام، فقال لي: هذه آلهتك الشّمُ العوالي، وخلاني وذهب، فدنوت من الصنم وقلت: إني جائع فأطعمني فلم يُجبني فقلت: إني عار فأكسني، فلم يجبني، فألقيت عليه صخرة فخرَّ لوجهه() وهكذا حمله خلقه الحميد وعقله النير، وفطرته السليمة على الترفع عن كل شيء يخدش المروءة وينقص

---

(1) السيرة النبوية لابن هشام (371/1).

(2) البخاري، كتاب مناقب الأنصار رقم 3905.

(3) الإصابة (147/4).

(4) تاريخ الخلفاء للسيوطي ، ص48.

(5) سيرة وحياة الصديق، مجدي فتحي ، ص34.

(6) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص49.

(7) نفس المصدر، ص49.

الكرامة من أفعال الجاهليين، وأخلاقهم التي تجانب الفطرة السليمة، وتتنافى مع العقل الراجح، والرجولة الصادقة(1)، فلا عجب على من كانت هذه أخلاقه أن ينضم لموكب دعوة الحق ويحتل فيها الصدارة ويكون بعد إسلامه أفضل رجل بعد رسول الله ، فقد قال : خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا(2)، وقد علق الأستاذ رفيق العظم عن حياة الصديق في الجاهلية فقال: اللهم إن امرأً نشأ بين الأوثان حيث لادين زاجر، ولاشرع للنفوس قائد، وهذا مكانه من الفضيلة، واستمساكه بعرى العفة والمروءة ... لجدير بأن يتلقى الإسلام بملء الفؤاد، ويكون أول مؤمن بهادي العباد، مبادر بإسلامه لإرغام أنوف أهل الكبر والعناد، ممهد سبيل الاهتداء بدين الله القويم، الذي يجتث أصول الرذائل من نفوس المهتدين بهديه، المستمسكين بمتين سببه(3).

لله در الصديق رضي الله عنه فقد كان يحمل رصيداً ضخماً من القيم الرفيعة، والأخلاق الحميدة والسجايا الكريمة في المجتمع القرشي قبل الإسلام وقد شهد له أهل مكة بتقدمه على غيره في عالم الأخلاق والقيم والمثل ولم يُعلمْ أحد من قريش عاب أبا بكر بعيب ولانقصه ولا استرذله كما كانوا يفعلون بضعفاء المؤمنين ولم يكن له عندهم عيب إلا الإيمان بالله ورسوله(4).

---

(1) أصحاب الرسول، محمود المصري (58/1)؛ الخلفاء، محمود شاكر، ص31.

(2) تاريخ الدعوة في عهد الخلفاء الراشدين، ص43.

(3) أشهر مشاهير الاسلام (12/1).

(4) منهاج السنّة لابن تيمية (289،288/4) نقلاً عن كتاب (ابوبكر الصديق أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة) لمحمد عبدالرحمن قاسم، ص18،19.

المبحث الثاني

إسلامه ودعوته وابتلاؤه وهجرته الأولى

أولاً: إسلامه:

كان إسلام أبي بكر رضي الله عنه وليد رحلة إيمانية طويلة في البحث عن الدين الحق الذي ينسجم مع الفطر السليمة ويلبي رغباتها، ويتفق مع العقول الراجحة، والبصائر النافذة، فقد كان بحكم عمله التجاري كثير الأسفار، قَطَعَ الفيافي، والصحاري، والمدن والقرى في الجزيرة العربية وتنقل من شمالها إلى جنوبها، وشرقها إلى غربها، واتصل اتصالاً وثيقاً، بأصحاب الديانات المختلفة وبخاصة النصرانية، وكان كثير الإنصات لكلمات النفر الذين حملوا راية التوحيد، راية البحث عن الدين القويم(1)، فقد حدّث عن نفسه فقال: كنت جالساً بفناء الكعبة، وكان زيد بن عمرو بن نُفيْل قاعداً، فمرّ ابن أبي الصَّلْتِ، فقال: كيف أصبحت يا باغي الخير؟ قال: بخير، قال: وهل وجدت؟ قال: لا، فقال:

كل دين يوم القيامة إلا
ما مضَى في الحنيفية بُور(2)

أما إنّ هذا النبي الذي ينتظر منا أو منكم، قال: ولم أكن سمعت قبل ذلك بنبي يُنتظر ويُبعث، قال: فخرجت أريد ورقة بن نوفل –وكان كثير النظر إلى السماء، كثير همهمة الصّدر– فاستوقفته، ثم قصصت عليه الحديث، فقال: نعم يا ابن أخي، إنّا أهل الكتب والعلوم، ألا إن هذا النبي الذي يُنتظر من أوسط العرب نسباً –ولي علم بالنسب– وقومك أوسط العرب نسباً. قلت: ياعمّ ومايقول النبي؟ قال: يقول ماقيل له؟ إلا إنّه لايظلم، ولايُظلم ولا يُظالم، فلما بُعث رسول الله ﷺ آمنت به

---

(1) مواقف الصديق مع النبي بمكة، د.عاطف لماضة، ص6.

(2) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص52.

وصدّقته(1)، وكان يسمع مايقوله أمية بن أبي الصلت:

في مثل قوله: ألا نبي لنا منا فيخبرنا

مابعد غايتنا من رأس مجرانا

إني أعوذ بمن حج الحجيج له

والرافعون لدين الله أركانا

لقد عايش أبو بكر هذه الفترة، ببصيرة نافذة، وعقل نير، و فكر متألق، وذهن وقاد، وذكاء حاد، وتأمل رزين ملأ عليه أقطار نفسه، ولذلك حفظ الكثير من هذه الأشعار، ومن تلك الأخبار، فعندما سأل الرسول الكريم ﷺ أصحابه يوماً –وفيهم أبو بكر الصديق قائلاً: من منكم يحفظ كلام –قيس بن ساعدة– في سوق عكاظ؟ فسكت الصحابة، ونطق الصديق قائلاً: إني أحفظها يارسول الله،

كنت حاضراً يومها في سوق عكاظ، ومن فوق جمله الأورق وقف قيس– يقول: أيها الناس: اسمعوا وَعُوا، وإذا وعيتم فانتفعوا إن من عاش مات ومن مات فات، وكل ماهو آتٍ، آت، إن في السماء لخبراً، وإنَّ في الأرض لعبراً، مهاد موضوع، وسقف مرفوع، ونجوم تمور، وبحار لن تغور، ليل داج، وسماء ذات أبراج!!

يُقسم قيس، إن لله ديناً هو أحب إليه من دينكم الذي أنتم عليه. مالي أرى الناس يذهبون، ولايرجعون، أرضوا بالمقام فأقاموا، أم تركوا فناموا ثم أنشد قائلاً:

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر

لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصائر

ورأيت قومي نحوها يسعى الأكابر والأصاغر

أيقنت أني لامحالة حيث صار القوم صائر(2)

وبهذا الترتيب الممتاز، وبهذه الذاكرة الحديدية، وهي ذاكرة استوعبت هذه المعاني يقص الصديق ماقاله قس بن ساعدة على رسول الله وأصحابه(3).

وقد رأى رؤيا لما كان في الشام فقصّها على بحيرا الراهب(4)، فقال له: من أين أنت؟ قال: من مكة، قال: من أيها؟ قال: من قريش، قال: فأي شيء أنت؟ قال: تاجر، قال: إن صدق الله رؤياك، فإنه يبعث بنبي من قومك، تكون وزيره في حياته، وخليفته بعد موته، فأسر ذلك أبو بكر في

(1) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص52.

(2) مواقف الصديق مع النبي بمكة، ص8.

(3) نفس المصدر ، ص9.

(4) الخلفاء الراشدون، محمود شاكر، ص34.

نفسه(1).

لقد كان إسلام الصديق بعد بحث وتنقيب وانتظار وقد ساعده على تلبية دعوة الإسلام معرفته العميقة وصلته القوية بالنبي ﷺ في الجاهلية، فعندما نزل الوحي على النبي ﷺ أخذ يدعو الأفراد إلى الله وقع أول اختياره على الصديق رضي الله عنه، فهو صاحبه الذي يعرفه قبل البعثة بدماثة خلقه، وكريم سجاياه، كما يعرف أبو بكر النبي بصدقه وأمانته، وأخلاقه التي تمنعه من الكذب على الناس فكيف يكذب على الله(2)؟

فعندما فاتحه رسول الله ﷺ بدعوة الله وقال له: .. إني رسول الله ونبيه، بعثني إلى الله وحده لاشريك له، ولاتعبد غيره، والموالاة على طاعته(3)، فأسلم الصديق ولم يتلعثم وتقدم ولم يتأخر، وعاهد رسول الله على نصرته فقام بما تعهد ولهذا قال رسول الله ﷺ في حقه: إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدق، وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟ مرتين(4).

وبذلك كان الصديق رضي الله عنه أول من أسلم من الرجال الأحرار، قال إبراهيم النخعي، وحسان بن ثابت وابن عباس وأسماء بنت أبي بكر: أول من أسلم أبو بكر. وقال يوسف بن يعقوب الماجشون: أدركت أبي ومشيختنا: محمد بن المنكدر، وربيعة بن عبدالرحمن، وصالح بن كيسان وسعد بن ابراهيم وعثمان بن محمد الأخنس وهم لايشكون أن أول القوم إسلاماً أبو بكر(5)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أول من صلى أبو بكر ثم تمثل بأبيات حسان:

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة
فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها
إلا النبي وأوفاها بما حملا
الثاني التالي المحمود مشهده
وأول الناس صدق الرسلا(6)
وثاني أثنين في الغار المنيف وقد
طاف العدو به إذ صعد الجبلا
وعاش حميداً لأمر الله متبعاً

(1) نفس المصدر، ص34.
(2) تاريخ الدعوة في عهد الخلفاء الراشدين، ص44.
(3) السيرة النبوية لابن هشام (286/1)؛ السيرة الحلبية (440/1).
(4) البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي رقم 3661.
(5) صفة الصفوة (237/1)؛ احمد فضائل الصحابة (206/3).
(6) ديوان حسان بن ثابت تحقيق وليد عرفات (17/1).

بهدى صاحبه الماضي وما انتقلا

وكان حب رسول الله قد علموا

من البرية لم يعدل به رجلا(1)

هذا وقد ناقش العلماء قضية إسلام الصديق، وهل كان رضي الله عنه أول من أسلم، فمنهم من جزم بذلك، ومنهم من جزم بأن علياً أول من أسلم، ومنهم من جعل زيد بن حارثة أول من أسلم، وقد جمع الامام ابن كثير رحمه الله بين الأقوال جمعاً طيباً فقال: (والجمع بين الأقوال كلها : أن خديجة أول من أسلم من النساء

-وقيل الرجال أيضاً- وأول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة، وأول من أسلم من الغلمان علي بن أبي طالب -فإنه كان صغيراً دون البلوغ على المشهور- وهؤلاء كانوا آنذاك أهل بيته ⇨، وأول من أسلم من الرجال الأحرار أبوبكر الصديق، وإسلامه كان أنفع من اسلام من تقدم ذكرهم إذ كان صدراً معظماً، ورئيساً في قريش مكرماً، وصاحب المال وداعية الى الاسلام وكان محبباً متآلفاً يبذل المال في طاعة الله ورسوله) ثم قال: (وقد أجاب أبو حنيفة ◄ بالجمع بين هذه الأقوال فإن أول من أسلم من الرجال الأحرار أبوبكر، ومن النساء خديجة ومن الموالي زيد بن حارثة ومن الغلمان علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين(2).

وبإسلام أبي بكر عم السرور قلب النبي ⇨ حيث تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: فلما فرغ من كلامه -أي النبي ⇨- أسلم أبوبكر فانطلق رسول الله ⇨ من عنده، ومابين الأخشبين أحد أكثر سروراً منه بإسلام أبي بكر(3). لقد كان ابوبكر كنزاً من الكنوز ادخره الله تعالى لنبيه وكان من أحب قريش لقريش، فذلك الخلق السمح الذي وهبه الله تعالى إياه جعله من الموطئين أكنافاً، من الذين يألفون ويؤلفون، والخلق السمح وحده عنصر كافٍ لإلفة القوم وهو الذي قال فيه عليه الصلاة والسلام: أرحم أمتي بأمتي ابوبكر(4)، وعلم الأنساب عند العرب، وعلم التاريخ هما أهم العلوم عندهم، ولدى أبي بكر الصديق ◄ النصيب الأوفر منهما، وقريش تعترف للصديق بأنه أ علمها بأنسابها وأعلمها بتاريخها، ومافيه من خير وشر، فالطبقة المثقفة ترتاد مجلس أبي بكر لتنهل منه علماً لاتجده عند غيره غزارة ووفرة وسعة، ومن أجل هذا كان الشباب النابهون والفتيان الأذكياء يرتادون مجلسه دائماً، إنهم الصفوة الفكرية المثقفة التي تود أن تلقى عنده هذه العلوم، وهذا جانب آخر من جوانب عظمته، وطبقة رجال الأعمال، ورجال المال في مكة، هي كذلك من رواد مجلس الصديق، فهو إن لم يكن

---

(1) ديوان حسان (17/1).

(2) البداية والنهاية (26/3 و28).

(3) البداية والنهاية (29/3).

(4) الألباني في صحيح الجامع الصغير (8/2) ج3.

التاجر الأول في مكة، فهو من أشهر تجارها، فأرباب المصالح هم كذلك قصاده، ولطيبته وحسن خلقه تجد عوام الناس يرتادون بيته، فهو المضياف الدمث الخلق، الذي يفرح بضيوفه، ويأنس بهم، فكل طبقات المجتمع المكي تجد حظها عند الصديق رضوان الله عليه(1)، كان رصيده الأدبي والعلمي والاجتماعي في المجتمع المكي عظيماً، ولذلك عندما تحرك في دعوته للاسلام استجاب له صفوة من خيرة الخلق(2).

ثانياً: دعوته:

أسلم الصديق ◄ وحمل الدعوة مع رسول الله ⇨، وتعلم من رسول الله ⇨ أن الاسلام دين العمل والدعوة والجهاد، وأن الايمان لايكمل حتى يهب المسلم نفسه ومايملك لله رب العالمين(3)، قال تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ⇨لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ⇨} (سورة الأنعام، الآيتان: 162،163) وقد كان الصديق كثير الحركة للدعوة الجديدة، وكثير البركة اينما تحرك أثر وحقق مكاسب عظيمة للاسلام، وقد كان نموذجاً حياً في تطبيقه لقول الله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} (سورة النحل، الآية: 125).

كان تحرك الصديق ◄ في الدعوة الى الله يوضح صورة من صور الايمان بهذا الدين والاستجابة لله ورسوله صورة المؤمن الذي لايقر له قرار، ولا يهدأ له بال، حتى يحقق في دنيا الناس ماآمن به، دون أن تكون انطلاقته دفعة عاطفية مؤقتة سرعان ماتخمد وتذبل وتزول، وقد بقي نشاط أبي بكر وحماسه للاسلام الى أن توفاه الله عز وجل لم يفتر أو يضعف أويمّل أو يعجز(4).

كانت أول ثمار الصديق الدعوية دخول صفوة من خيرة الخلق في الاسلام وهم: الزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيدالله، وسعد بن أبي وقاص، وعثمان بن مضعون، وأبو عبيدة بن الجراح، وعبدالرحمن بن عوف، وأبوسلمة بن عبدالأسد، والأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنهم، وجاء بهؤلاء الصحابة الكرام فرادى فأسلموا بين يدى رسول الله⇨، فكانوا الدعامات الاولى التي قام عليها صرح الدعوة، وكانوا العدة الأولى في تقوية جانب رسول الله ⇨ وبهم أعزه الله و أيده وتتابع الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، رجالاً ونساءً، وكان كل من هؤلاء الطلائع داعية الى الاسلام، وأقبل معهم رعيل السابقين، الواحد والإثنان، والجماعة القليلة، فكانوا على قلة عددهم كتيبة الدعوة، وحصن الرسالة لم يسبقهم سابق ولا يلحق بهم لاحق في تاريخ الاسلام(5).

---

(1) انظر: التربية القيادية للغضبان (115/1).

(2) نفس المصدر (116/1).

(3) تاريخ الدعوة في عهد الخلفاء الراشدين، ص87.

(4) الوحي وتبليغ الرسالة، د. يحيى اليحيى، ص62.

(5) محمد رسول الله، عرجون (533/1).

وإهتم الصديق بأسرته فأسلمت أسماء وعائشة وعبدالله وزوجته أم رومان وخادمه عامر بن فهيرة، لقد كانت الصفات الحميدة والخلال العظيمة والأخلاق الكريمة التي تجسدت في شخصية الصديق عاملاً مؤثراً في الناس عند دعوتهم للاسلام، فقد كان رصيده الخلقي ضخماً في قومه وكبيراً في عشيرته، فقد كان رجلاً، مؤلفاً لقومه، محبباً لهم، سهلاً، أنسب قريش لقريش بل كان فرد زمانه في هذا الفن، وكان رئيساً مكرماً سخياً يبذل المال، وكانت له بمكة ضيافات لايفعلها أحد، وكان رجلاً بليغاً(1).

إن هذه الأخلاق والصفات الحميدة لابد منها للدعاة إلى الله وإلا أصبحت دعوتهم للناس صيحة في واد، ونفخة في رماد، وسيرة الصديق وهي تفسر لنا فهمه للإسلام وكيف عاش به في حياته حريٌّ بالدعاة أن يتأسوا بها في دعوة الأفراد إلى الله تعالى.

ثالثاً: ابتلاؤه:

إن سنة الابتلاء ماضية في الأفراد والجماعات والشعوب والأمم والدول، وقد مضت هذه السنة في الصحابة الكرام وتحملوا رضوان الله عليهم من البلاء ماتنوء به الرواسي الشامخات وبذلوا أموالهم ودماءهم في سبيل الله، وبلغ بهم الجهد ماشاء الله أن يبلغ، ولم يسلم أشراف المسلمين من هذا الابتلاء، فلقد أوذي أبو بكر ◄ وحُثي على رأسه التراب، وضرب في المسجد الحرام بالنعال، حتى مايعرف وجهه من أنفه، وحمل الى بيته في ثوبه وهو مابين الحياة والموت(2)، فقد روت عائشة رضي الله تعالى عنها أنه لما اجتمع أصحاب النبي ⇨ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً الحّ أبو بكر ◄ على رسول الله ⇨ في الظهور، فقال: يا أبا بكر إنّا قليل. فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله ⇨، وتفرق المسلمين في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته، وقام أبو بكر في الناس خطيباً ورسول الله ⇨ جالس، فكان أوّل خطيب دعا إلى الله تعالى وإلى رسوله ⇨، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين، فضربوه في نواحي المسجد ضرباً شديداً، ووطئ أبو بكر وضرب ضرباً شديداً، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويُحرِّفهما لوجهه، ونزا على بطن أبي بكر ◄، حتى مايعرف وجهه من أنفه، وجاءت بنو تميم يتعادون فأجلت المشركين عن أبي بكر، وحَمَلت بنو تميم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله، ولايشكون في موته، ثم رجعت بنو تميم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة (والده) وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب، فتكلم آخر النهار فقال: مافعل رسول الله ⇨؟ فمسّوا منه بألسنتهم وعذلوه، وقالوا لأمه أم الخير: انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه. فلما خلت به ألحت عليه، وجعل يقول: مافعل رسول الله ⇨؟ فقالت: والله مالي علم بصاحبك. فقال: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه، فخرجت

---

(1) السيرة الحلبية (442/1).

(2) التمكين للأمة الاسلامية ، ص243.

حتى جاءت أم جميل، فقالت: إن أبا بكر سألك عن محمد بن عبدالله. فقالت: ما أعرف أبا بكر ولامحمد بن عبدالله، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك. قالت: نعم، فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دَنِفاً، فدنت أم جميل، وأعلنت بالصياح، وقالت: والله إن قوماً نالوا منك لأهل فسق وكفر إنني لأرجوا أن ينتقم الله لك منهم، قال: فما فعل رسول الله ⇨؟ قالت: هذه أمك تسمع، قال: فلاشيء عليك منها، قالت: سالم صالح، قال: أين هو؟ قالت: في دار الأرقم. قال: فإن لله علي أن لا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتي رسول الله ⇨، فأمهلتا حتى إذا هدأت الرِّجل وسكن الناس، خرجتا به يتكئ عليهما، حتى أدخلتاه على رسول الله ⇨، فقال: فأكب عليه رسول الله فقبله، وأكب عليه المسلمون، ورقّ له رسول الله ⇨ رقة شديدة فقال أبو بكر : بأبي وأمي يارسول الله، ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي، وهذه أمي برة بولدها وأنت مبارك فادعها إلى الله، وأدع الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار. قال: فدعا لها رسول الله ⇨ ودعاها إلى الله فأسلمت(1).

إن هذا الحدث العظيم في طياته دروس وعبر لكل مسلم حريص على الاقتداء بهؤلاء الصحب الكرام ونحاول أن نستخرج بعض هذه الدروس التي منها:

1-حرص الصديق على إعلان الإسلام واظهاره أمام الكفار وهذا يدل على قوة إيمانه وشجاعته وقد تحمل الأذى العظيم حتى أن قومه كانوا لايشكون في موته، لقد أشرب قلبه حب الله ورسوله أكثر من نفسه، ولم يعد يهمه -بعد إسلامه- إلا أن تعلوا راية التوحيد، ويرتفع النداء لا إله إلا الله محمد رسول الله في أرجاء مكة حتى لو كان الثمن حياته، وكاد أبو بكر فعلاً أن يدفع حياته ثمناً لعقيدته وإسلامه.

2-إصرار أبي بكر على الظهور بدعوة الإسلام وسط الطغيان الجاهلي، رغبة في إعلام الناس بذلك الدين الذي خالطت بشاشته القلوب، رغم علمه بالأذى الذي قد يتعرض له وصحبه وماكان ذلك إلا لأنه قد خرج من حظ نفسه.

3-حب الله ورسوله تغلغل في قلب أبي بكر على حبه لنفسه، بدليل أنه رغم ما ألم به، كان أول ما سأل عنه: مافعل رسول الله ⇨، قبل أن يطعم أو يشرب، وأقسم أنه لن يفعل حتى يأتي رسول الله ⇨، وهكذا يجب أن يكون حب الله ورسوله ⇨ عند كل مسلم أحب إليه مما سواهما حتى لو كلفه ذ لك نفسه وماله(2).

4-إن العصبية القبلية كان لها في ذلك الحين دور في توجيه الأحداث والتعامل مع الأفراد حتى مع اختلاف العقيدة، فهذه قبيلة أبي بكر تهدد بقتل عتبة إن مات أبو بكر(3).

---

(1) السيرة النبوية لابن كثير (439/1-441)؛ البداية والنهاية (30/3).

(2) استخلاف أبي بكر الصديق، د. جمال عبدالهادي ، ص131،132.

(3) محنة المسلمين في عهد المكي، د. سليمان السويكت، ص79.

5-تظهر مواقف رائعة لأم جميل بنت الخطاب، توضح لنا كيف تربت على حُبَّ الدعوة والحرص عليها، وعلى الحركة لهذا الدين، فحينما سألتها أم أبي بكر عن رسول الله قالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبدالله، فهذا تصرف حذر سليم، لأن أم الخير لم تكن ساعتئذ مسلمة وأم جميل كانت تخفي إسلامها، ولاتود أن تعلم به أم الخير، وفي ذات الوقت أخفت عنها مكان الرسول ⇨ مخافة أن تكون عيناً لقريش(1)، وفي نفس الوقت حرصت أم جميل أن تطمئن على سلامة الصديق ولذلك عرضت على أم الخير أن تصحبها إلى ابنها وعندما وصلت للصديق كانت أم جميل في غاية الحيطة والحذر من أن تتسرب منها أي معلومة عن مكان رسول الله وأبلغت الصديق بأن رسول الله سالم صالح(2)، ويتجلى الموقف الحذر من الجاهلية التي تفتن الناس عن دينهم في خروج الثلاثة عندما: هدأت الرجل وسكت الناس(3).

6-يظهر بر الصديق بأمه وحرصه على هدايتها في قوله لرسول الله ⇨: هذه أمي برة بولدها وأنت مبارك فادعها إلى الله وادع الله لها عسى أن يستنقذها بك من النار. إنه الخوف من عذاب الله والرغبة في رضاه وجنته، ولقد دعا رسول الله ⇨ لأم أبي بكر بالهداية فاستجاب الله له، وأسلمت أم أبي بكر وأصبحت من ضمن الجماعة المؤمنة المباركة التي تسعى لنشر دين الله تعالى، ونلمس رحمة الله بعباده ونلحظ من خلال الحدث قانون المنحة بعد المحنة.

7-إن من أكثر الصحابة الذين تعرضوا لمحنة الأذى والفتنة بعد رسول الله ⇨ أبا بكر الصديق ◄ نظراً لصحبته الخاصة له، والتصاقه به في المواطن التي كان يتعرض فيها للأذى من قومه فينبري الصديق مدافعاً عنه وفادياً إياه بنفسه، فيصيبه من أذى القوم وسفههم، هذا مع أن الصديق يعتبر من كبار رجال قريش المعروفين بالعقل والإحسان(4).

رابعاً: دفاعه عن النبي ⇨:

من صفات الصديق التي تميز بها: الجرأة والشجاعة، فقد كان لايهاب أحداً في الحق، ولاتأخذه لومة لائم في نصرة دين الله والعمل له والدفاع عن رسوله ⇨ فعن عروة بن الزبير قال سألت ابن عمرو بن العاص بأن يخبرني بأشد شئ صنعه المشركون بالنبي ⇨ فقال: بينما النبي ⇨ يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبيه ودفعه عن النبي ⇨(5) وقال: (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله) (غافر، آية:28). وفي رواية

---

(1) السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحماية، ص50.

(2) السيرة النبوية، قراءة لجوانب الحذر والحماية، ص51.

(3) استخلاف الصديق ، د.جمال عبدالهادي ، ص132.

(4) محنة المسلمين في العهد المكي، ص75.

(5) البخاري رقم 3856.

أنس رضي الله عنه أنه قال: لقد ضربوا رسول الله ﷺ مرة حتى غشي عليه فقام أبو بكر ◄ فجعل ينادي ويلكم (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله)(1). وفي حديث أسماء: فأتى الصريخ إلى أبي بكر، فقال: أدرك صاحبك. قالت فخرج من عندنا وله غدائر أربع وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله. فلهوا عنه وأقبلوا على أبي بكر، فرجع إلينا أبو بكر فجعل لايمس شيئاً من غدائره إلا رجع معه(2)، وأما في حديث علي بن أبي طالب ◄ فقد قام خطيباً وقال: يا أيها الناس من أشجع الناس؟ فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين فقال: أما إني ما بارزني أحد إلا انتصفت منه، ولكن هو أبو بكر، إنا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً فقلنا من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوي عليه أحد من المشركين، فوالله مادنا منه أحد إلا أبو بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله ﷺ، لايهوي إليه أحد إلاّ أهوى إليه فهذا أشجع الناس. قال ولقد رأيت رسول الله وأخذته قريش فهذا يُحادُه، وهذا يتلتله ويقولون أنت جعلت الآلهة إلهاً واحداً فوالله مادنا منه أحد إلا أبو بكر يضرب ويجاهد هذا ويتلتل هذا، وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ثم رفع على بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته، ثم قال: أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم هو؟ فبكت القوم، فقال عليّ: فوالله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه(3).

هذه صورة مشرقة تبين طبيعة الصراع بين الحق والباطل والهدى والضلال، والإيمان والكفر، وتوضح ماتحمله الصديق من الألم والعذاب في سبيل الله تعالى كما تعطي ملامح واضحة عن شخصيته الفذة، وشجاعته النادرة التي شهد له بها الإمام علي ◄ في خلافته أي بعد عقود من الزمن، وقد تأثر علي ◄ حتى بكى وأبكى.

إن الصديق ◄ أول من أوذي في سبيل الله بعد رسول الله، وأول من دافع عن رسول الله، وأول من دعا الى الله(4)، وكانت الذراع اليمنى لرسول الله ﷺ، وتفرغ للدعوة وملازمة رسول الله وإعانته على من يدخلون الدعوة في تربيتهم وتعليمهم وإكرامهم، فهذا ابوذر ◄ يقص لنا حديثه عن إسلامه ففيه: (...فقال أبوبكر: ائذن لي يارسول الله في طعامه الليلة - وأنه أطعمه من زبيب الطائف(5)، وهكذا كان الصديق في وقوفه مع رسول الله يستهين بالخطر على نفسه، ولا يستهين بخطر يصيب النبي ﷺ قل أو كثر حيثما رآه واستطاع أن يذود عنه العادين عليه، وانه ليراهم آخذين بتلابيبه فيدخل بينهم وبينه وهو يصيح بهم: (ويلكم أتقتلون رجلاً ان يقول ربي الله؟) فينصرفون عن النبي وينحون عليه

---

(1) الصحيح المسند في فضائل الصحابة للعدوي، ص37.

(2) منهاج السنّة (4/3) ؛ فتح الباري (169/7).

(3) البداية والنهاية (3/271-272).

(4) انظر: ابوبكر الصديق ، محمد عبدالرحمن قاسم، ص29،30،32.

(5) الفتح (213/7)؛ الخلافة الراشدة، يحيى اليحيى، ص156.

يضربونه، ويجذبونه من شعره فلا يدعونه إلا وهو صديع)(1).

خامساً: انفاقه الأموال لتحرير المعذبين في الله:

تضاعف اذى المشركين لرسول الله ⇨ ولأصحابه مع انتشار الدعوة في المجتمع المكي الجاهلي حتى وصل الى ذروة العنف وخاصة في معاملة المستضعفين من المسلمين، فنكلت بهم لتفتنهم عن عقيدتهم وإسلامهم، ولتجعلهم عبرة لغيرهم، ولتنفس عن حقدها وغضبها بما تصبه عليهم من العذاب وقد تعرض بلال ◀ لعذاب عظيم ولم يكن لبلال ◀ ظهر يسنده، ولا عشيرة تحميه، ولا سيوف تذود عنه، ومثل هذا الانسان في المجتمع الجاهلي المكي يعادل رقماً من الأرقام، فليس له دور في الحياة إلا أن يخدم ويطيع ويباع ويشترى كالسائمة، أما أن يكون له رأي أو يكون صاحب فكر، أو صاحب دعوة أو صاحب قضية، فهذه جريمة شنعاء في المجتمع الجاهلي المكي تهز أركانه، وتزلزل أقدامه، ولكن الدعوة الجديدة التي سارع لها الفتيان وهم يتحدون تقاليد وأعراف آبائهم الكبار لامست قلب هذا العبد المرمي المنسي، فأخرجته إنساناً جديد في الحياة(2)، قد تفجرت معاني الايمان في إعماقه بعد أن آمن بهذا الدين وانضم الى محمد ⇨ وإخوانه في موكب الايمان العظيم وعندما علم سيده أميةبن خلف، راح يهدده تارة ويغريه اطوراً فما وجد عند بلال غير العزيمة وعدم الاستعداد للعودة الى الوراء الى الكفر والجاهلية والضلال، وفحنق عليه أمية وقرر أن يعذبه عذاباً شديداً، فأخرجه الى شمس الظهيرة في الصحراء بعد أن منع عنه الطعام والشراب يوماً وليلة، ثم ألقاه على ظهره فوق الرمال المحرقة الملتهبة ثم أمر غلمانه فحملوا صخرة عظيمة وضعوها فوق صدر بلال وهو مقيد اليدين، ثم قال له: لاتزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى) وأجاب بلال بكل صبر وثبات: أحد أحد. وبقي أمية بن خلف مدة وهو يعذب بلالاً بتلك الطريقة البشعة(3)، فقصد وزير رسول الله ⇨ الصديق موقع التعذيب وفاوض أمية بن خلف وقال له: (ألا تتقي الله في هذا المسكين؟ حتى متى! قال: أنت أفسدته فأنقذه مما ترى، فقال أبوبكر: أفعل، عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك أعطيكه به، قال: قد قبلت؛ فقال: هو لك فأعطاه أبوبكر الصديق ◀ غلامه ذلك وأخذه فأعتقه)(4)، وفي رواية اشتراه بسبع أواق أو بأربعين أوقية ذهباً(5)، ماأصبر بلال وماأصلبه ◀! فقد كان صادق الاسلام، طاهر القلب، ولذلك صَلُب ولم تلين قناته أمام التحديات وأمام صنوف العذاب، وكان صبره، وثباته مما يغيظهم ويزيد حنقهم، خاصة أن كان الرجل الوحيد من ضعفاء المسلمين الذي

---

(1) عبقرية الصديق للعقاد، ص87؛ صديع: المشقوق الثوب.

(2) التربية القيادية (136/1).

(3) عتيق العتقاء (ابوبكر الصديق)، محمود البغدادي ، ص39،40.

(4) السيرة النبوية لابن هشام (394/1).

(5) التربية القيادية (140/1).

ثبت على الاسلام فلم يوات الكفار فيما يريدون مردداً كلمة التوحيد بتحد صارخ، وهانت عليه نفسه في الله وهان على قومه(1).

وبعد كل محنة منحة فقد تخلص بلال من العذاب والنكال، وتخلص من أسر العبودية، وعاش مع رسول الله بقية حياته ملازماً له، ومات راضياً عنه.

واستمر الصديق في سياسة فك رقاب المسلمين المعذبين واصبح هذا المنهج من ضمن الخطة التي تبنتها القيادة الاسلامية لمقاومة التعذيب الذي نزل بالمستضعفين فدّعم الدعوة بالمال والرجال والأفراد فراح يشتري العبيد والإماء المملوكين من المؤمنين والمؤمنات منهم عامر بن فهيرة شهد بدراً وأحداً، وقتل يوم بئر معونة شهيداً، وأم عبيس، و زِنّيرة وأصيب بصرها حين أعتقها فقالت قريش: ماأذهب بصرها إلا اللات والعزى، فقالت: كذبوا وبيت الله ماتضر اللات والعزى وماتنفعان، فرد الله بصرها(2)، وأعتق النهدية وبنتها وكانتا لامرأة من بني عبدالدار مرّ بهما وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها وهي تقول: والله لا أعتقكما أبداً: فقال ابو بكر ◀ حِلٌّ(3) يأم فلان فقالت: حل أنت، أفسدتهما فأعتقهما؛ قال: فبكم هما؟ قالت: بكذا وكذا. وقال: قد أخذتهما وهما حرتان ألينها طحينها. قالتا: أو نفرغ منه ياأبابكر ثم نرده إليها؟ قال: وذلك إن شئتما(4).

وهنا وقفة تأمل ترينا كيف سوى الاسلام بين الصديق والجاريتين حتى خطابتاه خطاب الند للند، لاخطاب المسود للسيد، وتقبل الصديق على شرفه وجلالته في الجاهلية والاسلام – منهما ذلك، مع أنه له يداً عليهما بالتعق، وكيف صقل الاسلام الجاريتين حتى تخلقتا بهذا الخلق الكريم، وكان يمكنهما وقد أعتقتا وتحررتا من الظلم أن تدعا لهما طحينها يذهب أدراج الرياح، أو يأكله الحيوان والطير، ولكنهما ابتا – تفضلاً، إلا أن تفرغا منه، وترداه إليها(5).

ومر الصديق بجارية بني مؤمل حي من بني عدي بن كعب وكانت مسلمة، وعمر بن الخطاب يعذبها لتترك الاسلام، وهو يومئذ مشركاً يضربها، حتى إذا ملَّ قال: إني أعتذر إليك إني لم أتركك إلا عن ملالة فتقول: كذلك فعل الله بك فابتاعها أبوبكر فأعتقها(6).

هكذا كان واهب الحريات، ومحرر العبيد، شيخ الاسلام الوقور، الذي عرف بين قومه، بأنه يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق، ولم ينغمس في إثم في جاهليته، أليف مألوف يسيل قلبه رقة ورحمة على الضعفاء والأرقاء، أنفق جزءً كبيراً من ماله في

---

(1) محنة المسلمين في العهد المكي، ص92.

(2) السيرة النبوية لابن هشام (393/1).

(3) حل: تحللي من يمينك.

(4) السيرة النبوية لابن هشام (393/1).

(5) السيرة النبوية لابي شهبة (346/1).

(6) السيرة النبوية لابن هشام (393/1).

شراء العبيد، وعتقهم لله، وفي الله، قبل أن تنزل التشريعات الاسلامية المحببة في العتق، والواعدة عليه أجزل الثواب(1).

كان المجتمع المكي يتندر بأبي بكر ◄ الذي يبذل هذا المال كله لهؤلاء المستضعفين، أما في نظر الصديق، فهؤلاء إخوانه في الدين الجديد فكل واحد من هؤلاء لايساوي عنده مشركي الأرض وطغاتها، وبهذه العناصر وغيرها تبنى دولة التوحيد، وتصنع حضارة الاسلام الرائعة(2) ولم يكن الصديق يقصد بعمله هذا محمدة، ولا جاهاً، ولا ديناً، وإنما كان يريد وجه الله ذا الجلال والإكرام لقد قال له أبوه ذات يوم: يابني إني أراك تعتق رقاباً ضعافاً، فلو أنك إذ فعلت أعتقت رجالاً جلد يمنعوك، ويقومون دونك؟ فقال أبوبكر ◄: ياأبت إني إنما أريد ماأريد لله عز وجل، فلا عجب إذا كان الله سبحانه أنزل في شأن الصديق قرآناً يتلى الى يوم القيامة قال تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ⇦ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ⇦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ⇦ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ⇦ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ⇦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ⇦ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ⇦ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ⇦ وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَى ⇦ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ⇦ لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى ⇦ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ⇦ وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى ⇦ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ⇦ وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ⇦ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى ⇦ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ⇦}(3) (سورة الليل، الآيات: 5-21).

لقد كان الصديق من أعظم الناس إنفاقاً لماله فيما يرضي الله ورسوله.

كان هذا التكافل بين أفراد الجماعة الاسلامية الأولى قمة من قمم الخير والعطاء، وأصبح هؤلاء العبيد بالاسلام، أصحاب عقيدة وفكرة يناقشون بها وينافحون عنها، ويجاهدون في سبيلها، وكان إقدام إبي بكر ◄ على شرائهم ثم عتقهم دليلاً على عظمة هذا الدين ومدى تغلغله في نفسية الصديق ◄، وما أحوج المسلمين اليوم أن يحيوا هذا المثل الرفيع، والمشاعر السامية ليتم التلاحم والتعايش، والتعاضد بين أبناء الأمة التي يتعرض ابناءها للابادة الشاملة من قبل أعداء العقيدة والدين.

سادساً: هجرته الاولى وموقف ابن الدغنة منها:

قالت عائشة رضي الله عنها: قالت: لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ⇦ طرفي النهار: بكرة وعشية فلما ابتلى المسلمون، خرج أبوبكر مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى برك الغماد لقيه ابن الدغنة -وهو سيد القارة(4)- فقال: أين تريد ياأبابكر؟ فقال ابوبكر: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي، قال ابن الدغنة: فإن مثلك ياأبابكر لا يخرج ولا يخرج إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. فأنا لك جار. ارجع وأعبد ربك ببلدك. فرجع، وارتحل معه ابن الدغنة، فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف

---

(1) السيرة النبوية لأبي شهبة (345/1).

(2) التربية القيادية (342/1).

(3) تفسير الآلوسي (152/30).

(4) ابن الدغنة: قيل اسمه الحارث بن يزيد وقيل مالك وقيل ربيعة بن رفيع. والقارة قبيلة من بني الهون بن خزيمة.

قريش فقال لهم: إن أبابكر لا يخرج مثله ولا يخرج، أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق؟ فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة، وقالوا لابن الدغنة: مر أبابكر فليعبد ربه في داره، فليصل فيها وليقرأ ماشاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا. فقال ذلك ابن الدغنة لابي بكر، فلبث أبوبكر بذلك يعبد ربه في داره، ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره. ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره، وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن، فيتقذف عليه نساء المشركين، وأبناؤهم، وهم يعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبوبكر رجلاً بكاءً لايملك عينه إذا قرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا الى ابن الدغنة، فقدم عليهم فقالوا: إنا كنا أجرنا أبابكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد إليك ذمته، فإنا قد كرهنا أن نغفرك ولسنا بمقرين لأبي بكر الاستعلان. قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة الى أبي بكر فقال: قد علمت الذي عاقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترجع اليّ ذمتي، فإني لا أحب أن تسمع العرب أنى أخفرت في رجل عقدت له. فقال أبوبكر: فإني أرد إليك جوارك، وأرضى بجوار الله عز وجل(1)، وحين خرج من جوار ابن الدغنة، يعني ابوبكر، لقيه سفيه من سفهاء قريش وهو عامد الى الكعبة فحثا على رأسه تراباً، فمر بأبي بكر الوليد بن المغيرة، أو العاص بن وائل – فقال له أبوبكر ◄: ألا تر مايصنع هذا السفيه، فقال: أنت فعلت ذلك بنفسك، وهو يقول: ربي ماأحلمك، أي ربي ماأحلمك، أي ربي ماأحلمك(2). وفي هذه القصة دروس وعبر كثيرة منها:

1- كان ابوبكر في عز من قومه قبل بعثة محمد ﷺ فهاهو ابن الدغنة يقول له: مثلك ياأبابكر لايخرج ولا يخرج مثله، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فأبوبكر لم يدخل في دين الله طلباً لجاه أو سلطان، ومادفعه الى ذلك إلا حب الله ورسوله مما يترتب على ذلك من ابتلاءات، أي أنه لم يكن له تطلعات سوى مرضات الله تعالى، إنه يريد أن يفارق الأهل والوطن والعشيرة ليعبد ربه لأنه حيل بينه وبين ذلك في وطنه(3).

2- إن زاد الصديق في دعوته القرآن الكريم ولذلك اهتم بحفظه وفهمه وفقهه والعمل به، وأكسبه الاهتمام بالقرآن الكريم براعة في تبليغ الدعوة، وروعة في الاسلوب، وعمقاً في الأفكار، وتسلسلاً عقلياً في عرض الموضوع الذي يدعو إليه، ومراعاة لأحوال السامعين وقوة في البرهان والدليل(4).

---

(1) فتح الباري (274/7).

(2) البداية والنهاية (95/3).

(3) استخلاف ابوبكر الصديق، ص134.

(4) تاريخ الدعوة الى الاسلام في عهد الخلفاء الراشدين ، ص88.

وكان الصديق يتأثر بالقرآن الكريم ويبكي عند تلاوته وهذا يدل على رسوخ يقينه وقوة حضور قلبه مع الله عز وجل ومع معاني الآيات التي يتلوها، والبكاء مبعثه قوة التأثير إما بحزن شديد أو فرح غامر، والمؤمن الحق يظل بين الفرح بهداية الله تعالى الى الصراط المستقيم، والإشفاق من الانحراف قليلاً عن هذا الصراط، وإذا كان صاحب إحساس حيٍّ وفكر يقظ كأبي بكر ◄ فإن هذا القرآن يذكِّره بالحياة الآخرة ومافيها من حساب وعقاب أو ثواب، فيظهر أثر ذلك في خشوع الجسم وانسكاب العبرات، وهذا المظهر يؤثر كثيراً على من شاهده، ولذلك فزع المشركون من مظهر أبي بكر المؤثر وخَشُوا على نسائهم وأبنائهم أن يتأثروا به فيدخلوا في الإسلام(1).

لقد تربى الصديق على يدي رسول الله ⇨ وحفظ كتاب الله تعالى وعمل به في حياته وتأمل فيه كثيراً وكان لا يتحدث بغير علم، فعندما سئل عن آية لايعرفها أجاب بقوله: أي أرض تسعني أو أي سماء تُظِلنيُّ إذا قلت في كتاب الله مالم يُرد الله(2) ومن أقواله التي تدل على تدبره وتفكره في القرآن الكريم قوله: (إن الله ذكر أهل الجنة، فذكرهم بأحسن أعمالهم وغفر لهم سيئها، فيقول الرجل: أين أنا من هؤلاء؟! يعني: حسنها، فيقول قائل: لست من هؤلاء، يعني: وهو منهم(3)، وكان يسأل رسول الله ⇨ فيما استشكل عليه بأدب وتقدير واحترام، فلما نزل قوله تعالى: {لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا} (سورة النساء، الاية:123) قال ابوبكر يارسول الله، قد جاءت قاصمة الظهر، وأينا لم يعمل سوءاً؟ فقال: ياأبابكر، ألست تنصب؟ الست تحزن؟ ألست تصيبك اللأوى؟ فذلك مما تجزون به(4).

وقد فسر الصديق بعض الآيات مثل قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} (سورة فصلت، الآية: 30) قال فيها: فلم يلتفتوا عنه يمنة ولا يسرة، فلم يلتفتوا بقلوبهم الى ماسواه لا بالحب ولا بالخوف، ولا بالرجاء ولا بالسؤال ولا بالتوكل عليه، بل لا يحبون إلا الله ولا يحبون معه أنداداً، ولايحبون إلا إياه، لا لطلب منفعة، ولا لدفع مضرة، ولا يخافون غيره كائناً من كان، ولا يسألون غيره ولا يتشرفون بقلوبهم الى غيره(5)، وغير ذلك من الآيات.

إن الدعاة الى الله عليهم أن يكونوا في صحبة مستمرة للقرآن الكريم، يقرؤه ويتدبروه ويستخرجوا كنوزه ومعارفه للناس، وأن يظهروا للناس مافي القرآن من إعجاز بياني وعلمي وتشريعي ومافيه من سبل إنقاذ الانسانية المعذبة من مأسيها وحروبها، بأسلوب يناسب العصر، ويكافئ ماوصل إليه الناس من

(1) التاريخ الاسلامي للحميدي (ج19، 20/ص209).

(2) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص117 هذه الرواية فيها انقطاع.

(3) الفتاوى لابن تيمية (212/6).

(4) احمد (11/1) وقال الشيخ شاكر اسانيدها ضعاف. وهو صحيح بطرقه وشواهده. انظر: مسند الامام احمد رقم 68.

(5) الفتاوى (22/28).

تقدم في وسائل الدعوة والدعاية، ولقد أدرك أبوبكر ◀ كيف تكون قراءة القرآن الكريم في المسجد على ملأ من قريش وسيلة مؤثرة من وسائل الدعوة الى الله(1).

سابعاً: بين القبائل العرب في الأسواق:

قد علمنا أن الصديق ◀ كان عالماً بالأنساب وله فيها الباع الطويل: قال السيوطي رحمه الله تعالى: رأيت بخط الحافظ الذهبي رحمه الله من كان فرد زمانه في فنه... أبوبكر في النسب(2)، ولذلك استخدم الصديق هذا العلم الفياض وسيلة من وسائل الدعوة ليعلم كل ذي خبرة كيف يستطيع أن يسخرذلك في سبيل الله، على اختلاف التخصصات، وألوان المعرفة، سواء كان علمه نظرياً أو تجريبياً، أو كان ذا مهنة مهمة في حياة الناس(3)، وسوف نرى الصديق يصحبه رسول الله ⇨ عندما عرض نفسه على قبائل العرب ودعاهم الى الله كيف وظف هذا العلم لدعوة الله فقد كان الصديق خطيباً مفوهاً له القدرة على توصيل المعاني بأحسن الألفاظ، وكان رضي الله عنه يخطب عن النبي ⇨ في حضوره وغيبته، فكان النبي ⇨ إذا خرج في الموسم -يدعو الناس الى متابعة كلامه تمهيداً وتوطئة لما يبلغ الرسول، معونة له، لا تقدماً بين يدي الله ورسوله(4)، وكان علمه في النسب ومعرفة أصول القبائل مساعداً له على التعامل معها، فعن علي بن أبي طالب ◀ قال: لما أمر الله عز وجل نبيه ⇨ أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه.... الى أن قال ثم دفعنا الى مجلس آخر عليه السكينة والوقار فتقدم أبوبكر فسلم فقال من القوم؟ قالوا: شيبان ابن ثعلبة فالتفت ابوبكر الى رسول الله ⇨ وقال بأبي وأمي هؤلاء غرر الناس وفيهم مفروق قد غلبهم لساناً وجمالاً وكانت له غديرتان تسقطان على تريبته وكان أدنى القوم مجلساً من أبي بكر فقال: أبوبكر كيف العدد فيكم فقال مفروق: إنا لانزيد على الألف ولن تغلب الألف من قلة فقال أبوبكر: وكيف المنعة فيكم فقال مفروق: إنا لأشد مانكون غضباً حين نلقى وأشد مانكون لقاء حين نغضب وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد والسلاح على اللقاح والنصر من عند الله يديلنا مرة ويديل علينا أخرى لعلك أخا قريش؛ فقال أبوبكر: إن كان بلغكم أنه رسول الله ⇨ فها هوذا. فقال: مفروق إلام تدعونا ياأخا قريش؟ فقال رسول الله ⇨: (أدعوكم الى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأني عبدالله ورسوله والى أن تؤووني وتنصروني فإن قريشاً قد تظاهرت على الله وكذّبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد) فقال مفروق: وإلام تدعو أيضاً ياأخا قريش فوالله ماسمعت كلاماً أحسن من هذا فتلا رسول الله ⇨ قوله تعالى: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا

---

(1) تاريخ الدعوة الاسلامية في عهد الخلفاء، ص95.

(2) تاريخ الخلفاء، ص100 نقلاً عن تاريخ الدعوة ، ص95.

(3) نفس المصدر، ص96.

(4) ابوبكر الصديق لمحمد عبدالرحمن قاسم، ص92.

تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (سورة الانعام، الآية: 151) فقال مفروق: دعوت والله الى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك ثم رد الأمر الى هانئ بن قبيصة فقال: وهذا هانئ شيخنا وصاحب ديننا فقال هانئ: قد سمعت مقالتك ياأخا قريش وإني أرى تركنا ديننا واتباعنا دينك لمجلس جلست إلينا لا أول ولا آخر لذل في الرأي وقلة نظر في العاقبة أن الزلة مع العجلة وأنا نكره أن نعقد على من وراءنا عقداً ولكن نرجع وترجع وننظر ثم كأنه أحب أن يشركه المثنى بن حارثة فقال: وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا فقال المثنى -وأسلم بعد ذلك- قد سمعت مقالتك ياأخا قريش والجواب فيه جواب هانئ بن قبيصة في تركنا ديننا ومتابعتنا دينك وإنا إنما نزلنا بين صيرين أحدهما اليمامة والاخرى السمامة، فقال رسول الله ﷺ وماهذان الصيران؟ فقال له أما أحدهما فطوق التزيد أي ماأشرف من الأرض -وأرض العرب، وأما الآخر فأرض فارس وأنهار كسرى وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لانحدث حدثاً، ولا نؤي محدثاً ولعل هذا الأمر الذي تدعو إليه تكرهه الملوك، فأما ماكان مما يلي على بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور، وعذره غير مقبول، فإن أردت أن ننصرك مما يلي العرب فعلينا، فقال رسول الله ﷺ: ماأسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق وإن دين الله عز وجل لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه أريتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حى يورثكم الله تعالى أرضهم وديارهم ويفرشكم نساءهم أتسبحون الله وتقدسونه فقال النعمان: اللهم فلك ذاك(1).

وفي هذا الخبر دروس وعبر وفوائد كثيرة منها:

1- ملازمة الصديق لرسول الله ﷺ وهذا جعله يفهم الاسلام بشموله وهيأه الله تعالى بأن يصبح أعلم الصحابة بدين الله، فقد تعلم من رسول الله ﷺ حقيقة الاسلام وتربى على يديه في معرفة معانيه، فاستوعب طبيعة الدعوة ومر بمراحلها المتعددة واستفاد من صحبته لرسول الله ﷺ وتشرب المنهج الرباني، فعرف المولى عز وجل من خلاله، وطبيعة الحياة، وحقيقة الكون، وسر الوجود، وماذا بعد الموت ومفهوم القضاء والقدر، وقصة الشيطان مع آدم عليه السلام وحقيقة الصراع بن الحق والباطل، والهدى والظلال، والايمان والكفر، وحببت إليه العبادات كقيام الليل، وذكر الله وتلاوة القرآن فسمت أخلاقه، وتطهرت نفسه وزكت روحه.

2- وفي رفقته لرسول الله ﷺ عندما كان ﷺ يدعو القبائل للاسلام استفاد الكثير، فقد عرف أن النصرة التي كان يطلبها رسول الله ﷺ لدعوته من زعماء القبائل أن يكون أهل النصرة غير مرتبطين بمعاهدات دولية تتناقض مع الدعوة ولا يستطيعون التحرر منها، وذلك لأن احتضانهم للدعوة والحالة هذه يُعرضها لخطر القضاء عليها من قبل الدول التي بينهم وبينها تلك المعاهدات، والتي تجد في الدعوة الاسلامية خطراً عليها وتهديداً لمصالحها(2).

---

(1) البداية والنهاية (142/3، 143، 145) وفيها زيادات ليست عند الصالحي في سبيل الرشاد (596/2-597).

(2) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، محمد هيكل (412/1).

ان الحماية المشروطة أو الجزئية لاتحقق الهدف المقصود فلن يخوض بنو شيبان حرباً ضد كسرى لو أراد القبض على رسول الله ﷺ وتسليمه، ولن يخوضوا حرباً ضد كسرى لو أراد مهاجمة رسول الله ﷺ وأتباعه، وبذلك فشلت المباحثات(1).

3- (إن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه) كان هذا الرد من النبي ﷺ على المثنى بن حارثة حيث عرض على النبي حمايته على مياه العرب دون مياه الفرس، فمن يسبر أغوار السياسة البعيدة يرى بعد النظر الاسلامي النبوي الذي لايسامى(2).

4- كان موقف بني شيبان يتسم بالاريحية والخلق والرجولة وينم عن تعظيم هذا النبي، وعن وضوح في العرض، وتحديد مدى قدرة الحماية التي يملكونها وقد بينوا أن أمر الدعوة مما تكرهه الملوك، وقدّر الله لشيبان بعد عشر سنوات أو تزيد أن تحمل هي ابتداءً عبء مواجهة الملوك، بعد أن أشرق قلبها بنور الاسلام، وكان المثنى بن حارثة الشيباني صاحب حربهم وبطلهم المغوار الذي كان من ضمن قادة الفتوح في خلافة الصديق فكان وقومه من أجرأ المسلمين بعد إسلامهم على قتال الفرس، بينما كانوا في جاهليتهم يرهبون الفرس ولا يفكرون في قتالهم، بل إنهم ردوا دعوة النبي ﷺ بعد قناعتهم بها لاحتمال أن تلجئهم الى قتال الفرس، الأمر الذي لم يكونوا يفكرون به أبداً، وبهذا نعلم عظمة هذا الدين الذي رفع الله به المسلمين في الدنيا حيث جعلهم سادة الأرض مع ماينتظرون في أخراهم من النعيم الدائم في جنات النعيم(3).

المبحث الثالث

هجرته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة

اشتدت قريش في أذى المسلمين، والنيل منهم فمنهم من هاجر الى الحبشة مرة أو مرتين فراراً

---

(1) التحالف السياسي في الاسلام، منير الغضبان، ص53.

(2) نفس المصدر، ص64.

(3) التاريخ الاسلامي للحميدي (69/3)؛ التربية القيادية (20/2).

بدينه...ثم كانت الهجرة الى المدينة ومن المعلوم أن أبا بكر استأذن النبي ⇨ في الهجرة فقال له: (لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً)(1) فكان أبوبكر يطمع أن يكون في صحبة النبي ⇨ وهذه السيدة عائشة رضي الله عنها تحدثنا عن هجرة رسول الله ⇨ وأبيها ◀ حيث قالت: (كان لايخطئ رسول الله ⇨ أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار، إما بكرة، وإما عشية، حتى إذا كان اليوم الذي أذن فيه لرسول الله ⇨ في الهجرة، والخروج من مكة من بين ظهري قومه، أتانا رسول الله ⇨ بالهاجرة(2)، في ساعة كان لايأتي فيها قالت: فلما رآه أبوبكر، قال: ماجاء رسول الله ⇨ هذه الساعة إلا لأمر حدث. قالت: فلما دخل، تأخر له أبوبكر عن سريره فجلس رسول الله ⇨، وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر، فقال رسول الله ⇨ أخرج عني من عندك. فقال: يارسول الله، إنما هما إبنتاي، وماذاك فداك أبي وأمي! فقال: إنه قد أذن بي في الخروج والهجرة. قالت: فقال أبوبكر: الصحبة يارسول الله؟ قال: الصحبة. قالت: فوالله ماشعرت قط قبل ذلك اليوم أحد يبكي من الفرح، حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ، ثم قال: يانبي الله، إن هاتين راحلتان قد كنت أعددتهما لهذا فاستأجرا عبدالله بن أرقط رجلاً من بني الديل بن بكر، وكانت أمه امرأة من بني سهم بن عمرو، وكان مشركاً - يدلهما على الطريق، فدفعا إليه راحلتيهما فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما(3).

وجاء في رواية البخاري عن عائشة في حديث طويل تفاصيل مهمة وفي ذلك الحديث :

(......قالت عائشة: فبينما نحن يوماً جلوساً في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر هذا رسول الله ⇨ متقنعاً(4)، في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال رسول الله ⇨ لأبي بكر: أخرج من عندك، فقال أبوبكر: إنما هم أهلك. فقال: فإني قد أذن لي في الخروج فقال أبوبكر: الصحبة بأبي أنت يارسول الله قال رسول الله ⇨ : نعم، قال ابوبكر: فخذ بأبي أنت يارسول الله إحد راحلتي هاتين، قال رسول الله ⇨ : بالثمن، قالت عائشة: فجهزناهما أحسن الجهاز، ووضعنا لهم سفرة في جراب، فقطمت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاقين، ثم لحق رسول الله ⇨ وأبوبكر بغار في جبل ثور، فكمنا(5) فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبدالله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف(6)، لقن(7)، فيدلج(8) من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا

---

(1) تاريخ الدعوة الى الاسلام، ص107.

(2) الهاجرة: نصف النهار عند زوال الشمس مع الظهر أو العصر.

(3) السيرة النبوية لابن كثير (2/233-234).

(4) متقنعاً: مغطياً رأسه.

(5) كمنا فيه: أي استترا واستخفيا ومنه الكمن في الحرب.

(6) ثقف: ذو فطن وذكاء والمراد ثابت المعرفة بما يحتاج إليه. (النهاية 1/216).

(7) لقن: فهم حسن التلقي لما يسمعه، (النهاية، 4/266).

(8) يدلج: أدلج إذا سار أول الليل وادّلج بالتشديد إذا سار آخره.

يسمع أمراً يكتادان(1) به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما حيث تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل -وهو لبن منحهما ورضيفهما(2) ينعق(3) بها عامر بن فهيرة بغلس(4) يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث، واستأجر رسول الله ﷺ وأبوبكر رجلاً من بني الديل وهو من بني عبد ابن عدي -هادياً خريتا- والخريت الماهر- قد غمس حلفاً(5) في آل العاص بن وائل السهمي، وهو على دين كفار قريش، فأمناه فدفعا إليه راحلتيهما، وواعده غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق السواحل(6).

لم يعلم بخروج رسول الله ﷺ أحد حين خرج إلا علي بن أبي طالب، وأبوبكر الصديق، وآل أبي بكر، وجاء وقت الميعاد بين رسول الله ﷺ ابي بكر ◀، فخرجا من خوخة(7)، لأبي بكر في ظهر بيته، وذلك للإمعان في الاستخفاء حتى لاتتبعهما قريش، وتمنعهما من تلك الرحلة المباركة، وقد اتعدا مع الليل على أن يلقاهما عبدالله بن أريقط في غار ثور بعد ثلاث ليال(8)، وقد دعا النبي ﷺ عند خروجه من مكة الى المدينة(9)، ووقف عند خروجه بالحزورة في سوق مكة وقال: (والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله الى الله، ولولا أني أخرجت منك ماخرجت)(10).

ثم أنطلق رسول الله وأبوبكر والمشركون يحاولون أن يقتفوا آثارهم حتى بلغوا الجبل -جبل ثور- اختلط عليهم، فصعدوا الجبل فمروا بالغار، فرآوا على بابه نسيج العنكبوت، فقالوا: لو دخل هاهنا أحد لم يكن نسج العنكبوت على بابه(11)، وهذه من جنود الله عز وجل: {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ} (سورة المدثر، الآية: 31).

وبالرغم من كل الأسباب التي اتخذها رسول الله ﷺ فإنه لم يرتكن إليها مطلقاً، وإنما كان كامل الثقة في الله، عظيم الرجاء في نصره وتأييده، دائم الدعاء بالصيغة التي علمه الله إياها(12)، قال تعالى: {وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا} (سورة الاسراء، الآية:80).

---

(1) يكتادان: أي يطلب لهما فيه المكروه وهو من الكيد.

(2) الرضيف: اللبن المرضوف وهو الذي طرح فيه الحجارة المحماة.

(3) ينعق: نعق بغنمه، أي صاح بها وزجرها. (القاموس المحيط، 265/3).

(4) الغلس: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح. (النهاية، 377/3).

(5) غمس حلفاً: أي أخذ بنصيب من عقدهم وحلفهم يأمن به.

(6) البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي رقم 395.

(7) الهجرة في القرآن الكريم، ص334.

(8) خاتم النبيين لأبي زهرة (659/1)؛ السيرة النبوية لابن كثير (234/2).

(9) السيرة النبوية لابن كثير (230/2-234).

(10) الترمذي، كتاب المناقب، باب فضل مكة (722/5).

(11) مسند الامام أحمد (348/1).

(12) الهجرة النبوية المباركة، ص72.

وفي هذه الآية الكريمة دعاء يُعلّمه الله عز وجل لنبيه ﷺ ليدعوه به، ولتتعلم أمته كيف تدعو الله وكيف تتجه إليه؟ دعاء بصدق المدخل وصدق المخرج، كناية عن صدق الرحلة كلها، بدئها وختامها، أولها وآخرها ومابين الأول والآخر، وللصدق هنا قيمته بمناسبة ماحاوله المشركون من فتنته عما أنزله الله عليه ليفترى على الله غيره، وللصدق كذلك ظلاله: ظلال الثبات، والاطمئنان والنظافة الاخلاص {وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيرًا} قوة وهيبة استعلى بهما على سلطان الأرض وقوة المشركين، وكلمة {مِنْ لَدُنْك} تصور القرب والاتصال بالله والاستمداد من عونه مباشرة واللجوء الى حماه.

وصاحب الدعوة لايمكن أن يستمد السلطان إلا من الله، ولا يمكن أن يهاب إلا بسلطان الله، لايمكن أن يستظل بحاكم أو ذى جاه فينصره ويمتعه مالم يكن أتجاهه قبل ذلك الى الله والدعوة قد تغزو قلوب ذوي السلطان والجاه، فيصبحون لها جنداً وخدماً فيفلحون، ولكنها هي لاتفلح إن كانت من جند السلطان وخدمه، فهي من أمر الله، وهي أعلى من ذوي السلطان والجاه(1).

وعندما أحاط المشركون بالغار، أصبح منهم رأي العين طمأن الرسول ﷺ الصديق بمعية الله لهما: فعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا. فقال: ماظنك ياأبابكر باثنين الله ثالثهما(2)؟

وسجل الحق عز وجل ذلك في قوله تعالى: {إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (سورة التوبة، الآية:40).

وبعد ثلاث ليال من دخول النبي ﷺ في الغار خرج رسول الله ﷺ وصاحبه من الغار، وقد هدأ الطلب، ويئس المشركون من الوصول الى رسول الله، وقد قلنا أن رسول الله ﷺ وأبا بكر قد استأجرا رجلاً من بني الديل يسمى عبدالله بن أريقط وكان مشركاً وقد أمِناهُ فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما وقد جاءها فعلاً في الموعد المحدد وسلك بهما طريقاً غير معهودة ليخفي أمرهما عمن يلحق بهم من كفار قريش(3)، وفي أثناء الطريق الى المدينة مرّ النبي ﷺ بأم معبد(4)، في قديد(5)، حيث مساكن خزاعة، وهي أخت حبيش بن خالد الخزاعي الذي روى قصتها، وهي قصة تناقلها الرواة وأصحاب السير، وقال عنها ابن كثر: (وقصتها مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضاً)(6).

---

(1) في ظلال القرآن (2247/4).

(2) البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب المهاجرين رقم 3653؛ مسلم رقم 5381.

(3) المستفاد من قصص القرآن، زيدان (101/2).

(4) هي عاتكة بنت كعب الخزاعية.

(5) وادي قديد يبعد عن الطريق المعبد حوالي ثمانية كيلومترات.

(6) البداية والنهاية (188/3).

وقد أعلنت قريش في نوادي مكة بأنه من يأتي بالنبي ﷺ حياً أو ميتاً فله مائة ناقة وانتشر هذا الخبر عند قبائل العرب الذين في ضواحي مكة وطمع سراقة بن مالك بن جعشم في نيل الكسب الذي أعدته قريش لمن يأتي برسول الله ﷺ فأجهد نفسه لينال ذلك، ولكن الله بقدرته التي لايغلبها غالب، جعله يرجع مدافعاً عن رسول الله ﷺ بعد أن كان جاهداً عليه(1).

ولما سمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله ﷺ من مكة، كانوا يغدون كل غداة الى الحرة، فينتظرون حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يوماً بعد ماأطالوا انتظارهم فلما أووا الى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم(2) من آطامهم لأمر ينظر إليه فبصر رسول الله ﷺ، وأصحابه مبيضين(3)، يزول بهم السراب(4)، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته، يامعشر العرب هذا جدكم(5)، الذي تنتظرون، فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عوف، وذلك يوم الخميس الأثنين(6) من شهر ربيع الأول(7)، فقام أبابكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك(8).

كان يوم وصول الرسول ﷺ وأبي بكر الى المدينة يوم فرح وابتهاج لم تر المدينة يوماً مثله، ولبس الناس أحسن ملابسهم كأنهم في يوم عيد، ولقد كان حقاً يوم عيد، لأنه اليوم الذي انتقل فيه الاسلام من ذلك الحيز الضيق في مكة الى رحابة الانطلاق والانتشار بهذه البقعة المباركة المدينة، ومنها الى سائر بقائع الأرض لقد أحس أهل المدينة بالفضل الذي حباهم الله به، وبالشرف الذي اختصهم الله به، فقد صارت بلدتهم موطناً لإيواء رسول الله وصحابته المهاجرين ثم لنصرة الاسلام كما أصبحت موطناً للنظام الاسلامي العام التفصيلي بكل مقوماته ولذلك خرج أهل المدينة يهللون في فرح وابتهاج ويقولون يارسول الله يامحمد يارسول الله(9)، وبعد هذا الاستقبال الجماهيري العظيم الذي لم يرد مثله في تاريخ الانسانية سار رسول الله ﷺ حتى نزل في دار أبي أيوب الانصاري ◄(10)، ونزل الصديق على خارجة بن زيد الخزرجي الأنصاري.

وبدأت رحلة المتاعب والمصاعب والتحديات، فتغلب عليها رسول الله ﷺ للوصول للمستقبل

---

(1) السيرة النبوية، عرض لوقائع وتحليل لأحداثها للصّلابي، ج1، ص543).

(2) أطم: كالحصن.

(3) مبيضين: عليهم ثياب بيض.

(4) السراب: أي يزول بهم السراب عن النظر بسبب عروضهم له.

(5) جدكم: حظكم وصاحب دولتكم الذي تتوقعونه.

(6) قال الحافظ بن حجر: هذا هو المعتمد وشذ من قال الجمعة. (الفتح، 544/4).

(7) الهجرة في القرآن الكريم، ص351.

(8) نفس المصدر، ص352.

(9) المصدر السابق، ص353.

(10) الهجرة في القرآن الكريم، ص354.

الباهر للأمة والدولة الاسلامية التي استطاعت أن تصنع حضارة إنسانية رائعة على أسس من الإيمان والتقوى والإحسان والعدل بعد أن تغلبت على اقوى دولتين كانتا تحكمان في العالم، وهما الفرس والروم(1)، وكان الصديق ◄ الساعد الأيمن لرسول الله ⇨ منذ بزوغ الدعوة حتى وفاته ⇨، وكان ابوبكر ◄ ينهل بصمت وعمق من ينابيع النبوة: حكمة وإيماناً، يقيناً وعزيمة، تقوى وإخلاصاً، فإذا هذه الصحبة تثمر: صلاحاً وصدّيقية، ذكراً ويقظة، حُباً وصفاء، عزيمة وتصميماً، إخلاصاً وفهماً، فوقف مواقفه المشهودة بعد وفاة رسول الله ⇨، في سقيفة بني ساعدة وغيرها من المواقف وبعث جيش أسامة وحروب الردة، فأصلح مافسد، وبنى ماهُدم، وجمع ماتفرق، وقوّم مانحرف(2)، إن حداثة هجرة الصديق مع رسول الله فيها دروس وعبر وفوائد منها:

<u>أولاً:</u> قال تعالى: {إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (سورة التوبة، الآية40).

ففي هذه الآية الكريمة دلالة على أفضلية الصديق من سبعة أوجه ففي الآية الكريمة من فضائل أبي بكر ◄:

<u>1- أن الكفار أخرجوه:</u>

الكفار أخرجوا الرسول (ثاني أثنين) فلزم أن يكونوا أخرجوهما، وهذا هو الواقع.

<u>2- أنه صاحبه الوحيد:</u>

الذي كان معه حين نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا هو أبوبكر، وكان ثاني أثنين الله ثالثهما. قوله {ثَانِيَ اثْنَيْنِ} ففي المواضع التي لايكون مع النبي ⇨ من أكابر الصحابة إلا و احد يكون هو ذلك الواحد مثل سفره في الهجرة ومقامه يوم بدر في العريش لم يكن معه فيه إلا أبوبكر، ومثل خروجه الى قبائل العرب يدعوهم الى الاسلام كان يكون معه من أكابر الصحابة أبوبكر، وهذا اختصاص في الصحبة لم يكن لغيره باتفاق أهل المعرفة بأحوال النبي ⇨.

<u>3- أنه صاحبه في الغار:</u>

الفضيلة في الغار ظاهرة بنص القرآن وقد أخرجا في الصحيحين من حديث أنس، عن أبي بكر الصديق ◄، قال: نظرت الى أقدام المشركين على رؤسنا ونحن في الغار، فقلت: يارسول الله لو أن أحدهم نظر الى قدميه لأبصرنا. فقال: ياأبابكر ماظنك باثنين الله ثالثهما(3). وهذا الحديث مع كونه مما اتفق أهل العلم على صحته وتلقيه بالقبول فلم يختلف في ذلك اثنان منهم فهو مما دل القرآن على

---

(1) انظر: الهجرة في القرآن الكريم، أم محزون، ص355.

(2) في التاريخ الاسلامي، شوقي ابوخليل، ص226.

(3) البخاري، كتاب فضائل الصحابة، رقم 3653؛ مسلم رقم 1854.

معناه(1).

4- أنه صاحبه المطلق:

قوله: {إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ} لايختص بمصاحبته في الغار، بل هو صاحبه المطلق الذي عمل في الصحبة كما لم يشركه فيه غيره -فصار مختصاً بالأكملية من الصحبة، وهذا مما لانزاع فيه بين أهل العلم باحوال النبي ﷺ ولهذا قال من قال من العلماء: إن فضائل الصديق خصائص لم يشركه فيها غيره(2).

5- أنه المشفق عليه:

قوله {لا تَحْزَنْ} يدل على أن صاحبه كان مشفقاً عليه محباً له ناصراً له حيث حزن، وإنما يحزن الإنسان حال الخوف على من يحبه، وكان حزنه على النبي ﷺ لئلا يقتل ويذهب الاسلام، ولهذا لما كان معه في سفر الهجرة كان يمشي امامه تارة، ووراءه تارة، فسأله النبي ﷺ عن ذلك، فقال: أذكر الرصد فأكون أمامك، وأذكر الطلب فأكون وراءك(3)، وفي رواية أحمد في كتاب فضائل الصحابة: ...فجعل أبوبكر يمشي خلفه ويمشي أمامه فقال له النبي ﷺ مالك؟ قال: يارسول الله أخاف أن تؤتى من أمامك فأتقدم، قال: فلما انتهينا الى الغار قال أبوبكر: يارسول الله كما أنت حتى أيمه...فلما رأى أبوبكر حجراً في الغار فألقمها قدمه، وقال يارسول الله إن كانت لسعة أو لدغة كانت بي(4). فلم يكن يرضى بمساواة النبي؛ بل كان لايرضى بأن يقتل رسول الله ﷺ وهو يعيش؛ بل كان يختار أن يفديه بنفسه وأهله وماله. وهذا واجب على كل مؤمن، والصديق أقوم المؤمنين بذلك(5).

6- المشارك له في معية الاختصاص:

قوله: {إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} صريح في مشاركة الصديق للنبي ﷺ في هذه المعية التي اختص بها الصديق لم يشركه فيها أحد من الخلق... وهي تدل على أنه معهم بالنصر والتأييد والإعانة على عدوهم - فيكون النبي ﷺ قد أخبر أن الله ينصرني وينصرك ياأبابكر، ويعيننا عليهم، نصر إكرام ومحبة كما قال الله تعالى: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ} (سورة غافر، الآية 51). وهذا غاية المدح لأبي بكر؛ إذ دل على أنه ممن شهد له الرسول بالايمان المقتضي نصر الله له مع رسوله في مثل هذه الحال التي يخذل فيها عامة الخلق إلا من نصره الله(6).

---

(1) منهاج السنّة (241،240/4).

(2) منهاج السنّة (245،252/4).

(3) ابوبكر الصديق أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة، ص43.

(4) منهاج السنّة (263،262/4).

(5) نفس المصدر (263/4).

(6) منهاج السنّة (243،242/4).

وقال الدكتور عبدالكريم زيدان عن المعية في هذه الآية الكريمة وهذه المعية الربانية المستفادة من قوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} أعلى من معيته للمتقين والمحسنين في قوله تعالى {إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} لأن المعية هنا لذات الرسول وذات صاحبه، غير مقيدة بوصف هو عمل لهما، كوصف التقوى والإحسان بل هي خاصة برسوله وصاحبه مكفولة هذه المعية بالتأييد بالآيات وخوارق العادات(1).

7- أنه صاحبه في حال إنزال السكينة والنصر:

قال تعالى {فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا...} (سورة التوبة، الآية 40) فإن من كان صاحبه في حال الخوف الشديد فلأن يكون صاحبه في حضور النصر والتأييد أولى وأحرى، فلم يحتج أن يذكر صحبته له في هذه الحال لدلالة الكلام والحال عليها. وإذا علم أنه صاحبه في هذه الحال علم أنما حصل للرسول من إنزال السكينة والتأييد بالجنود التي لم يرها الناس لصاحبه فيها أعظم مما لسائر الناس. وهذا من بلاغة القرآن وحسن بيانه(2).

ثانياً: فقه النبي ﷺ والصديق في التخطيط والأخذ بالأسباب:

إن من تأمل حادثة الهجرة رأى دقة التخطيط فيها ودقة الأخذ بالأسباب من ابتدائها ومن مقدماتها إلى ماجرى بعدها يدرك أن التخطيط المسدد بالوحي في حياة رسول الله ﷺ كان قائماً وأن التخطيط جزء من السنة النبوية وهو جزء من التكليف الإلهي في كل ماطولب به المسلم وأن الذين يميلون إلى العفوية بحجة أن التخطيط وإحكام الأمور ليسا من السُّنة أمثال هؤلاء مخطئون ويجنون على أنفسهم وعلى المسلمين(3).

فعندما حان وقت الهجرة للنبي ﷺ في التنفيذ نلاحظ الآتي:

أ-وجود التنظيم الدقيق للهجرة حتى نجحت رغم ماكان يكتنفها من صعاب وعقبات، وذلك أن كل أمر من أمور الهجرة كان مدروساً دراسة وافية، فمثلاً،

1-جاء ﷺ إلى بيت أبي بكر في وقت شدة الحر -الوقت الذي لايخرج فيه أحد بل من عادته لم يكن يأتي له لماذا؟ حتى لايراه أحد.

2-إخفاء شخصيته ﷺ أثناء مجيئة للصديق وجاء إلى بيت الصديق متلثماً، لأن التلثم يقلل من إمكانية التعرف على معالم الوجه المتلثم(4).

---

(1) المستفاد من قصص القرآن (100/2).

(2) منهاج السنّة (272/4).

(3) الأساس في السنّة، سعيد حوى (3578).

(4) السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحيطة، ص141.

3-أمر ⇦ أبا بكر أن يخرج من عنده، ولما تكلم لم يبين إلا الأمر بالهجرة دون تحديد الإتجاه .

4-وكان الخروج ليلاً ومن باب خلفي في بيت أبي بكر(1).

5-بلغ الاحتياط مداه، باتخاذ طرق غير مألوفة للقوم، والاستعانة بذلك بخبير يعرف مسالك البادية، ومسارب الصحراء، وكان ذلك الخبير مشركاً مادام على خلق ورزانة وفيه دليل على أن الرسول ⇦ كان لايحجم عن الاستعانة بالخبرات مهما يكن مصدرها(2)، وقد بين الشيخ عبدالكريم زيدان أن القاعدة والأصل عدم الاستعانة بغير المسلم في الأمور العامة، ولهذه القاعدة استثناء وهو جواز الاستعانة بغير المسلم بشروط معينة وهي: تحقق المصلحة أو رجحانها بهذه الاستعانة، وأن لايكون ذلك على حساب الدعوة ومعانيها، وأن يتحقق الوثوق الكافي بمن يستعان به، وأن لاتكون هذه الاستعانة مثار شبهة لأفراد المسلمين، وأن تكون هناك حاجة حقيقية لهذه الاستعانة على وجه الاستثناء، وإذا لم تتحقق لم تجز الاستعانة(3)، وقد كان الصديق ◀ قد دعا أولاده للإسلام ونجح بفضل الله في هذا الدور الكبير والخطير، وقام بتوظيف أسرته لخدمة الإسلام ونجاح هجرة رسول الله ⇦، فوزع بين أولاده المهام الخطيرة في مجال التنفيذ العملي لخطة الهجرة المباركة:

1-دور عبدالله بن أبي بكر-رضي الله عنهما-:

فقد قام بدور صاحب المخابرات الصادق وكشف تحركات العدو، لقد ربى عبدالله على حب دينه، والعمل لنصرته ببصيرة نافذة وفطنة كاملة وذكاء متوقد، يدل على العناية الفائقة التي اتبعها سيدنا أبو بكر في تربيته وقد رسم له أبوه دوره في الهجرة فقام به خير قيام، وكان يمتثل في التنقل بين مجالس أهل مكة يستمع أخبارهم، ومايقولونه في نهارهم ثم يأتي الغار إذا أمسى فيحكي للنبي ⇦ ولأبيه الصديق ◀ مايدور بعقول أهل مكة ومايدبرونه، وقد أتقن عبدالله هذا الواجب بطريقة رائعة فلم تأخذ واحداً من أهل مكة ريبة فيه، وكان يبيت عند الغار حارساً حتى إذا اقترب النهار عاد إلى مكة فما شعر به أحد(4).

2-دور عائشة وأسماء رضي الله عنهما:

كان لأسماء وعائشة دور عظيم أظهر فوائد التربية الصحيحة حيث قامتا عند قدوم النبي ⇦ إلى بيت أبي بكر ليلة الهجرة بتجهيز طعام للنبي ⇦ ولأبيهما: تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فجهزناهما -تقصد رسول الله ⇦ وأباها- أحسن الجهاز فصنعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء

---

(1) معين السيرة للشامي، ص147.

(2) الهجرة في القرآن الكريم، ص361.

(3) المستفاد من قصص القرآن (144/2،145).

(4) السيرة الحلبية (213/2)؛ البداية والنهاية (182/3).

قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب فلذلك سميت ذات النطاقين(1).

3-دور أسماء في تحمل الأذى وإخفاء أسرار المسلمين:

أظهرت أسماء رضي الله عنها دور المسلمة الفاهمة لدينها، المحافظة على أسرار الدعوة المتحملة لتوابع ذلك من الأذى والتعنت فهذه أسماء تحدثنا بنفسها حيث تقول: لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر ◀ أتانا نفر من قريش، فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا على باب أبي بكر، فخرجت إليهم، فقالوا: أين أبوك يابنت أبي بكر؟ قلت: لا أدري والله أين أبي؟ قالت: فرفع أبو جهل يده -وكان فاحشاً خبيثاً- فلطم خدِّي لطمة طرح منها قرطي قالت: ثم انصرفوا...)(2).

فهذا درس من أسماء رضي الله عنها تعلمه لنساء المسلمين جيلاً بعد جيل كيف تخفي أسرار المسلمين عن الأعداء وكيف تقف صامدة شامخة أمام قوى البغي والظلم؟

4-دور أسماء رضي الله عنها في بث الأمان والطمأنينة في البيت:

خرج أبو بكر ◀ مع رسول الله ﷺ ومعه ماله كله وهو ماتبقى من رأسماله -وكان خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم- وجاء أبو قحافة ليتفقد بيت ابنه، ويطمئن على أولاده وقد ذهب بصره، فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه، قالت: كلا يا أبتِ، ضع يدك على هذا المال. قالت: فوضع يده عليه، فقال: لابأس، إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم. لاوالله ماترك لنا شيئاً، ولكني أردت أن أسكّن الشيخ بذلك(3).

وبهذه الفطنة والحكمة سترت أسماء أباها، وسكّنت قلب جدها الضرير، من غير أن تكذب، فإن أباها قد ترك لهم حقاً هذه الأحجار التي كوّمتها لتطمئن لها نفس الشيخ إلا أنه قد ترك لهم معها إيماناً بالله لاتزلزله الجبال، ولاتحركه العواصف الهوج، ولايتأثر بقلة أو كثرة في المال، وورثهم يقيناً وثقة به لاحد لها، وغرس فيهم همة تتعلق بمعالي الأمور، ولاتلتفت إلى سفاسفها، فضرب بهم للبيت المسلم مثالاً عزّ أن يتكرر،وقلّ أن يوجد نظيره.

لقد ضربت أسماء رضي الله عنها بهذه المواقف لنساء وبنات المسلمين مثلاً هُنَّ في أمس الحاجة إلى الإقتداء به، والنسج على منواله وظلت أسماء مع أخواتها في مكة، لاتشكو ضيقاً، ولاتظهر حاجة، حتى بعث النبي ﷺ زيد بن حارثة وأبا رافع مولاه، وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم إلى مكة فقدما عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنتيه، وسودة بنت زمعة زوجه وأسامة بن زيد، وأمه بركة المكناة بأم أيمن،

---

(1) البداية والنهاية (184/3).

(2) الهجرة النبوية المباركة، ص126.

(3) السيرة النبوية لابن هشام (102/2) إسناده صحيح.

وخرج معهما عبدالله بن أبي بكر بعيال أبي بكر، حتى قدموا المدينة مصطحبين(1).

5-دور عامر بن فهيرة-مولى أبي بكر ◄- :

من العادة عند كثير من الناس إهمال الخادم، وقلة الاكتراث بأمره، لكن الدعاة الربانيين لايفعلون ذلك، إنهم يبذلون جهدهم لهداية من يلاقوه لذا أدب الصديق ◄ عامر بن فهيرة مولاه وعلمه، فأضحى عامر جاهزاً لفداء الإسلام وخدمة الدين.

وقد رسم له سيدنا أبو بكر ◄ دوراً هاماً في الهجرة، فكان يرعى الغنم مع رعيان مكة لكن لايلفت الأنظار لشيء، حتى إذا أمسى أراح بغنم سيدنا أبي بكر على النبي ⇦ فاحتلبا وذبحا ثم يكمل عامر دور عبدالله بن أبي بكر حين يغدو من عند رسول الله ⇦ وصاحبه عائداً إلى مكة فيتتبع آثار عبدالله ليعض عليها مما يعد ذكاء، وفطنة في الإعداد لنجاح الهجرة(2).

وإن لدرس عظيم يستفاد من الصديق لكي يهتم المسلمون بالخدم الذين يأتونهم من مشارق الدنيا ومغاربها ويعاملونهم على كونهم بشراً أولاً ثم يعلمونهم الإسلام، فلعل الله يجعل منهم من يحمل هذا الدين كما ينبغي.

إن ماقام به الصديق من تجنيد أسرته لخدمة صاحب الدعوة عليه الصلاة والسلام في هجرته يدل على تدبير للأمور على نحو رائع دقيق، واحتياط للظروف بأسلوب حكيم، ووضع لكل شخص من أشخاص الهجرة في مكانه المناسب، وسد لجميع الثغرات، وتغطية بديعة لكل مطالب الرحلة، واقتصار على العدد اللازم من الأشخاص من غير زيادة ولا إسراف لقد أخذ الرسول ⇦ بالأسباب المعقولة أخذاً قوياً حسب استطاعته وقدرته ... ومن ثم باتت عناية الله متوقعة(3).

إن اتخاذ الأسباب أمر ضروري وواجب، ولكن لايعني ذلك دائماً حصول النتيجة، ذلك لأن هذا أمر يتعلق بأمر الله، ومشيئته ومن هنا كان التوكل أمراً ضرورياً وهو من باب استكمال اتخاذ الأسباب.

إن رسول الله ⇦ أعد كل الأسباب واتخذ كل الوسائل ولكنه في الوقت نفسه مع الله يدعوه ويستنصره أن يكلل سعيه بالنجاح وهنا يستجاب الدعاء، ويكلل العمل بالنجاح(4).

ثالثاً: جندية الصديق الرفيعة وبكائه من الفرح:

تظهر أثر التربية النبوية في جندية أبي بكر الصديق ◄، فأبو بكر ◄ عندما أراد أن يهاجر إلى المدينة وقال له رسول الله ⇦ : (لاتعجل لعل الله يجعل لك صاحباً) فقد بدأ في الإعداد والتخطيط

(1) تاريخ الطبري (100/2)؛ الهجرة النبوية المباركة، ص128.

(2) تاريخ الدعوة في عهد الخلفاء الراشدين، ص115.

(3) أضواء على الهجرة، لتوفيق محمد، ص393-397.

(4) من معين السيرة، ص148.

للهجرة (فابتاع راحلتين واحتبسهما في داره يعلفهما إعداداً لذلك) وفي رواية البخاري، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر-وهو الخبط- أربعة أشهر). لقد كان يدرك بثاقب بصره ◄ وهو الذي تربى ليكون قائداً، أن لحظة الهجرة صعبة قد تأتي فجأة ولذلك هيأ وسيلة الهجرة، ورتب تموينها، وسخر أسرته لخدمة النبي ⇨، وعندما جاء رسول الله ⇨ وأخبره إن الله قد أذن له في الخروج والهجرة، بكا من شدة الفرح وتقول عائشة رضي الله عنها في هذا الشأن: فوالله ماشعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ، إنها قمة الفرح البشري، أن يتحول الفرح إلى بكاء مما قال الشاعر عن هذا:

ورد الكتاب من الحبيب بأنه

سيزورني فاستعبرت اجفاني

غلب السرور عليّ حتى إنني

من فرط ماقد سرني أبكاني

ياعين صار الدمع عندك عادة

تبكين من فرح ومن أحزاني

فالصديق ◄ يعلم أن معنى هذه الصحبة أنه سيكون وحده برفقة رسول رب العالمين بضعة عشرة يوماً على الأقل وهو الذي سيقدم حياته لسيده وقائده وحبيبه المصطفى ⇨ فأي فوز في هذا الوجود يفوق هذا الفوز: أن يتفرد الصديق وحده من دون أهل الأرض ومن دون الصحب جميعاً برفقة سيد الخلق وصحبته كل هذه المدة(1)، وتظهر معاني الحب في الله في خوف أبي بكر وهو في الغار من أن يراهما المشركون ليكون الصديق مثلاً لما ينبغي أن يكون عليه جندي الدعوة الصادق مع قائده الأمين حين يحدق به الخطر من خوف وإشفاق على حياته، فما كان أبو بكر ساعتئذ بالذي يخشى على نفسه الموت، ولو كان كذلك لما رافق رسول الله ⇨ في هذه الهجرة الخطيرة وهو يعلم أن أقل جزائه القتل إن أمسكه المشركون مع رسول الله ⇨، ولكنه كان يخشى على حياة الرسول الكريم ⇨، وعلى مستقبل الإسلام إن وقع الرسول ⇨ في قبضة المشركين(2)، ويظهر الحس الأمني الرفيع للصديق في هجرته مع النبي ⇨ في مواقف كثيرة منها، حين أجاب السائل: من هذا الرجل الذي بين يديك؟ فقال: هذا هادٍ يهديني السبيل، فظن السائل بأن الصديق يقصد الطريق، وإنما كان يقصد سبيل الخير وهذا يدل على حسن استخدام أبي بكر للمعاريض فراراً من الحرج أو الكذب(3)، وفي إجابته للسائل تورية وتنفيذاً للتربية الأمنية التي تلقاها من رسول الله ⇨، لأن الهجرة كانت سراً وقد أقره الرسول ⇨

---

(1) التربية القيادية (192،191/2).

(2) السيرة النبوية دروس وعبر للسباعي، ص71.

(3) الهجرة النبوية المباركة، ص204.

على ذلك(1).

رابعاً: فن قيادة الأرواح وفن التعامل مع النفوس:

يظهر الحب العميق الذي سيطر على قلب ابي بكر لرسول الله ﷺ في الهجرة، كما يظهر حب سائر الصحابة أجمعين في سيرة الحبيب المصطفى ﷺ وهذا الحب الرباني كان نابعاً من القلب، وبإخلاص، لم يكن حب نفاق أو نابعاً من مصلحة دنيوية، أو رغبة في منفعة أو رهبة لمكروه قد يقع ومن أسباب هذا الحب لرسول الله ﷺ صفاته القيادية الرشيدة، فهو يسهر ليناموا، ويتعب ليستريحوا، ويجوع ليشبعوا، كان يفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم، فمن سلك سنن الرسول ﷺ مع صحابته، في حياته الخاصة والعامة، وشارك الناس في أفراحهم وأتراحهم وكان عمله لوجه الله أصابه هذا الحب إن كان من الزعماء أو القادة أو المسؤولين في أمة الإسلام(2).

وصدق الشاعر الليبي أحمد رفيق المهدوي عندما قال:

فإذا أحب الله باطن عبده
ظهرت عليه مواهب الفتاح
وإذا صفت لله نية مصلح
مال العباد عليه بالأرواح(3)

إن القيادة الصحيحة هي التي تستطيع أن تقود الأرواح قبل كل شيء وتستطيع أن تتعامل مع النفوس قبل غيرها، وعلى قدر إحسان القيادة يكون إحسان الجنود وعلى قدر البذل من القيادة يكون الحب من الجنود، فقد كان ﷺ رحيماً، وشفوقاً بجنوده وأتباعه، فهو لم يهاجر إلا بعد أن هاجر معظم أصحابه، ولم يبقى إلا المستضعفين والمفتونين ومن كانت له مهمات خاصة بالهجرة(4).

والجدير بالذكر أن حب الصديق لرسول الله ﷺ كان لله ومما يبين الحب لله والحب لغير الله: أن ابا بكر كان يحب النبي ﷺ مخلصاً لله، وأبوطالب عمه كان يحبه وينصره لهواه لا لله، فتقبل الله عمل أبي بكر وأنزل فيه قوله : {وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى۝الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى۝وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى۝إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى۝وَلَسَوْفَ يَرْضَى۝} (سورة الليل، الآيات:17-21)، وأما أبوطالب فلم يتقبل عمله، بل أدخله النار، لأنه كان مشركاً عاملاً لغير الله. وأبوبكر لم يطلب أجره من الخلق، لا من النبي ﷺ ولا من غيره، بل آمن به وأحبه وكلأه وأعانه من الله، متقرباً بذلك الى الله وطالباً الأجر من الله ويبلغ عن الله أمره ونهيه ووعده

(1) السيرة النبوية للسباعي، ص68.
(2) الهجرة النبوية لأبي فارس، ص54.
(3) الحركة السنوسية للصّلابي (7/2).
(4) الهجرة النبوية المباركة، ص205.

ووعيده(1).

خامساً: مرض أبي بكر الصديق بالمدينة في بداية الهجرة:

كانت هجرة النبي ﷺ وأصحابه عن البلد الأمين تضحية عظيمة عبّر عنها النبي ﷺ بقوله: (والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله الى الله، ولولا أني أخرجت منك ماخرجت)(2).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما تقدم رسول الله ﷺ المدينة قدمها وهي أوبأ ارض الله من الحمى، وكان واديها يجري نجلاً -يعني ماءً آجناً- فأصاب أصحابه منها بلاءً وسقم وصرف الله ذلك عن نبيه. قالت: فكان أبوبكر، وعامر بن فهيرة وبلال في بيت واحد، فأصابتهم الحمى، فاستأذنت رسول الله ﷺ في عيادتهم فأذن، فدخلت إليهم أعودهم وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب وبهم مالا يعلمه إلا الله من شدة الوعك(3)، فدنوت من أبي بكر فقلت:

ياأبت كيف تجدك؟ فقال:

كل امرئ مصبح في أهله

والموت أدنى من شراك نعله

قالت: فقلت والله مايدري أبي مايقول.ثم دنوت من عامر بن فهيرة فقلت: كيف تجدك ياعامر؟ فقال:

لقد وجدت الموت قبل ذوقه

إن الجبان حتفه من فوقه

كل امرئ مجاهد بطوقه(4)

كالثور يحمى جلده بروقه(5)

قالت: قلت: والله مايدري عامر مايقول. قالت: وكان بلال إذا أقلع عنه الحمى اضطجع بفناء البيت ثم يرفع عقيرته(6)، ويقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة

بواد وحولي إذخر(7) وجليل

وهل أُرِدَن يوماً مياه مجَنَة

---

(1) الفتاوى لابن تيمية (286/11).

(2) الترمذي، كتاب المناقب، باب فضل مكة (722/5) رقم 3925.

(3) الوعك: الحمى.

(4) بطوقه: بطاقته.

(5) بروقه: بقرنه.

(6) عقيرته: صوته.

(7) إذخر: نبات طيب الرائحة.

وهل يبدون لي شامة وطفيل(1)

قالت: فأخبرت رسول الله ⇨ بذلك فقال: (اللهم حبِّب إلينا المدينة كحبنا مكة، أو أشد، اللهم وصحّحها وبارك لنا في مدها وصاعها وانقل حمّاها وأجعلها بالجحفة)(2).

وقد استجاب الله دعاء نبيه ⇨ وعوفي المسلمون بعدها من هذه الحمى، وغدت المدينة موطناً ممتازاً لكل الوافدين والمهاجرين إليها من المسلمين على تنوع بيئاتهم ومواطنهم(3).

شرع رسول الله ⇨ بعد استقراره بالمدينة في تثبيت دعائم الدولة الاسلامية، فآخى بين المهاجرين والانصار، ثم أقام المسجد، وأبرم المعاهدة مع اليهود وبدأت حركة السرايا، واهتم بالبناء الاقتصادي والتعليمي والتربوي في المجتمع الجديد، وكان أبوبكر ◄ وزير صدق لرسول الله ⇨ ولازمه في كل أحواله ولم يغيب عن مشهد من المشاهد ولم يبخل بمشورة أو مال أو رأي(4).

---

(1) شامة وطفيل: جبلان مشرفان على مجنة على بريد مكة.

(2) البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء يرفع الوباء والوجع رقم 6372.

(3) التربية القيادية (310/2).

(4) تاريخ الدعوة الى الاسلام في عهد الخلفاء الراشدين، ص121.

المبحث الرابع

الصدِّيق في ميادين الجهاد

ذكر أهل العلم بالتواريخ والسير أن أبابكر شهد مع النبي ﷺ بدراً والمشاهد كلها، ولم يفته منها مشهد، وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد حين انهزم الناس ودفع إليه النبي ﷺ رايته العظمى يوم تبوك وكانت سوداء(1).

---

(1) الطبقات الكبرى (124/1)؛ صفة الصفوة (242/1).

وقال ابن كثير: ولم يختلف أهل السير في أن أبابكر الصديق ◄ لم يتخلف عن رسول الله ⇨ في مشهد من مشاهده كلها(1).

وقال الزمخشري: إنه -يعني أبابكر ◄- كان مضافاً لرسول الله ⇨ الى الأبد، فإنه صحبه صغيراً وأنفق ماله كبيراً، وحمله الى المدينة براحلته وزاده، ولم يزل ينفق عليه ماله في حياته، وزوجه ابنته، ولم يزل ملازماً له سفراً وحضراً ، فلما توفي دفنه في حجرة عائشة أحب النساء إليه ⇨(2).

وعن سلمة بن الأكوع: غزوت مع النبي ⇨ سبع غزوات، وخرجت فيما يبعث من البعوث تسع غزوات مرة علينا أبوبكر ومرة علينا أسامة(3).

ومن خلال هذا المبحث سنحاول أن نتتبع حياة الصديق ◄ الجهادية مع النبي ⇨ لنرى كيف جاهد الصديق بنفسه وماله ورأيه في نصرة دين الله تعالى.

أولاً: أبوبكر ◄ في بدر الكبرى:

شارك الصديق في غزوة بدر وكانت في العام الثاني من الهجرة وكانت له فيها مواقف مشهورة من أهمها:

1- مشورة الحرب:

لما بلغ النبي ⇨ نجاة القافلة وإصرار زعماء مكة على قتال النبي ⇨ استشار رسول الله ⇨ اصحابه في الأمر(4)، فقام أبوبكر فقال وأحسن ثم قام عمر فقال وأحسن(5).

2- دوره في الاستطلاع مع النبي ⇨:

قام النبي ⇨ ومعه أبوبكر يستكشف أحوال جيش المشركين وبينما هما يتجولان في تلك المنطقة لقيا شيخاً من العرب، فسأله رسول الله ⇨ عن جيش قريش، وعن محمد وأصحابه، ومابلغه ⇨ من أخبارهم: فقال الشيخ لا أخبركما حتى تخبراني مما أنتما. فقال له رسول الله ⇨: إذا أخبرتنا أخبرناك فقال: أو ذاك بذاك؟ قال: نعم. فقال الشيخ: فإنه بلغني أن محمداً واصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا -للمكان الذي به جيش المسلمين- وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا -للمكان الذي فيه جيش المشركين فعلاً- ثم قال الشيخ: لقد اخبرتكما عما أردتما، فأخبراني: ممن أنتما؟ فقال رسول

---

(1) أسد الغابة (318/3).

(2) خصائص العشرة الكرام البررة، ص41.

(3) البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي أسامة، رقم 4270.

(4) صحيح البخاري رقم 3952.

(5) السيرة النبوية لابن هشام (447/2).

الله ⇨: نحن من ماء. ثم انصرف النبي ⇨ وأبوبكر عن الشيخ، وبقي هذا الشيخ يقول: مامن ماء؟ أمن ماء العراق(1).

وفي هذا الموقف يتضح قرب الصديق من النبي ⇨ وقد تعلم أبوبكر من رسول الله ⇨ دروساً كثيرة.

3- في حراسة النبي ⇨ في عريشه:

عندما رتب ⇨ الصفوف للقتال رجع الى مقر القيادة وكان عبارة عن عريش على تلِّ مشرف على ساحة القتال وكان معه فيه أبوبكر ◄ وكانت ثلة من شباب الأنصار بقيادة سعد بن معاذ يحرسون عريش رسول الله ⇨(2)، وقد تحدث علي بن أبي طالب ◄ عن هذا الموقف فقال: ياأيها الناس من أشجع الناس؟ فقالوا: أنت ياأمير المؤمنين، فقال: أما إني مابارزني أحد إلا انتصفت منه، ولكن هو أبوبكر: إنا جعلنا لرسول الله ⇨ عريشاً فقلنا من يكون مع رسول الله ⇨ لئلا يهوي إليه أحد من المشركين؟ فوالله مادنا منه أحد إلا أبابكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله ⇨ لا يهوي إليه أحد من المشركين إلا أهوى إليه فهذا اشجع الناس(3).

4- الصديق يتلقى البشارة بالنصر، ويقاتل بجانب رسول الله⇨:

بعد الشروع في الأخذ بالأسباب اتجه رسول الله ⇨ الى ربه يدعوه ويناشده النصر الذي وعده ويقول في دعائه: (اللهم أنجز لي ماوعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام فلا تعبد في الأرض أبداً) ومازال ⇨ يدعو ويستغيث حتى سقط رداوه، فأخذه أبوبكر ورده على منكبيه وهو يقول: يارسول الله كفاك مناشدتك ربك فإنه منجر لك ماوعدك)(4)، وأنزل الله عز وجل: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ} وفي رواية ابن عباس قال: قال النبي ⇨ يوم بدر: (الله انشدك عهد ووعدك، الله إن شئت لم تعبد) فأخذ ابوبكر بيده، فقال: حسبك الله، فخرج ⇨ وهو يقول: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ}(5)، وقد خفق النبي ⇨ خفقة وهو في العريش ثم انتبه فقال: ابشر ياأبابكر أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع) يعني الغبار، قال: ثم خرج رسول الله ⇨ الى الناس فحرضهم(6).

وقد تعلم الصديق من هذا الموقف درساً ربانياً مهماً في التجرد النفسي وحظها والخلوص واللجوء

---

(1) سيرة ابن هشام (228/2).

(2) نفس المصدر (233/2).

(3) البداية والنهاية (271/3-272).

(4) مسلم، كتاب الجهاد، باب الامداد بالملائكة ببدر قم 1763 (1384/3).

(5) البخاري، كتاب المغازي، باب قصة بدر (6/5) رقم 3953.

(6) السيرة النبوية لابن هشام (457/2) نقلاً عن تاريخ الدعوة، ص125.

لله وحده والسجود والجثي بين يدي الله سبحانه لكي ينزل نصره وبقى هذا المشهد راسخاً في ذاكرة الصديق وقلبه ووجدانه يقتدي برسول الله ⇨ في تنفيذه في مثل هذه الساعات، وفي مثل هذه المواطن ويبقى هذا المشهد درساً لكل قائد أو حاكم أو زعيم أو فرد يريد أن يقتدي بالنبي ⇨ وصحابته الكرام.

ولما اشتد أوار المعركة وحمى وطيسها نزل رسول الله ⇨ وحرض على القتال والناس على مصافهم يذكرون الله تعالى، وقد قاتل ⇨ بنفسه قتالاً شديد وكان بجانبه الصديق(1)، وقد ظهرت منه شجاعة وبسالة منقطعة النظير، وكان على استعداد لمقاتلة كل كافر عنيد ولو كان أبنه، وقد شارك ابنه عبدالرحمن في هذه المعركة مع المشركين، وكان من أشجع الشجعان بين العرب، ومن أنفذ الرماة سهماً في قريش، فلما أسلم قال لأبيه: لقد أهدفت لي (أي ظهرت أمامي كهدف واضح) يوم بدر، فملت عنك ولم اقتلك. فقال له أبوبكر: ولكنك لو أهدفت لي لم أمِلْ عنك(2).

5- الصديق والأسرى:

قال ابن عباس ◄: ...فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ⇨ لأبي بكر وعمر: (ماترون في هؤلاء الأسارى؟) فقال أبوبكر: يانبي الله هم بنو العم والعشيرة: أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم الى الاسلام. فقال رسول الله ⇨ : ماترى يابن الخطاب؟ قال: لا والله يارسول، ماأرى الذي يراه أبوبكر، ولكني أرى أن تمكننا منهم، فنضرب أعناقهم، فتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، وتمكنني من فلان (نسيباً لعمر) فأضرب عنقه فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها فهوى رسول الله ⇨ الى ماقال أبوبكر ولم يهو ماقلت: فلما كان الغد جئت فإذا رسول الله ⇨ وأبوبكر قاعدين يبكيان، قلت يارسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما. فقال رسول الله ⇨: أبكي للذي عرض عليّ أصحابك من أخذهم الفداء ولقد عرض عليّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة -شجرة قريبة من النبي ⇨- وأنزل الله عز وجل: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى.....} الى قوله {فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالا طَيِّبًا.....} فأحل الله لهم الغنيمة(3) وفي رواية عن عبدالله بن مسعود ◄ قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله ⇨: (ماتقولون في هؤلاء الأسرى؟) فقال ابوبكر: يارسول الله قومك وأهلك استبقهم واستأن بهم لعل الله أن يتوب عليهم. وقال عمر: يارسول الله أخرجوك وكذبوك قربهم فاضرب أعناقهم. وقال عبدالله بن رواحة: يارسول الله انظر وادياً كثير الحطب، فادخلهم فيه ثم اضرم عليهم ناراً. فقال

---

(1) البداية والنهاية (278/3).

(2) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص94.

(3) مسلم، كتاب الجهاد والسير، رقم 1763 (1385/3).

العباس: قطعت رحمك، فدخل رسول الله ﷺ ولم يرد عليهم شيئاً. فقال ناس: يأخذ بقول ابي بكر، وقال ناس: يأخذ بقول عمر، وقال ناس: يأخذ بقول عبدالله بن رواحة، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: (إن الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن وإن الله ليشد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك ياأبابكر كمثل عيسى عليه السلام إذ قال: {إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (سورة المائدة، الآية:118) وإن مثلك ياعمر كمثل نوح إذ قال: {وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا} (سورة نوح، الآية 26).

وإن مثلك كمثل موسى إذ قال: {وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ} (سورة يونس، الآية 88)(1). كان النبي ﷺ إذ استشار أصحابه أول من يتكلم أبوبكر في الشورى، وربما تلكم غيره، وربما لمن يتكلم غيره، فيعمل برأيه وحده، فإذا خالفه غيره ابتع رأيه دون رأي من يخالفه(2).

ثانياً: في أحد وحمراء الأسد:

في يوم أحد تلقى المسلمون درساً صعباً، فقد تفرقوا من حول النبي ﷺ، وتبعثر الصحابة في أرجاء الميدان، وشاع أن الرسول ﷺ قتل وكان رد الفعل على الصحابة متبايناً، وكان الميدان فسيحاً وكل مشغول بنفسه، وشق الصديق الصفوف وكان اول من وصل الى رسول الله ﷺ، واجتمع الى رسول الله أبوبكر، وأبوعبيدة بن الجراح، وعلي، وطلحة والزبير، وعمر بن الخطاب والحارث بن الصمة، وأبودجانة، وسعد بن ابي وقاص، وغيرهم.... رضي الله عنهم وقصدوا مع رسول الله ﷺ الشعب من جبل أحد في محاولة لاسترداد قوتهم المادية والمعنوية(3).

وكان الصديق إذا ذكر أحد قال: ذلك يوم كله لطلحة ثم أنشأ يحدث قال: كنت أول من فاء يوم أحد، فرأيت رجلاً يقاتل في سبيل الله دونه، قال قلت: كن طلحة حيث فاتني مافاتني، وكان بيني وبين المشركين رجل لا أعرفه، وأنا أقرب الى رسول الله ﷺ منه، وهو يخطلف المشي خطفاً لا أخطفه فإذا هو أبوعبيدة، فانتهينا الى رسول الله ﷺ وقد كسرت رباعيته وشج وجهه، وقد دخل في وجنتيه حلقتان من حلق المغفر، قال رسول الله ﷺ: عليكما صاحبكما: يريد طلحة وقد نزف فلم نلتفت الى قوله، قال: ذهبت لأنزع من وجهه، فقال أبوعبيدة أقسم عليك بحقي لما تركتني فتركته فكره تناولها فيؤذي رسول الله ﷺ فأرزم عليه بفيه فاستخرج إحدى الحلقتين ووقعت ثنيته الأخرى مع الحلقة فكان أبوعبيدة من أحسن الناس هتماً...فأصلحنا من شأن رسول الله ﷺ ثم أتينا طلحة في بعض تلك الحفار

---

(1) مسند أحمد (373/1)؛ تفسير ابن كثير (325/2).

(2) ابوبكر الصديق، محمد مال الله، ص335.

(3) مواقف الصديق مع النبي في المدينة، د. عاطف لماضة، ص27.

فإذا به بضع وسبعون من بين طعنة ورمية، وضربة، وإذا قد قطعت إصبعه فأصلحنا من شأنه(1).

وتتضح منزلة الصديق في هذه الغزوة من موقف أبي سفيان عندما سأل وقال: أفي القوم محمد؟ ثلاث مرات. فنهاهم النبي ﷺ أن يجيبوه. ثم قال: أفي القوم أبن أبي قحافة؟ ثلاث مرات. ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب؟ ثلاث مرات ثم رجع الى أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا(2)... فهذا يدل على ظن أبي سفيان زعيم المشركين حينئذ بأن أعمدة الاسلام، وأساسه رسول الله ﷺ وابوبكر وعمر(3).

وعندما حاول المشركون أن يقبضوا على المسلمين ويستأصلوا شفأتهم، كان التخطيط النبوي الكريم قد سبقهم وأبطل كيدهم، وأمر رسول الله ﷺ المسلمين مع مابهم من جراحات وقرح شديد للخروج في إثر المشركين، فأستجابوا لله ولرسوله مع مابهم من البلاء وانطلقوا فعن عائشة رضي الله عنها قالت لعروة بن الزبير في قوله تعالى: {الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ} (سورة آل عمران، الآية: 172): يأبن أختي كان أبواك منهم: الزبير وأبوبكر لما أصاب رسول الله ﷺ مأصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا قال: من يذهب في إثرهم؟) فانتدب منهم سبعون رجلاً: كان فيهم أبوبكر والزبير(4).

ثالثاً: في غزوة بني النضير، وبني المصطلق وفي الخندق وبني قريظة:

أ- خرج النبي ﷺ الى بني النضير يستعينهم في دية القتيلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية من بني عامر على وجه الخطأ لأن عمراً لم يعلم بالعهد الذي بين بني عامر وبين النبي ﷺ، وكان بين بني النضير وبني عامر حلف وعهد، فلما آتاهم النبي ﷺ قالوا: نعم ياأبا القاسم نعينك على ماأحببت، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه، ورسول الله الى جنب جدار من بيوتهم قاعد. قالوا: فمن يعلوا على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال، ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فيهم أبوبكر وعمر وعلي فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وخرج الى المدينة، فلما استلبث النبي ﷺ أصحابه قالوا في طلبه فرأوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه عنه فقال: رأيته داخلاً المدينة. فأقبل أصحاب النبي ﷺ حتى انتهوا إليه فأخبرهم الخبر بما كانت اليهود أرادت من الغدر به.

فبعث النبي ﷺ محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من جواره وبلده، فبعث إليهم أهل النفاق يحرضونهم على المقام ويعدونهم بالنصر، فقويت نفوسهم وحمى حيي بن أخطب وبعثوا الى رسول الله

---

(1) منحة المعبود (19/2) نقلاً عن تاريخ الدعوة الاسلامية، ص130.

(2) الفتح (188/6)، الفتح (405/7).

(3) مواقف الصديق مع النبي في المدينة، د. عاطف لماضة، ص28.

(4) مسلم رقم 2418.

ﷺ أنه لايخرجون، ونابذوه بنقض العهد فعند ذلك أمر رسول الله ﷺ الناس بالخروج إليهم فحاصروهم خمس عشرة ليلة فتحصنوا في الحصون فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق، ثم أجلاهم على أن لهم ماحملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة فنزلت سورة الحشر(1).

ب-بني المصطلق:

أراد بنو المصطلق أن يغزو المدينة، فخرج لهم رسول الله في أصحابه فلما انتهى إليهم دفع راية المهاجرين إلى أبي بكر الصديق، ويقال إلى عمار بن ياسر وراية الأنصار إلى سعد بن عبادة. ثم أمر عمر بن الخطاب فنادى في الناس أن قولوا لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم فأبوا، فتراموا بالنبل ثم أمر رسول الله ﷺ المسلمين فحملوا حملة رجل واحد فما أفلت منهم رجل واحد، وقتل منهم عشرة وأسر سائرهم، ولم يقتل من المسلمين سوى رجل واحد(2).

ج-في الخندق وبني قريظة:

كان الصديق في الغزوتين مرافقاً للنبي ﷺ، وكان يوم الخندق يحمل التراب في ثيابه وساهم مع الصحابة للإسراع في انجاز حفر الخندق في زمن قياسي مما جعل فكرة الخندق تصيب هدفها في مواجهة المشركين(3).

رابعاً: في الحديبية:

خرج رسول الله ﷺ في ذي القعدة سنة ست من الهجرة يريد زيارة البيت الحرام في كوكبة من الصحابة عددها أربع عشرة مائة وساق معه الهدي وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائر لتعظيم بيت الله الحرام فبعث النبي ﷺ عيناً له من خزاعة فعاد بالخبر أن أهل مكة جمعوا جموعهم لصده عن الكعبة فقال: أشيروا عليَّ أيها الناس، فقال أبو بكر ◀ يارسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لاتريد حربه أو قتل أحد، فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه، قال امضوا على اسم الله، وقد ثارت ثائرة قريش وحلفوا أن لايدخل الرسول ﷺ مكة عنوة ثم قامت المفاوضات بين أهل مكة ورسول الله ﷺ وقد عزم النبي ﷺ على إجابة أهل مكة على طلبهم إن أرادوا شيئاً فيه صلة رحم(4).

أ-في المفاوضات:

جاءت وفود قريش لمفاوضة النبي ﷺ وكان أول من أتى بديل بن ورقاء من خزاعة فلما علم بمقصد النبي ﷺ والمسلمين رجع إلى أهل مكة ثم جاء مكرز بن حفص ثم بالحليس بن علقمة ثم عروة

---

(1) البخاري، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير (217/5)؛ مغازي الواقدي (363/1)؛ البداية والنهاية (86/4).

(2) البداية والنهاية (157/4).

(3) مواقف الصديق مع النبي في المدينة، ص32.

(4) تاريخ الدعوة الى الاسلام، ص136.

بن مسعود الثقفي فدار هذا الحوار بين النبي ﷺ وعروة بن مسعود الثقفي واشترك في هذا الحوار أبو بكر ◀ وبعض أصحابه(1).

قال عروة: يامحمد أجمعت أوباش الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها بهم؟ إنها قريش قد خرجت معها (العوذ المطافيل)- أي خرجت رجالاً ونساءً صغاراً وكباراً- قد لبسوا جلود النمور يعاهدون الله ألا تدخلها عليهم عنوة وايم الله لكأني بهؤلاء يقصد أصحاب النبي ﷺ قد انكشفوا عنك!!

فقال أبو بكر: أمصص بظر(2) اللات -وهي صنم ثقيف- أنحن نفرُّعنه وندعه؟(3) فقال من ذا؟ قالوا أبو بكر. قال: أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك. وكان الصديق قد أحسن إليه قبل ذلك، فرعى حرمته ولم يجاوبه عن هذه الكلمة ولهذا قال من قال من العلماء: إن هذا يدل على جواز التصريح باسم العورة للحاجة والمصلحة، وليس من الفحش المنهي عنه(4).

لقد حاول عروة بن مسعود أن يشن حرباً نفسية على المسلمين حتى يهزمهم معنوياً، ولذلك لوح بقوة المسلمين العسكرية، معتمداً على المبالغة في تصوير الموقف بأنه سيؤول لصالح قريش لامحالة وحاول أن يوقع الفتنة والإرباك في صفوف المسلمين وذلك حينما حاول إضعاف الثقة بين القائد وجنوده عندما قال النبي ﷺ أشواباً من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك، وكان رد الصديق صارماً ومؤثراً في معنويات عروة ونفسيته، فقد كان موقف الصديق في غاية العزة الإيمانية التي قال الله فيها {وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (آل عمران، آية:139).

ب-موقفه من الصلح:

ولما توصل المشركون مع رسول الله ﷺ إلى الصلح بقيادة سهيل بن عمرو أصغى الصديق إلى ماوافق عليه رسول الله ﷺ من طلب المشركين رغم ماقد يظهر للمرء أن في هذا الصلح بعض التجاوز أو الإجحاف بالمسلمين وسار على هدي النبي ﷺ ليقينه بأن النبي لاينطق عن الهوى، وأنه فعل ذلك لشيء أطلعه الله عليه(5).

وقد ذكر المؤرخون أن عمر بن الخطاب أتى رسول الله معلناً معارضته لهذه الاتفاقية وقال لرسول الله ﷺ : ألست برسول الله؟ قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أوليسوا بالمشركين؟

---

(1) نفس المصدر، ص137.

(2) البظر: ماتقطعه الخاتنة من بضع المرأة عند ختانها.

(3) البخاري، كتاب الشروط في الجهاد (237/3) رقم 2732.

(4) ابوبكر الصديق، محمد مال الله، ص350.

(5) تاريخ الدعوة الى الاسلام، ص138.

قال: بلى قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال: إني رسول الله ولست أعصيه(1)، وفي رواية: أنا عبدالله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني(2)، قلت أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال بلى، فأخبرتك أنا نأتيه هذا العام؟ قلت لا، قال فإنك آتيه ومطوف به قال عمر: فأتيت أبا بكر فقلت له: يا أبا بكر: أليس برسول الله: قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ فقال أبو بكر- ناصحاً الفاروق بأن يترك الاحتجاج والمعارضة - إلزم غرزه، فإني أشهد أنه رسول الله، وأن الحق ما أمر به، ولن نخالف أمر الله ولن يضيّعه الله(3)، وكان جواب الصديق مثل جواب رسول الله ⇦ ولم يكن أبو بكر يسمع جواب النبي ⇦، فكان أبو بكر ◄ أكمل موافقة لله وللنبي ⇦ من عمر مع أن عمر ◄ مُحدِّث، ولكن مرتبة الصديق فوق مرتبة المحدث، لأن الصديق يتلقى عن الرسول المعصوم كل مايقوله ويفعله(4).

وقد تحدث الصديق فيما بعد عن هذا الفتح العظيم الذي تم في الحديبية فقال: ماكان فتح أعظم في الإسلام من فتح الحديبية، ولكن الناس يومئذ قَصُرَ رأيهم عما كان بين محمد وربّه، والعباد يَعْجَلون،والله لايعجل كعجلة العباد حتى يبلغ الأمور ما أراد، لقد نظرت إلى سُهيل بن عمرو في حَجَّةِ الوداع قائماً عند المنحر يُقرّب إلى رسول الله ⇦ بَدَنةً، ورسول الله ⇦ ينحرها بيده، ودعا الحلاَّق فحلق رأسه، وانظر إلى سهيل يلتقط من شعره، وأراه يضعه على عينه، وأذكر إباءه أن يُقِرَّ يوم الحديبية بأن يكتب: (بسم الله الرحمن الرحيم) ويأبى الله أن يكتب: محمد رسول الله ⇦ فحمدت الله الذي هداه للإسلام(5).

لقد كان الصديق ◄ أسَدَّ الصحابة رأياً وأكملهم عقلاً(6).

خامساً: في غزوة خيبر، وسرية نجد وبني فزازة:

ضرب رسول الله ⇦ حصاراً على خيبر واستعد لقتالهم، فكان أول قائد يرسله ⇦ أبا بكر ◄ إلى بعض حصون خيبر فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح، وقد جهد، ثم بعث عمر فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح، ثم قال لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، فكان علي بن أبي طالب ◄(7)، وأشار بعض أصحاب النبي ⇦ بقطع النخيل حتى يثخن في اليهود ورضي النبي ⇦ بذلك، فأسرع المسلمون في

---

(1) السيرة النبوية لابن هشام (346/3).

(2) السيرة النبوية لابن هشام (346/3)؛ تاريخ الطبري (364/2).

(3) السيرة النبوية لابن هشام (346/3).

(4) الفتاوى لابن تيمية (117/11).

(5) كنز العمال (30136) نقلاً عن خطب أبي بكر الصديق، محمد أحمد عاشور، ص117.

(6) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص61.

(7) فتوح البلدان (26/1).

قطعة، فذهب الصديق إلى النبي ⇨ وأشار عليه بعدم قطع النخيل لما في ذلك من الخسارة للمسلمين سواء فتحت خيبر عنوة أو صلحاً فقبل النبي ⇨ مشورة الصديق ونادى بالمسلمين بالكف عن قطع النخيل فرفعوا أيديهم(1).

ب-في نجد:

أخرج ابن سعد عن إياس بن سلمة عن أبيه قال: بعث رسول الله ⇨ أبا بكر إلى نجد وأمره علينا فبيتنا ناساً من هوازن فقتلت بيدي سبعة أهل أبيات، وكان شعارنا أَمِتْ أَمِتْ(2).

ج-في بني فزارة:

روى الإمام أحمد من طريق إياس بن سلمة عن أبيه حدثني أبي قال: خرجنا مع أبي بكر بن أبي قحافة وأمره النبي ⇨ علينا، فغزونا بني فزارة، فلما دنونا من الماء أمرنا أبو بكر فعرسنا، فلما صلينا الصبح أمرنا أبو بكر فشننا الغارة فقتلنا على الماء من مر قبلنا قال سلمة ثم نظرت إلى عنق من الناس فيه الذرية والنساء نحو الجبل فرميت بسهم فوقع بينهم وبين الجبل. قال: فجئت بهم أسوقهم إلى أبي بكر حتى أتيته على الماء وفيهم امرأة عليها قشع من أدم ومعها ابنة لها من أحسن العرب قال فنفلني أبو بكر، فما كشفت لها ثوباً حتى قدمت المدينة ثم بت فلم أكشف لها ثوباً، قال فلقيني رسول الله ⇨ في السوق فقال لي: يا سلمة هب لي المرأة قال: فقلت والله يارسول الله لقد أعجبتني وماكشفت لها ثوباً، قال فسكت رسول الله، وتركني حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله في السوق فقال لي: ياسلمة هب لي المرأة قال: فقلت والله يارسول الله والله ماكشفت لها ثوبا وهي لك يارسول الله، قال فبعث بها رسول الله إلى أهل مكة وفي أيديهم أسارى من المسلمين ففداهم رسول الله بتلك المرأة(3).

سادساً: في عمرة القضاء وفي ذات السلاسل:

أ-في عمرة القضاء:

كان الصديق ◄ ضمن المسلمين الذين ذهبوا مع رسول الله ⇨ ليعتمروا عمرة القضاء مكان عمرتهم التي صدهم المشركون عنها(4).

ب-في سرية ذات السلاسل:

قال رافع بن عمرو الطائي ◄ : بعث رسول الله ⇨ عمرو بن العاص على جيش ذات

---

(1) المغازي للواقدي (644/2).

(2) الطبقات الكبرى (124/1)؛ ابوداود، كتاب الجهاد، باب في البيات (43/3).

(3) احمد (430/4)؛ الطبقات (164/4).

(4) تاريخ الدعوة الاسلامية، ص142.

السلاسل(1)، وبعث معه في ذلك الجيش أبا بكر وعمر، رضي الله عنهما، وسَرَاة(2) أصحابه، فانطلقوا حتى نزلوا جبل طَيّ، فقال عمرو: انظروا إلى رجل دليل بالطريق، فقالوا: مانعلمه إلا رافع بن عمرو، فإنه كان رَبيلاً(3) في الجاهلية. قال رافع: فلما قضينا غَزَاتنا وانتهيت إلى المكان الذي كنا خرجنا منه، توسّمت أبا بكر ◄، وكانت له عباءة فدكية(4)، فإذا ركب خَلَّها عليه بخلال(5)، وإذا نزل بسطها فأتيته فقلت: ياصاحب الخِلال، إني توسمتك من بين أصحابك، فائتني بشيء إذا حفظته كنت مثلكم ولا تطوِّل عليّ فأنْسىَ. فقال: تحفظ أصابعك الخمس؟ قلت: نعم، قال: تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وتقيم الصلوات الخمس وتؤتي زكاة مالك إن كان لك مال، وتحج البيت، وتصوم رمضان: هل حفظت؟ قلت نعم، قال: وأخرى لاتُؤَمَّرَنَّ على اثنين قلت: وهل تكون الإمرة إلا فيكم أهل المدَر(6). فقال: يوشك أن تفشو حتى تبلغك ومن هو دونك، إن الله عزوجل لما بعث نبيه ⇦ دخل الناس في الإسلام، فمنهم من دخل لله فهداه الله، ومنهم من أكرهه السَّيف، فكلهم عُوَّاد الله وجيران الله وخَفَارةُ(7) الله، إن الرجل إذا كان أميراً، فتظالم الناس بينهم فلم يأخذ لبعضهم من بعض انتقم الله منه، إن الرجل منكم لتؤخذ شاة جاره فيظل نَاتِئ(8) عضلته غضباً لجاره والله من وراء جاره(9).

ففي هذه النصيحة دروس وعبر لإبناء المسلمين يقدمها الصحابي الجليل أبو بكر الصديق الذي تربى على الإسلام وعلى يد رسول الله ⇦ من أهمها:

1-أهمية العبادات: الصلاة لأنها عماد الدين، والزكاة والصوم والحج.

2-عدم طلب الإمارة (ولاتكونن أميراً) تماماً كما أوصى رسول الله ⇦، أبا ذر الغفاري (وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها)(10) ولذلك فإن أبا بكر الفاهم الواعي لكلام حبيبه محمد ⇦ جاء في رواية: وأنه من يك أميراً فإنه أطول الناس حساباً، وأغلظهم عذاباً، ومن لايكن أميراً فإنه من أيسر الناس حساباً، وأهونهم عذاباً(11)، فهذا فهم الصديق لمقام الإمارة.

---

(1) ذات السلاسل: مكان وراء وادي القرس وبينها وبين المدينة عشرة أيام.

(2) شرفاء: اصحابه.

(3) الربيل: اللص يغزو وحده ويغير على غيره.

(4) منسوبة الى فدك، وهي قرية من خيبر، بينها وبين المدينة ست ليال.

(5) خَلَّها عليه أي جمع بين طرفيها بخلال من عود أو حديد.

(6) المدر: الطين اللزج المتماسك والمعقود سكان البيوت المبنية.

(7) الخفارة: الذمة والعهد والأمان.

(8) الناتئ: المرتفع والمنتفخ.

(9) العضلة: هي القطعة من اللحم الشديد. انظر: مجمع الزوائد (202/5).

(10) مسلم، كتاب الامارة رقم 1825.

(11) استخلاف أبي بكر الصديق، جمال عبدالهادي، ص139.

3-إن الله حرم الظلم على نفسه، ونهى عباده أن يتظالموا، أن يظلم بعضهم بعضا، لأن الظلم ظلمات يوم القيامة، كما نهى عن ظلم المؤمنين(من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب)(1)، وهم جيران الله، وهم عواذ الله، والله أحق أن يغضب لجيرانه(2).

4-على عهد الصدر الأول كان أمراء الأمة خيارها، وجاء وقت فشاء أمرها (الإمارة) وكثرت حتى نالها من ليس لها بأهل: إن هذه الإمارة ليسيرة، وقد أوشكت أن تفشوا حتى ينالها من ليس لها بأهل(3).

5-وفي غزوة ذات السلاسل ظهر موقف متميز للصديق في احترام الأمراء مما يثبت أن أبا بكر كان صاحب نفس تنطوي على قوة هائلة، وقدرة متميزة في بناء الرجال، وتقديرهم واحترامهم(4)، فعن عبدالله بن بريدة قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل وفيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فلما انتهوا إلى مكان الحرب أمرهم عمرو أن لاينوروا ناراً، فغضب عمر وهم أن يأتيه، فنهاه أبو بكر، وأخبره أن الرسول ﷺ لم يستعمله عليك إلا لعلمه بالحرب فهدأ عنه عمر ◀(5).

سابعاً: في فتح مكة وحنين والطائف:

أ-في فتح مكة 8هـ:

كان سبب الفتح بعد هدنة الحديبية ماذكره ابن اسحاق قال: حدثني الزهري عن عروة ابن الزبير عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم أنهما حدثاه جميعاً قالا: في صلح الحديبية أنه من شاء أن يدخل في عقد محمد دخل، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل، فتواثبت خزاعة وقالوا نحن ندخل في عقد محمد وعهده، وتواثبت بنو بكر وقالوا نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم، فمكثوا في ذلك نحو السبعة أو الثمانية عشر شهراً، ثم إن بني بكر وثبوا على خزاعة ليلاً بماء يقال له الوتير- وهو قريب من مكة - وقالت قريش مايعلم بنا محمد، وهذا الليل ومايرانا من أحد فأعانوهم عليهم بالكراع والسلاح وقاتلوهم معهم للضغن على رسول الله ﷺ فقدم عمرو بن سالم إلى المدينة فأنشد رسول الله ﷺ قائلاً:

اللهم إني ناشد محمداً

---

(1) مسند أحمد (256/6).

(2) استخلاف أبي بكر، جمال عبدالهادي، ص140.

(3) نفس المصدر، ص140.

(4) تاريخ الدعوة الى الاسلام، ص382.

(5) الحاكم في المستدرك وقال حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي صحيح كتاب المغازي (42/3).

حلف أبينا وأبيك الأتلدا
فانصر هداك الله نصراً أعتدا
وادع عباد الله يأتوا مددا

فقال النبي ﷺ: نصرت ياعمرو بن سالم(1).

وتجهز النبي ﷺ مع صحابته للخروج إلى مكة، وكتم الخبر، ودعا الله أن يعمي على قريش حتى تفاجأ بالجيش المسلم يفتح مكة وخافت قريش أن يعلم النبي ﷺ بما حدث فخرج أبو سفيان من مكة إلى رسول الله فقال: يامحمد، أشدد العقد، وزدنا في المدة، فقال النبي ﷺ: ولذلك قدمت؟ هل كان من حدث قبلكم، فقال معاذ الله نحن على عهدنا وصلحنا يوم الحديبية لانغير ولانبدل، فخرج من عند النبي ﷺ يقصد مقابلة الصحابة عليهم الرضوان(2).

1-أبو بكر وأبو سفيان:

طلب أبو سفيان من أبي بكر ◀ أن يجدد العقد ويزدهم في المدة، فقال أبو بكر: جواري في جوار رسول الله ﷺ، والله لو وجدت الذر تقاتلكم لأعنتها عليكم. وهنا تظهر فطنة الصديق وحنكته السياسية ثم يظهر الإيمان القوي بالحق الذي هو عليه ويعلن أمام أبي سفيان دون خوف أنه مستعد لحرب قريش بكل مايمكن ولو وجد الذر تقاتل قريشاً لأعانها عليها(3).

2-بين عائشة وأبي بكر الصديق رضي الله عنهما:

دخل الصديق ◀ على عائشة وهي تغربل حنطة وقد أمرها النبي ﷺ بأن تخفي ذلك .. فقال لها أبو بكر: يابنية لم تصنعين هذا الطعام؟ فسكتت، فقال: أيريد رسول الله أن يغزو؟ فصمتت، فقال لعله يريد بني الأصفر - أي الروم - فصمتت، فقال لعله يريد أهل نجد؟ فصمتت، فقال لعله يريد قريشاً، فصمتت، فدخل رسول الله ﷺ فقال الصديق له: يارسول الله أتريد أن تخرج مخرجاً؟ قال: نعم، لعل تريد بني الأصفر؟ قال: لا، قال: أتريد أهل نجد؟ قال: لا، قال: فلعلك تريد قريشاً؟ قال: نعم. قال أبو بكر: يارسول الله أليس بينك وبينهم مدة؟ قال: ألم يبلغك ماصنعوا ببني كعب؟

وهنا سلم أبو بكر للنبي ﷺ وجهز نفسه ليكون مع القائد ﷺ في هذه المهمة الكبرى وذهب مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار فلم يتخلف منهم أحد(4) .

3-الصديق في دخول مكة:

---

(1) السيرة النبوية لابن هشام (44/4).

(2) التاريخ السياسي والعسكري، د. علي معطي، ص365؛ الطبري (43/3).

(3) تاريخ الدعوة الاسلامية، ص145.

(4) مغازي الواقدي (796/2).

لما دخل النبي ﷺ مكة في عام الفتح وكان بجانبه أبو بكر رأى النساء يلطمن وجوه الخيل فابتسم إلى أبي بكر ◀ وقال: يا أبا بكر كيف قال حسان؟ فأنشد أبو بكر:

عَدِمْنَا خَيلنا إن لم تروْها
تُثير النَّقعَ مَوْعِدُها كَدَاءُ
يبارِيْنَ الأَسِنَّة مُصغيات
على أكتَافِها الأسلُ الظّباءُ
تظلُّ جيادُنا متمطِّرات
تلطمهُنَّ بالخُمرِ النساءُ(1)

فقال النبي ﷺ: ادخلوها من حيث قال حسان(2)، وقد تمَّت النعمة على الصديق في هذا الجو العظيم بإسلام أبيه أبي قحافة(3) .

ب-في حنين:

أخذ المسلمون يوم حنين درساً قاسياً، إذ لحقتهم هزيمة في أول المعركة جعلتهم يفرون من هول المفاجأة وكانوا كما قال الإمام الطبري: فانشمروا لايلوي أحدٌ على أحد(4) وجعل رسول الله ﷺ يقول: أين أيها الناس، هلموا إليَّ، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبدالله .. يامعشر الأنصار، أنا عبدالله ورسوله.. ثم نادى عمه العباس وكان جهوري الصوت فقال له: ياعباس ناد: يامعشر الأنصار، يا أصحاب السمرة(5)، كان هذا هو حال المسلمين في أول المعركة، النبي وحده لم يثبت معه أحد إلا قلة، ولم تكن الفئة التي صبرت مع النبي إلا فئة من الصحابة يتقدمهم الصديق ◀ ثم نصرهم الله بعد ذلك نصراً عزيزاً مؤزراً(6)، وكانت هناك بعض المواقف للصديق منها:

1-فتوى الصديق بين يدي رسول الله:

قال ابو قتادة: لما كان يوم حنين نظرت إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلاً من المشركين، وآخر من المشركين يختله من ورائه ليقتله فأسرعت إلى الذي يختله فرفع ليضربني وأضرب يده فقطعتها ثم أخذني فضمني ضمّاً شديداً حتى تخوفت ثم ترك فتحلل ودفعته ثم قتلته وانهزم المسلمون وانهزمت معهم، فإذا بعمر بن الخطاب في الناس، فقلت له: ماشأن الناس؟ قال أمر الله ثم تراجع الناس إلى رسول الله،

---

(1) الحاكم في المستدرك: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي (72/3).

(2) نفس المرجع السابق (72/3)؛ الطبري (42/3).

(3) تاريخ الدعوة الاسلامية، ص147.

(4) تاريخ الطبري (74/3).

(5) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين (1398/3) رقم 1775.

(6) مواقف الصديق مع النبي في المدينة، ص43.

فقال رسول الله: من أقام بينة على قتيل قتله، فله سلبه، فقمت لألتمس بينة قتيلي فلم أرَ أحداً يشهد لي، فجلست ثم بدا لي فذكرت أمره لرسول الله ⇨ فقال رجل من جلسائه: سلاح هذا القتيل الذي يذكر عندي، فأرضه منه فقال أبو بكر: كلا لايعطيه(1)، أصيبغ من قريش ويدع(2) أسداً من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله ⇨، قال: فقام رسول الله ⇨ فأدّاه إليّ فاشتريت منه خرافاً(3)، فكان أول مال تأشَّلته في الإسلام(4).

إن مبادرة الصديق في الزجر والردع والفتوى واليمين على ذلك في حضرة رسول الله ⇨، ثم يصدقه الرسول فيما قال ويحكم بقوله خصوصية شرف، لم تكن لأحد غيره(5) ونلحظ في الخبر السابق أن أبا قتادة الأنصاري ◀ حرص على سلامة أخيه المسلم وقتل ذلك الكافر بعد جهد عظيم، كما أن موقف الصديق ◀ فيه دلالة على حرصه على إحقاق الحق والدفاع عنه ودليل على رسوخ إيمانه وعمق يقينه وتقديره لرابطة الأخوة الإسلامية وأنها بمنزلة رفيعة بالنسبة له(6).

2-الصديق وشعر عباس بن مرداس:

حين استقل العباس بن مرداس عطاءه من غنائم حنين قال شعراً عاتب فيه رسول الله ⇨ حيث قال:

كانت نهابا تلافيتها
بكرّي على المهرِ في الأجْرَع
وإيقاظي القومَ أن يرقدوا
إذا هجع الناس لم أهجع
فأصبح نهبي ونهب العبيد
بين عيينة والأقرع(7)
وقد كنت في الحرب ذا تُدْراء
فلم أُعطَ شيئاً ولم أُمْنَع
إلا أفائل أعطيتها
عديد قوائمها الأربع(8)
وما كان حصن ولاحابس

---

(1) لا يعطه: أي لايعطي رسول الله. وقوله أصيبغ نوع من الطيور شبه له لعجزه وضعفه.

(2) يدع: يترك.

(3) خرافاً: أي بستاناً أقام الثمر مقام الأصل.

(4) البخاري، كتاب المغازي (119/5) رقم 4322.

(5) الرياض الناظرة في مناقب العشرة، ابي جعفر محب الدين، ص185.

(6) التاريخ الاسلامي للحميدي (26/8).

(7) العبيد: اسم فرس عباسد بن مرداس.

(8) الأفائل: الصغار من الأبل، الواحد أفيل.

يفوقان شيخي في المجمع
وماكنت دون امرئ منهما
ومن تضع اليوم لايُرْفعِ(1)

فقال رسول الله ﷺ: اذهبوا به، فأقطعوا عني لسانه، فأعطوه حتى رَضي، فكان ذلك قطع لسانه الذي أمر به رسول الله ﷺ(2).

وأتى العباس رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: أنت القائل: فأصبح نهبي ونهبُ العبيد بين الأقرع وعيينة؟ فقال ابوبكر الصديق: بين عيينة والأقرع؛ فقال رسول الله ﷺ: (هما واحد)، فقال أبوبكر: أشهد أنك كما قال الله تعالى: {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ} (سورة يس، الآية 69)(3).

ج- في الطائف:

في حصار الطائف وقعت جراحات في اصحاب النبي ﷺ وشهادة، ورفع رسول الله ﷺ عن أهل الطائف الحصار ورجع الى المدينة وممن استشهد من المسلمين في هذه الغزوة عبدالله بن أبي بكر رضي الله عنهما رمي بسم فتوفي منه بالمدينة بعد وفاة النبي ﷺ(4).

وعندما قدم وفد ثقيف للمدينة ليعلنوا إسلامهم فما إن ظهر الوفد قرب المدينة حتى تنافس كل من أبي بكر والمغيرة على أن يكون هو البشير بقدوم الوفد للرسول ﷺ، وفاز الصديق بتلك البشارة(5)، وبعد أن أعلنوا إسلامهم وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابهم وأراد أن يؤمّر عليهم أشار أبوبكر بعثمان بن أبي العاص بن أبي العاص -وكان أحدثهم سناً فقال الصديق: يارسول الله إني رأيت هذا الغلام من أحرصهم على التفقه في الاسلام وتعلم القرآن(6)، فقد كان عثمان بن أبي العاص كلما نام قومه بالهاجرة، عمد الى رسول الله ﷺ فساله في الدين واستقرأه القرآن حتى فقه في الدين وعلم، وكان إذا وجد رسول الله ﷺ نائماً عمد الى أبي بكر وكان يكتم ذلك عن أصحابه فأعجب ذلك رسول الله ﷺ وعجب منه وأحبه(7).

وعندما علم الصديق بصاحب السهم الذي أصاب أبنه كانت له مقوله تدل على عظمة إيمانه فعن القاسم بن محمد قال: رُمِيَ عبدالله بن أبي بكر رضي الله عنهما بسهم يوم الطائف، فانتفضت به بعد

---

(1) السيرة النبوية لابن هشام (147/4).

(2) نفس المصدر (147/4).

(3) المصدر السابق (147/4).

(4) تاريخ الدعوة الاسلامية، ص151.

(5) السيرة النبوية لابن هشام (193/4).

(6) تاريخ الدعوة الاسلامية، ص152.

(7) تاريخ الاسلام للذهبي، المغازي، ص670.

وفاة رسول الله ﷺ بأربعين ليلة، فمات فقدم عليه وفد ثقيف ولم يزل ذلك السهم عنده، فأخرجه إليهم فقال: هل يعرف هذا السَّهمَ منكم أحد؟ فقال سعيد بن عبيد، أخو بني عجلان: هذا سهم أنا بَرِيْتُهُ ورشته(1)، عقبته(2)، وأنا رميت به. فقال أبوبكر ◄: فإن هذا السهم الذي قتل عبدالله بن أبي بكر، فالحمدلله الذي أكرمه بيدك، ولم يُهِنك بيده، فإنه أوسع لكما(3).

ثامناً: في غزوة تبوك، وإمارة الحج، وفي حجة الوداع:

أ- في تبوك:

خرج رسول الله ﷺ بجيش عظيم في غزوة تبوك بلغ عدده ثلاثين ألفاً وكان يريد قتال الروم بالشام، وعندما تجمع المسلمون عند ثنية الوداع بقيادة رسول الله ﷺ، اختار الأمراء والقادة وعقد الألوية والرايات لهم، فأعطى لواءه الأعظم الى أبي بكر الصديق ◄(4)، وفي هذه الغزوة ظهرت بعض المواقف للصديق منها:

1- موقفه من وفاة الصحابي عبدالله ذو البجادين رضي الله عنه:

قال عبدالله بن مسعود ◄: قمت في جوف الليل وأنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قال: فرأيت شعلة من نار من ناحية العسكر، قال: فاتبعتها، أنظر إليها فإذا رسول الله ﷺ وأبوبكر وعمر، وإذا عبدالله ذو البجادين المزني قد مات، وإذا هم قد حفروا له، ورسول الله في حضرته، وأبوبكر وعمر يدليانه إليه، وهو يقول: أدنيا الى أخاكما، فدلياه إليه، فلما هيأه بشقه قال: اللهم إني أمسيت راضياً عنه فارض عنه. قال (الراوي عبدالله ابن مسعود): قال عبدالله بن مسعود: ياليتني كنت صاحب الحفرة(5).

وكان الصديق ◄ إذا دخل الميت اللحد قال: بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ، وباليقين وبالبعث بعد الموت(6).

2- طلب الصديق من رسول الله ﷺ الدعاء للمسلمين:

قال عمر بن الخطاب: خرجنا الى تبوك في قيظ شديد، فنزلنا منزلاً وأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستقطع حتى إن الرجل لينحر بعيره فيعتصر فرثه فيشربه، ثم يجعل مابقي على كبده، فقال

---

(1) رشته: وصنعت فيه الريش.

(2) عقبته: جذبته من عقبه.

(3) خطب أبي بكرالصديق، محمد أحمد عاشور، ص118، والرواية فيها انقطاع.

(4) صفة الصفوة (243/1).

(5) صحيح السيرة النبوية، ص598.

(6) مصنف عبدالرزاق (497/3) نقلاً عن موسوعة فقه الصديق، ص222.

أبوبكر الصديق، يارسول الله إن الله قد عوّدك في الدعاء خيراً، فأدع الله، قال: أتحب ذلك؟ قال: نعم، فرفع يديه فلم يردهما حتى قالت السماء -أي تهيئت لإنزال مائها- فأظلت -أي أنزلت مطراً خفيفاً- ثم سكبت فملأوا مامعهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر(1).

3- نفقة الصديق في تبوك:

حث رسول الله ﷺ الصحابة في غزوة تبوك على الإنفاق بسبب بعدها، وكثرة المشركين فيها، ووعد المنفقين بالأجر العظيم من الله، فأنفق كل حسب مقدرته وكان عثمان ◀ صاحب القدح المعلى في الإنفاق في هذه الغزوة(2).

وتصدق عمر بن الخطاب بنصف ماله وظن أنه سيسبق أبابكر بذلك ونترك الفاروق يحدثنا بنفسه عن ذلك حيث قال: أمرنا رسول الله ﷺ يوماً أن نتصدق، فوافق ذلك مالا عندي، فقلت اليوم أسبق أبابكر إن سبقته يوماً، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ، ماأبقيت لأهلك؟ قلت: مثله، قال: وأتى أبوبكر ◀ بكل ماعنده، فقال له رسول الله ﷺ: ماأبقيت لأهلك؟ قال أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لاأسابقك الى شيء أبداً(3).

كان فعل عمر فيما فعله من المنافسة والغبطة مباحاً ولكن حال الصديق ◀ أفضل منه لانه خال من المنافسة مطلقاً ولا ينظر الى غيره(4).

ب- الصديق أمير الحج سنة 9هـ:

كانت تربية المجتمع وبناء الدولة في عصر النبي ﷺ مستمرة على كافة الأصعدة والمجالات العقائدية والاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية والعسكرية والتعبدية وكانت فريضة الحج لم تمارس في السنوات الماضية، وحجة عام 8هـ بعد الفتح كُلِّف بها عتّاب بن أسيد، ولم تكن قد تميزت حجة المسلمين عن حجة المشركين(5)، فلما حل موسم الحج أراد الحج ﷺ ولكنه قال: (إنه يحضر البيت عراة مشركون يطوفون بالبيت، فلا أحب أن أ حج حتى لايكون ذلك) فأرسل النبي ﷺ الصديق أميراً على الحج سنة تسعة هجرية، فخرج أبوبكر الصديق بركب الحجيج نزلت سورة براءة فدعا النبي ﷺ علياً ◀ وأمره أن يلحق بأبي بكر الصديق، فخرج على ناقة رسول الله ﷺ: العضباء حتى أدرك الصديق ابابكر بذي حليفة، فلما رآه الصديق قال له: أمير أم مأمور؟ فقال: بل مأمور، ثم سار، فأقام أبوبكر للناس الحج

---

(1) ابن حبان، كتاب الجهاد، باب غزوة تبوك رقم 1707.

(2) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص615.

(3) سنن ابي داود، كتاب الزكاة (2/312-313) رقم 1678 وحسنه الألباني.

(4) الفتاوى لابن تيمية (10/72،73).

(5) دراسات في عهد النبوة، عماد الدين خليل، ص222.

على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية، وكان الحج في هذا العام في ذي الحجة كما دلت على ذلك الروايات الصحيحة لا في شهر ذي القعدة كما قيل، وقد خطب الصديق قبل التروية، ويوم عرفة، ويوم النحر، ويوم النفر الأول فكان يعرّف الناس مناسكهم: في وقوفهم وإفاضتهم، ونحرهم، ونفرهم، ورميهم للجمرات..الخ وعلي بن أبي طالب يخلفه في كل موقف من هذه المواقف فيقرأ على الناس صدر سورة براءة ثم ينادي في الناس بهذه الأمور الأربعة: لا يدخل الجنة إلا مؤمن، ولايطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فعهده الى مدته، ولايحج بعد العام مشرك(1).

وقد أمر الصديق ابا هريرة في رهط آخر من الصحابة لمساعدة علي بن أبي طالب في إنجاز مهمته(2).

وقد كلف النبي ﷺ علياً بإعلان نقض العهود على مسامع المشركين في موسم الحج مراعاة لما تعارف عليه العرب فيما بينهم من عقد العهود ونقضها أن لايتولى ذلك إلا سيد القبيلة أو رجل من رهطه، وهذا العرف ليس فيه منافاة للاسلام فلذلك تدارك النبي ﷺ الأمر وأرسل علياً بذلك فهذا هو السبب في تكليف علياً ◄ بتبليغ صدر سورة براءة لا مازعمته الرافضة من أن ذلك للإشارة الى أن علياً ◄ أحق بالخلافة من أبي بكر وقد علق على ذلك الدكتور محمد ابو شهبة فقال: ولا أدري كيف غفلوا عن قول الصديق له: أمير أم مأمور(3)؟ وكيف يكون المأمور أحق بالخلافة من الأمير(4).

وقد كانت هذه الحجة بمثابة التوطئة للحجة الكبرى وهي حجة الوداع(5)، لقد أعلن في حجة أبي بكر أن عهد الأصنام قد انقضى، وأن مرحلة جديدة قد بدأت، وماعلى الناس إلا أن يستجيبوا لشرع الله تعالى، فبعد هذا الإعلان الذي انتشر بين قبائل العرب في الجزيرة، ايقنت تلك القبائل أن الأمر جد، وأن عهد الوثنية قد انقضى فعلاً فأخذت ترسل وفودها معلنة إسلامها ودخولها في التوحيد(6).

ج- في حجة الوداع:

روى الامام أحمد ◄ بسنده الى عبدالله بن الزبير عن أبيه أن أسماء بنت أبي بكر قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ حجاجاً حتى أدركنا (العرج)(7) نزل رسول الله ﷺ، فجلست عائشة جنب النبي

---

(1) صحيح السيرة النبوية، ص625.

(2) السيرة النبوية لأبي شهبة (537/2).

(3) صحيح السيرة النبوية، ص624.

(4) السيرة النبوية لأبي شهبة (540/2).

(5) نفس المصدر (540/2).

(6) قراءة سياسية للسيرة النبوية، قلعجي، ص283.

(7) العَرْج: واد فحل من أودية الحجاز التهامية. معجم المعالم الجغرافية، ص203.

➪ ، وزمالة أبي بكر واحدة مع غلام لأبي بكر فجلس أبوبكر ينتظر أن يطلع عليه، فطلع وليس معه بعيره!! فقال: أين بعيرك؟ فقال: أظللته البارحة! فقال أبوبكر: بعير واحد تضله!! فطفق يضربه ورسول الله يبتسم ويقول: انظروا الى هذا المحرم ومايصنع(1).

المبحث الخامس

الصديق في المجتمع المدني وبعض صفاته وشيء من فضائله

كانت حياة الصديق في المجتمع المدني مليئة بالدروس والعبر وتركت لنا نموذجاً حياً لفهم الاسلام وتطبيقه في دنيا الناس وقد تميزت شخصية الصديق بصفات عظيمة ومدحه رسول الله في أحاديث كثيرة وبين فضله وتقدمه على كثير من الصحابة رضي الله عنهم أجمين.

أولاً: من مواقفه في المجتع المدني:

1- موقفه من فنحاص الحبر اليهودي:

ذكر غير واحد من كتّاب السيّر والمفسرين أن أبابكر ◀ دخل بيت المدارس(2)، على يهود، فوجد منهم ناساً قد اجتمعوا الى رجل منهم، يقال له فنحاص، وكان من علمائهم وأحبارهم، ومعه حبر من أحبارهم، يقال له أشيع(3)، فقال أبوبكر لفنحاص: ويحك! اتق الله وأسلم، فوالله إنك تعلم أن

(1) مسند أحمد (344/6).

(2) مكان يتلى فيه التوارة.

(3) السيرة النبوية لابن هشام (558/1-559).

محمداً لرسول الله، قد جاءكم بالحق من عنده، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والانجيل، فقال فنحاص لأبي بكر: ولله ياأبابكر، مابنا الى الله من فقر، وإنه إلينا لفقير، ومانتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء وماهو عنا بغني، ولو كان عنا غنياً ماستقرضنا أموالنا، كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويعطيناه، ولو كان غنياً ماأعطانا الربا فغضب أبوبكر، فضرب وجه فنحاص ضرباً شديداً، وقال: والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت رأسك، أي عدو الله، فذهب فنحاص الى رسول الله ⇨، فقال: يامحمد انظر ماصنع بي صاحبك. فقال رسول الله ⇨ لأبي بكر: ماحملك على ماصنعت؟ فقال أبوبكر: يارسول الله، إن عدو الله قال قولاً عظيماً، إنه يزعم أن الله فقير وأنهم أغنياء فلما قال ذلك غضبت لله مما قال، وضربت وجهه، فجحد ذلك فنحاص وقال: ماقلت ذلك، فأنزل الله تعالى فيما قال فنحاص رداً عليه، وتصديقاً لأبي بكر: {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} (سورة آل عمران، الآية: 181).

ونزل في ابي بكر الصديق ◀، ومابلغه في ذلك من الغضب(1) قوله تعالى {لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} (سورة آل عمران، الآية:186).

2- حفظ سر النبي ⇨:

قال عمر بن الخطاب: تأيمت حفصة من خنيس بن حذافة، وكان مما شهد بدراً، فلقيت عثمان بن عفان فقلت: إن شئت انكحتك حفصة، فقال: أنظر ثم لقيني فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا، فلقيت أبابكر فعرضتها عليه فصمت فكنت عليه أوجد مني على عثمان، فلبثت ليالي ثم خطبها رسول الله ⇨ فأنكحتها إياه، ثم لقيني أبوبكر فقال: لعلك وجدت عليّ حين لم أرجع إليك، فقلت: أجل فقال: إنه لم يمنعني أن أرجع إليك إلا أني علمت أن رسول الله ⇨ قد ذكرها فلم أكن لأفشي سر رسول الله ⇨ ولو تركها لنكحتها(2).

3- الصديق وآية صلاة الجمعة:

قال جابر بن عبدالله بينما النبي ⇨ يخطب يوم الجمعة، وقدمت عيرُ المدينة، فابتدرها أصحاب رسول الله ⇨ حتى لم يبق معه ⇨ إلا اثنا عشر رجلاً، فنزلت هذه الآية: {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} (سورة الجمعة، الآية 11) وقال: في الاثنعشر الذين ثبتوا مع رسول الله ⇨ أبوبكر وعمر(3).

---

(1) تفسير القرطبي (295/4).

(2) الفتح (81/9)؛ الطبقات الكبرى (82/8).

(3) الإحسان في تقريب صحيح بن حيان (300/15)؛ مسلم رقم 863.

4- رسول الله ﷺ ينفي الخيلاء عن أبي بكر:

قال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: (من جر ثوبه خُيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة)، فقال أبوبكر: إن أحد شِقيَّ يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه. فقال رسول الله ﷺ: (إنك لست تصنع ذلك خُيلاء)(1).

5- الصديق وتحريه للحلال:

عن قيس بن أبي حازم قال: كان لأبي بكر غلام فكان إذا جاء بغلتّه لم يأكل من غلته حتى يسأل، فإن كان شيئاً مما يحب أكل، وإن كان شيئاً يكره لم يأكل، قال: فنسي ليلة فأكل ولم يسأله، ثم سأله فأخبره أنه من شيء كرهه، فأدخل يده فتقيأ حتى لم يترك شيئاً(2).

فهذا مثال على ورع أبي بكر ◄ حيث كان يتحرى الحلال في مطعمه ومشربه، ويتجنب الشبهات، وهذه الخصلة تدل على بلوغه درجات عُليا في التقوى، ولا يَخفَى أهمية طيب المطعم والمشرب والملبس في الدين، وعلاقة ذلك بإجابة الدعاء(3)، كما في حديث الأشعث الأغبر وفيه: (يمد يديه الى السماء: يارب ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذي بالحرام، فأنى يُستجاب لذلك)(4).

6- أدخلاني في السلم، كما أدخلتماني في الحرب:

دخل أبوبكر الصديق ◄ على النبي ﷺ فسمع صوت ابنته عائشة عالياً فلما اقترب منها تناولها ليلطمها وقال: اراك ترفعين صوتك على رسول الله، فجعل رسول الله بحجزه، وخرج أبوبكر مغضباً فقال النبي ﷺ لعائشة حين خرج أبوبكر: أرايت كيف أنقذتك من الرجل؟ فمكث أبوبكر أياماً، ثم أستأذن على رسول الله فوجدهما قد اصطلحا. فقال لهما: (أدخلاني في سلمكما، كما أدخلتماني في حربكما) فقال النبي ﷺ: (قد فعلنا)(5).

7-أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر:

دخل أبوبكر على عائشة رضي الله عنهم في أيام العيد، وعندها جاريتان من الأنصار تغنيان فقال أبوبكر ◄: أبمزمار الشيطان في بيت رسول الله ﷺ؟ وكان رسول الله ﷺ معرضاً بوجهه عنهما، مقبلاً بوجهه الكريم الى الحائط. فقال: دعهما ياأبابكر، فإن لكل قوم عيداً، وهذا عيدنا أهل

---

(1) البخاري رقم 3665.

(2) الزهد للامام أحمد (110) نقلاً عن التاريخ الاسلامي للحميدي (13/19).

(3) التاريخ الاسلامي للحميدي (13/19).

(4) مسلم، كتاب ، رقم 1015 (703/2).

(5) ابو داود (4999)، ضعفه الألباني في ضعيف سنن ابي داود؛ سيرة الصديق، مجدي السيد ، ص136

الاسلام(1)، ففي الحديث بيان : أن هذا لم يكن من عادة النبي ⇨ وأصحابه الاجتماع عليه، ولهذا سماه الصديق مزمار الشيطان، والنبي ⇨ أقر الجواري عليه معللاً ذلك بأنه يوم عيد، والصغار يرخص لهم في اللعب في الأعياد، كما جاء في الحديث: ليعلم المشركون أن في ديننا فسحة(2). وكان لعائشة لُعَب تلعب بهن ويجئن صواحباتها من صغار النسوة يلعبن معها، وليس في حديث الجاريتين أن النبي ⇨ استمع الى ذلك، والأمر والنهي إنما يتعلق بالاستماع لابمجرد السماع(3). ومن هذا نفهم أنه يرخص لمن يصلح له اللعب أن يلعب في الأعياد، كالجاريتين الصغيرتين من الأنصار اللتين تغنيان في العيد في بيت عائشة(4).

8- أكرامه للضيوف:

قال عبدالرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما: أن أصحاب الصفة كانوا أناساً فقراء، وأن رسول الله ⇨ قال مرة: من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس، وإن أبابكر جاء بثلاث... وإن أبابكر تعشى عند رسول الله ⇨ فجاء بعد أن مضى من الليل ماشاء الله تعالى فقالت له امرأته: ماحبسك عن أضيافك؟ أو قالت عن ضيفك، قال وماعشيتهم؟ قالت: أبوا حتى تجيء، وقد عرضوا عليهم فغلبوهم قال: فذهبت أنا فاختبأت، فقال: ياعنثر(5) – فجدع وسب، وقال: كلوا هنيئاً وقال: والله لاأطعم أبداً، وحلف الضيف أن لايطعمه حتى يطعم أبوبكر، فقال أبوبكر: هذه من الشيطان، قال فدعا بالطعام فأكل، فقال: وأيم الله ماكنا نأخذ لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها، فقال حتى شبعوا وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك، فنظر إليها فإذا هي كما هي وأكثر فقال لأمرأته: ياأخت بني فراس ماهذا؟ قالت: لا وقرة عيني هي الآن لأكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات، فأكل أبوبكر وقال: إنما كان ذلك من الشيطان –يعني يمينه– ثم أكل منها لقمة ثم حملها الى رسول الله ⇨ فأصبحت عنده، وكان بيننا وبين القوم عقد فمضى الأجل فتفرقنا اثنى عشر رجلاً مع كل واحد منهم أناس الله أعلم كم مع كل رجل منهم فأكلوا منها أجمعين(6).

وفي هذه القصة دروس وعبر منها:

أ- حرص الصديق على تطبيق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحث على إكرام الضيف مثل قوله تعالى: {فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ} (سورة الذاريات، الآية 27).

---

(1) مسلم في صلاة العيدين رقم 892.

(2) الفتاوى (308/11)؛ مسند أحمد (116/6، 233) عن عائشة.

(3) نفس المصدر (118/30).

(4) المصدر السابق (118/30).

(5) غنثر: الثقيل الوخيم وقيل الجاهل.

(6) مسلم، كتاب الأشربة رقم 2057.

وقوله ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فيلكرم ضيفه)(1).

ب- وفي هذه القصة كرامة للصديق حيث جعل لايأكل لقمة إلا ربي من أسفلها أكثر منها فشبعوا، وصارت أكثر مما هي قبل ذلك، فنظر إليها أبوبكر وامرأته فإذا هي أكثر مما كانت، فرفعها الى رسول الله ﷺ، وجاء إليه أقوام كثيرون فأكلوا منها وشبعوا(2) وهذه الكرامة حصلت ببركة اتباع الصديق لرسول الله ﷺ في كافة أحواله وهي تدل على مقام الولاية للصديق فأولياء الله هم المقتدون بمحمد ﷺ فيفعلون مايأمر به وينتهون عما عنه زجر، ويقتدون به فيما بين لهم أن يتبعوه فيه، فيؤيدهم بملائكته وروح منه ويقذف الله في قلوبهم من أنواره، ولهم الكرامات التي يكرم الله بها أولياؤه المتقين(3).

ج- تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: إن أبابكر لم يحنث في يمين قط حتى أنزل الله كفارة اليمين، فقال: لا أحلف على يمين فرأيت غيرها خير منها إلا أتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني(4)، فكان إذا حلف على شيء ورأى غيره خيراً منه كفر وأتى الذي هو خير(5)، وفي هذه القصة مايدل على ذلك حيث ترك يمينه الاولى أكراماً لضيوفه وأكل معهم(6).

9- ماهي بأول بركتكم ياآل أبي بكر:

قالت عائشة رضي الله عنها: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء - أو بذات الجيش- انقطع عقد لي فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام الناس معه، وليس على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس أبابكر فقالوا: ألاترى ماصنعت عائشة؟ أقامت برسول الله ﷺ وبالناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء أبوبكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فَخِذِي قد نام فقال: حَبَستِ رسول الله ﷺ والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء قلت: فعاتبين وقال ماشاء الله أن يقول، وجعل يطعنني بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي فنام رسول الله ﷺ حتى أصبح على غير ماء فأنزل الله آية التيمم:{....فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا} (سورة النساء، الآية43). فقال أسيد بن حضير: ماهي بأول بركتكم ياآل أبي بكر فقالت عائشة: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته)(7).

وفي هذه القصة يظهر حرص الصديق على التأدب مع رسوله، وحساسيته الشديدة على أن

---

(1) مسلم (1353/3).

(2) الفتاوى (153/11).

(3) الفتاوى (152/11).

(4) سنن البيهقي (34/10) نقلاً عن موسوعة فقه أبي بكر، ص240.

(5) مصنف ابن أبي شيبة (158/1) نقلاً عن موسوعة فقة أبي بكر، ص240.

(6) موسوعة فقه أبي بكر، ص241.

(7) البخاري رقم 3672.

يضايقه شيئاً ولا يقبل ذلك ولو كان من أقرب الناس وأحبهم الى رسول الله ﷺ، كعائشة رضي الله عنهم، فقد كان ◀ قدوة للدعاة في الأدب الجم مع النبي ﷺ ومع نفسه ومع المسلمين(1).

10- انتصار النبي للصديق رضي الله عنه:

لقد ثبت من الأحاديث الصحيحة مايدل على أن النبي ﷺ كان ينتصر لأبي بكر وينهى الناس عن معارضته، فعن أبي الدرداء ◀ قال: كنت جالساً مع النبي ﷺ إذ أقبل ابوبكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي ﷺ: (أما صاحبكم فقد غامر)(2)، فسلم، وقال: يارسول الله إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إلي ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبي علي، فأقبلت إليك. فقال: يغفر الله لك ياأبابكر ثلاثاً. ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فسأل : أثم أبوبكر؟ قالوا: لا. فأتى النبي ﷺ فسلم عليه، فجعل وجه رسول الله ﷺ يتمعر(3)، حتى أشفق أبوبكر(4) فجثى على ركبتيه فقال يارسول الله: والله أنا كنت أظلم مرتين(5)، فقال النبي ﷺ: إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال ابوبكر: صدق، وواساني بنفسه وماله(6)، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي مرتين. فما أوذي بعدها(7).

وفي هذه القصة دروس وعبر كثيرة منها؛ الطبيعة البشرية للصحابة ومايحدث بينهم من خلاف، وسرعة رجوع المخطئ وطلب المغفرة والصفح من أخيه، تواد الصحابة فيما بينهم، مكانة الصديق الرفيعة عند رسول الله ﷺ ثم أصحابه.......الخ.

11- قل: غفر الله لك ياأبابكر:

قال ربيعة الأسلمي ◀: كنت أخدم النبي ﷺ ...وذكر حديثاً ثم قال: إن رسول الله ﷺ أعطاني بعد ذلك ارضاً وأعطى أبوبكر أرضاً وجاءت الدنيا فاختلفنا في عذق نخلة، فقلت أنا: هي في حدِّي، وقال أبوبكر، هي في حدي، فكان بيني وبين أبي بكر كلام، فقال ابوبكر كلمة كرهها وندم فقال لي: ياربيعة رد عليها مثلها حتى تكون قصاصاً، قال: قلت: لا أفعل، فقال أبوبكر: لتقولن أو لاستعدين عليك رسول الله ﷺ، فقلت: ماأنا بفاعل، قال: ورفض الأرض(8)، وأنطلق أبوبكر ◀ الى النبي

---

(1) تاريخ الدعوة الاسلامية، ص402،403.

(2) غامر: خاصم. أي دخل في غمرة الخصومة.

(3) يتمعر: تذهب نضارته من الغضب.

(4) أن يكون لعمر من الرسول مايكره.

(5) لأنه هو الذي بدأ.

(6) المراد به أن صاحب المال يجعل يده ويد صاحبه في ماله سواء.

(7) لما أظهره النبي ﷺ من تعظيمه، البخاري رقم 3661.

(8) أي فارق أبوبكر الأرض.

⇨، وانطلقت أتلوه، فجاء ناس من أسلم فقالوا لي: رحم الله أبابكر، في أي شيء يستعدي عليك رسول الله ⇨ وهو قد قال لك ماقال، قلت: اتدرون من هذا؟ هذا أبوبكر الصديق، هذا ثاني أثنين، وهذا ذو شيبة المسلمين، إياكم لا يلتفت فيراكم تنصروني عليه فيغضب، فيأتي رسول الله ⇨ فيغضب لغضبه فيغضب الله عز وجل لغضبهما فيهلك ربيعة، قال: ماتأمرنا؟ قال: ارجعوا، قال: فانطلق أبوبكر ◀ الى رسول الله ⇨ فتبعته وحدي حتى أتى النبي ⇨ فحدثه الحديث كما كان، فرفع إليّ رأسه فقال: ياربيعة مالك وللصديق؟ قلت: يارسول الله كان كذا كان كذا، قال لي كلمة كرهها فقال: قل لي كما قلت حتى يكون قصاصاً فابيت، فقال رسول الله ⇨: أجل فلا ترد عليه، ولكن قل: غفر الله لك ياأبابكر، فقلت: غفر الله لك ياأبابكر. قال الحسن (البصري): فولىَّ ابوبكر ◀ وهو يبكي(1).

(لله أي وجدان هذا الوجدان، وأي نفس تلك النفس، بادرة بدرت منها لمسلم فلم ترض إلا قتصاصه منها، وصفحه عنها، تناهيا بالفضيلة، واستمسكا بالأدب وشعوراً تمكن من الجوانح، وأخذ بمجامع القلوب، فكانت عنده زلة اللسان ولو صغيرة ألما يتململ منه الضمير فلا يستريح إلا بالقصاص منه، ورضا ذلك المسلم عنه)(2).

كانت كلمة هينة، ولكنها أصابت من ربيعة مَوجعاً..فإذا أبوبكر يُزَلزلُ من أجلها، ويأبى إلا القصاص عليها، مع أنه يومئذ كان الرجل الثاني في الاسلام بعد رسول الله ⇨، وهي كلمة لايمكن أن تكون من فُحش القول أبداً: لأن أخلاقه لم تسمع بهذا، ولم يؤثر عنه حتى في الجاهلية شيء من هذا(3).

لقد خشي الصديق مغبة تلك الكلمة، ولهذا اشتكى لرسول الله ، وهذا أمر عجيب فإن أبابكر قد نسى أرضه ونسى قضية الخلاف، وشغل باله أمر تلك الكلمة لأن حقوق العباد لابد فيها من عفو صاحب الحق(4)، وفي هذا درس للشيوخ والعلماء والحكام والدعاة في كيفية معالجة الأخطاء ومراعاة حقوق الناس وعدم الدوس عليها بالأرجل.

وقد استنكر قوم ربيعة أن يذهب أبوبكر يشتكي الى رسول الله ⇨ وهو الذي قال ماقال، ولم يعلموا ماعلمه أبوبكر من لزوم إنهاء قضايا الخصومات، وإزالة ماقد يعلق في القلوب من الوجدة في الدنيا قبل أن يكتب ذلك في الصحف ويترتب عليه الحساب يوم القيامة.

وبالرغم مما ظهر من رضى ربيعة وتوجيه النبي ⇨ الى عدم الرد على أبي بكر فإن أبابكر قد بكى من خشية الله تعالى، وهذا دليل على قوة إيمانه، ورسوخ يقينه.

---

(1) مسند أحمد (58/4-59).

(2) أشهر مشاهير الإسلام (88/1).

(3) خلفاء الرسول، خالد محمد خالد، ص103.

(4) التاريخ الاسلامي (16/19).

وأخيراً موقف يذكر لربيعة بن كعب الأسلمي ◀، حيث قام بإجلال أبي بكر ◀، وأبى أن يرد عليه بالمثل، وهذا من تقدير أهل الفضل والتقدم والمعرفة بحقهم، وهو دليل على قوة الدين ورجاحة العقل(1).

12- مسابقته في الخيرات:

اتصف الصديق ◀ بالأخلاق الحميدة، والصفات الرفيعة ومسابقته في الخيرات حتى صار في الخير قدوة، وفي مكارم الأخلاق أسوة، وكان حريصاً أشد الحرص على الخيرات، فقد أيقن أن مايمكن أن يقوم به المرء اليوم، قد يكون غير ممكن في الغد، فاليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل ولذلك كان من المسارعين في الخيرات، فعن أبي هريرة ◀ قال رسول الله ⇨: من أصبح منكم صائماً؟ قال أبوبكر: أنا. قال: فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبوبكر: أنا. قال: فمن أطعم منكم مسكيناً؟ قال أبوبكر: أنا. قال: فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟ قال أبوبكر: أنا.
فقال رسول الله ⇨: ماجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة(2).

13- كظمه للغيظ:

قال ابوهريرة ◀: إن رجلاً شتم أبابكر، ورسول الله ⇨ جالس، فجعل النبي ⇨ يعجب ويبتسم، فلما أكثر الرجل، رد عليه أبوبكر بعض قوله، فغضب النبي ⇨، وقام فلحقه أبوبكر، وقال: يارسول الله، كان يشتمني وأنت جالس، فلما أكثر رددت عليه بعض قوله، غضبت وقمت!! فقال عليه الصلاة والسلام: إنه كان معك ملك يرد عنك، فلما رددت عليه بعض قوله وقع الشيطان، فلم أكن لأقعد مع الشيطان ثم قال: ياأبابكر ثلاث كلهنّ حق: مامن عبد ظلم بمظلمة، فيغضي عنها لله عز وجل إلا أعز الله بها نصره، ومافتح رجل باب عطية، يريد بها صلة إلا زاده الله بها كثرة، ومافتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله بها قلة(3).

إن الصديق ◀ اتصف بكظم الغيظ ولكنه رد ماظن أنه به يسكت هذا الرجل، فرغبه النبي ⇨ في الحلم والإناة، وأرشده الى ضرورة تحليه بالصبر في مواطن الغيظ فإن الحلم وكظم الغيظ مما يزيد المرء ويجمله في أعين الناس، ويرفع قدره عند الله تعالى.

ويتبين لنا كذلك من هذا الموقف حرص الصديق ◀ على عدم إغضاب النبي ⇨ والمسارعة الى إرضائه وفي الحديث ذم الغضب للنفس، والنهي عنه، والتحذير منه، واعتزال الانبياء للمجالس التي يحضرها الشيطان، وبيان الفضل للمظلوم، الصابر، المحتسب للأجر والثواب، وفيه حث على العطايا،

---

(1) نفس المصدر (16/19).

(2) صحيح مسلم رقم 1028.

(3) الدر المنثور للسيوطي (74/2؛ مجمع الزوائد (190/8) حديث مرسل.

وصلة الأرحام، وذم للمسألة وأهلها.

وظل الصديق متمسكاً بالحلم، وكظم الغيظ، حتى عُرف بالحلم والأناة، ولين الجانب، والرفق، وهذا لايعني أن أبابكر لم يكن يغضب، وإنما كان غضبه لله تعالى، فإذا رأى محارم الله قد انتهكت غضب لذلك غضباً شديداً(1).

لقد عاش رسول الله ﷺ متأملاً ومتفكراً وعاملاً بقوله تعالى {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ۝الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ۝} (سورة آل عمران، الآيتين 133،134).

14- بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي:

كان أبوبكر ◄ يَعُول مِسْطَحَ ابن أُثَاثَة، فلما قال في عائشة رضي الله عنها ماقال، في حديث الأفك المشهور – أقسم بالله أبوبكر ألا ينفعه أبداً، فلما أنزل الله عز وجل: {وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (سورة النور، الآية22). قال ابوبكر : والله إني أحب أن يغفر الله لي فرجع الى النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبداً(2). لقد فهم الصديق من الآية بأن على المؤمن التخلق بأخلاق الله، فيعفو عن الهفوات والزلات والمزالق، فإن فعل، فالله يعفو عنه ويستر ذنوبه، وكما تدين تدان، والله سبحانه قال:{ أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ} أي كما تحبون عفو الله عن ذنوبكم فكذلك اغفروا لمن دونكم(3) وكما أن في الآية من حلف على شيء ألا يفعله، فرأى أن فعله أولى من تركه، أتاه وكفّر عن يمينه، وقال بعض العلماء: هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى، من حيث لطف الله بالقذفة العصاة بهذا اللفظ(4).

لقد دلت هذه الآية على أن أبا بكر أفضل الناس بعد النبي ﷺ، لأن الله وصفه بصفات عجيبة في هذه الآية، دالة على علو شأنه في الدين، أورد الرازي في تفسيره أربع عشرة صفة مستنبطة من هذه الآية: {وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ} منها أنه وصفه بأنه صاحب الفضل على الإطلاق من غير تقييد لذلك بشخص دون شخص، والفضل يدخل فيه الإفضال، وذلك يدل على أنه ◄، كان فاضلاً على الإطلاق كان مفضلاً على الإطلاق.ومنها أنه لما وصفه تعالى بأنه أولوا الفضل والسعة بالجمع لا بالواحد وبالعموم لابالخصوص على سبيل المدح، وجب أن يقال: إنه كان خالياً عن المعصية لأن الممدوح إلى هذا الحد لايكون من أهل النار(5).

---

(1) سيرة وحياة الصديق، مجدي فتحي السيد، ص145.

(2) البخاري رقم 4750.

(3) تفسير المنير (190/18).

(4) نفس المصدر (190/18).

(5) تفسير الرازي (351/18)

15-خروجه للتجارة من المدينة إلى الشام:

خرج أبو بكر الصديق ◄ للتجارة إلى بصرى ببلاد الشام في عهد النبي ⇦ مامنعه حبه لملازمة النبي من الذهاب للتجارة، ولامنع النبي ⇦ الصديق من ذلك مع شدة حبه له(1). وفي هذا أهمية أن يكون للمسلم مصدر رزق يستغني به عن سؤال الناس، بل ويساهم بهذا الرزق في إغاثة الملهوف، وفك العاني ويسارع في ابواب الانفاق التي يحبها الله.

16-غيرة الصديق ◄ وتزكية النبي ⇦ لزوجه:

قال عبدالله بن عمرو بن العاص: أن نفراً من بني هاشم دخلوا على أسماء بنت عميس فدخل أبو بكر الصديق وهي تحته يومئذ فرآهم، فكره ذلك، فذكر ذلك لرسول الله، فقال:إن الله تعالى قد برأها من ذلك ثم قام رسول الله ⇦ على المنبر فقال: لايدخل رجل بعد يومي هذا على مغيبة إلا ومعه رجل أو اثنان(2).

17-خوفه من الله تعالى:

إن الخوف من الله عزوجل فضيلة تدفع العبد إلى الحذر من المعاصي، ومراقبة الله في السر والعلن، فتزكو أفعاله، وتجمل أعماله وقد أمر المؤمنين بالخوف منه فقال: {يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ}(سورة البقرة، آية:40). وقال: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (سورة هود، آية:112). وجعل للعبد الخائف منه أجراً عظيماً فقال: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ} (سورة الرحمن، آية:46).

وعن أنس ◄ قال: خطبنا رسول الله ⇦ خطبة ماسمعت مثلها قط فقال: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، فغطى أصحاب رسول الله ⇦ وجوههم ولهم خنين(3).

وقد كان الصديق ◄ على جانب من الخوف والرجاء عظيم جعله قدوة عملية لكل مسلم سواء حاكماً أو محكوماً قائداً أو جندياً، يريد النجاح والفلاح في الآخرة(4)، فعن محمد بن سيرين قال: لم يكن أحد أهيب لما يعلم بعد النبي ⇦ من أبي بكر. وعن قيس قال: رأيت أبا بكر آخذ بطرف لسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد(5)، وقد قال أبو بكر ◄: ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا(6) وعن ميمون بن مهران قال: أتى أبو بكر بغراب وافر الجناحين فقلبه ثم قال: ماصيد من صيد ولاعضدت

---

(1) الفتح الباري (357/4) نقلاً عن الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح الباري، ص163.

(2) الرياض النظرة في مناقب العشرة لأبي جعفر أحمد الطبري، ص237.

(3) البخاري، كتاب التفسير، باب لاتسألوا عن أشياء (68/6).

(4) تاريخ الدعوة الى الاسلام، يسري محمد ، ص396.

(5) صفة الصفوة (253/2).

(6) الزهد، للامام أحمد، باب زهد أبي بكر، ص108.

من شجرة إلا بما ضيعت من التسبيح(1)، وعن الحسن قال: قال أبو بكر: والله لوددت أني كنت هذه الشجرة تؤكل وتعضد(2)، وقال أبو بكر: لوددت أني كنت شعرة في جنب عبد مؤمن(3)، وكان رضي الله عنه يتمثل بهذا البيت من الشعر:

لاتزال تنعي حبيباً حتى تكونه
وقد يرجوا الرجا يموت دونه(4)

ثانياً: من أهم صفات الصديق وشيء من فضائله:

إن شخصية الصديق ◀ تعتبر شخصية قيادية وقد اتصف ◀ بصفات القائد الرباني، ونجملها في أمور ونركز على بعضها بالتفصيل، فمن أهم هذه الصفات: سلامة المعتقد، والعلم الشرعي، والثقة بالله، والقدوة، والصدق، والكفاءة والشجاعة، والمروءة، والزهد، وحب التضحية، وحسن اختياره لمعاونيه والتواضع وقبول التضحية، والحلم، والصبر، وعلو الهمة والحزم والإرادة القوية، والعدل، والقدرة على حل المشكلات والقدرة على التعليم وإعداد القادة، وغير ذلك من الصفات التي ظهرت للباحث في الفترة المكية في صحبته للنبي ⇦ وفي العهد المدني في غزواته مع رسول الله وحياته في المجتمع وظهر البعض الآخر لما تسلم قيادة الدولة وأصبح خليفة رسول الله ⇦، فقد استطاع بتوفيق الله تعالى وبسبب ما أودع الله فيه من صفات القيادة الربانية أن يحافظ على الدولة ويقمع حركة الردة، وينتقل بفضل الله وتوفيقه بالأمة نحو أهدافها المرسومة بخطوات ثابتة، ومن أهم تلك الصفات التي نحاول تسليط الأضواء عليها في هذا المبحث، إيمانه بالله العظيم، وعلمه الراسخ، وكثرة دعاؤه وتضرعه لله تعالى.

1-عظمة إيمانه بالله تعالى:

كان إيمان الصديق بالله عظيماً، فقد فهم حقيقة الإيمان وتغلغلة كلمة التوحيد في نفسه وقلبه وانعكست آثارها على جوارحه وعاش بتلك الآثار في حياته، فتحلى بالأخلاق الرفيعة، وتطهر من الأخلاق الوضيعة وحرص على التمسك بشرع الله والاقتداء بهديه ⇦ وكان إيمانه بالله تعالى باعثاً له على الحركة والهمة والنشاط والسعي، والجهد والمجاهدة، والجهاد والتربية، والاستعلاء والعزة، وكان في قلبه من اليقين والإيمان شيء عظيم لايساويه فيه أحد من الصحابة قال أبو بكر بن عياش: ماسبقهم أبو بكر بكثرة صلاة ولاصيام ولكن بشيء وقر في قلبه(5)، ولهذا قيل: لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح، كما في السنن عن أبي بكرة عن النبي ⇦ قال: هل رأى أحد منكم رؤيا؟ فقال

---

(1) الزهد للامام أحمد، باب زهد أبي بكر، ص110.
(2) نفس المصدر، ص112.
(3) المصدر السابق، ص112.
(4) الزهد للامام أحمد، باب زهد أبي بكر، ص108.
(5) فضائل الصحابة للامام أحمد (173/1).

رجل أنا رأيت كأن ميزاناً نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت بأبي بكر، ثم وزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر، ثم وزن عمر وعثمان فرجح عمر، ثم رفع الميزان -فاستاء لها رسول الله ⇦ فقال: خلافة نبوة ثم يؤتى الله الملك من يشاء(1).

وعن أبي هريرة ◄ قال: صلى رسول الله صلاة الصبح ثم أقبل على الناس فقال: بينا رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها، فقالت: إنا لم نخلق لهذا، إنما خلقنا للحرث. فقال الناس: سبحان الله بقرة تتكلم؟ فقال: إني أؤمن بهذا أنا وأبو بكر وعمر. وماهما ثم. وبينما رجل في غنمه إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة، فطلب حتى كأنه استنقذها منه، فقال له الذئب: هذا استنقذتها مني، فمن لها يوم السبع، يو لاراعي لها غيري؟ فقال الناس: سبحان الله، ذئب يتكلم؟ قال: فإني أؤمن بهذا أنا وأبو بكر وعمر. وماهما ثم(2). ومن شدة إيمانه والتزامه بشرع الله تعالى وصدقه وإخلاصه للإسلام أحبه النبي ⇦، وأصبحت تلك المحبة مقدمة عند النبي ⇦ على غيره من الصحابة، فعن عمرو بن العاص ◄: أن النبي ⇦ بعثه على جيش ذات السلاسل، قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة. فقلت من الرجال؟ قال: أبوها. قلت ثم من؟ قال عمر بن الخطاب فعد رجالاً(3). وبسبب هذا الإيمان العظيم والتزامه بشرع الله القويم وجهوده التي بذلها لنصرة دين رب العالمين استحق بشارة رسول الله بالجنة وأنه يدعى من جميع أبوابها، فعن أبي موسى الأشعري أنه توضأ في بيته ثم خرج فقلت: لألزمن رسول الله ولأكونن معه يومي هذا. قال فجاء المسجد فسأل عن النبي ⇦ فقالوا: خرج ووجه هنا، فخرجت على أثره أسأل عنه حتى دخل بئر أريس، فجلست عند الباب وباب من جريد حتى قضى رسول الله حاجته فتوضأ، فقمت إليه، فإذا هو جالس على بئر أريس وتوسط قفها وكشف عن ساقيه ودلاهما في البئر، فسلمت عليه ثم انصرفت فجلست عند الباب فقلت: لأكونن بواب رسول الله اليوم، فجاء أبو بكر فدفع الباب، فقلت: من هذا فقال: أبو بكر. فقلت: على رسلك، ثم ذهبت فقلت: يارسول الله هذا أبو بكر يستأذن، فقال: ائذن له وبشره بالجنة، فأقبلت حتى قلت لأبي بكر: ادخل ورسول الله يبشرك بالجنة. فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله ⇦ معه في القف ودلى رجليه في البئر كما صنع النبي ⇦ وكشف عن ساقيه...(4) وعن أبي هريرة ◄ أن رسول الله ⇦ قال: من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب الجنة: ياعبدالله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة. فقال أبو بكر ◄

---

(1) أبوداود رقم 4634؛ الترمذي رقم 2288.

(2) مسلم، رقم 2388.

(3) صحيح البخاري، رقم 3662.

(4) البخاري رقم 3674.

ماعلى هذا يُدعى من تلك الأبواب من ضرورة، وقال: فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: نعم، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر(1).

2-علمه ◄:

كان الصديق من أعلم الناس بالله وأخوفهم له(2)، وقد اتفق أهل السنة على أن أبا بكر أعلم الأمة، وحكى الإجماع على ذلك غير واحد(3)، وسبب تقدمه على كل الصحابة في العلم والفضل ملازمته للنبي ⇦، فقد كان أدوم اجتماعاً به ليلاً ونهاراً، وسفراً وحضراً، وكان يسمر عند النبي ⇦ بعد العشاء، يتحدث معه في أمور المسلمين، دون غيره من أصحابه، وكان إذا استشار أصحابه أول من يتكلم أبو بكر في الشورى، وربما تكلم غيره، وربما لم يتكلم غيره، فيعمل برأيه وحده، فإذا خالفه غيره اتبع رأيه دون رأي من يخالفه(4)، وقد استعمله النبي ⇦ على أول حجة حجت من مدينة النبي ⇦ وعلم المناسك أدق مافي العبادات، ولولا سعة علمه لم يستعمله، وكذلك الصلاة استخلفه عليها ولولا علمه لم يستخلفه ولم يستخلف غيره لا في حج ولا في صلاة، وكتاب الصدقة التي فرضها رسول الله أخذه أنس من أبي بكر وهو أصح ماروى فيها(5) وعليه اعتمد الفقهاء وغيرهم في كتابة ماهو متقدم منسوخ، فدل على أنه أعلم بالسنة الناسخة، ولم يحفظ له قول يخالف فيه نصاً، وهذا يدل على غاية البراعة والعلم، وفي الجملة لايعرف لأبي بكر مسألة في الشريعة غلط فيها، وقد عرف لغيرة مسائل كثيرة(6)، وكان ◄ يقضي ويفتي بحضرة النبي ⇦ ويقره، ولم تكن هذه المرتبة لغيرة وقد بينت ذلك في سلب أبي قتادة بحنين(7)، وقد ظهر فضل علمه وتقدمه على غيره بعد وفاة الرسول ⇦، فإن الأمة لم تختلف في ولايته في مسألة إلا فصلها هو بعلم يبينه لهم وحجة يذكرها لهم من الكتاب والسنة، وذلك لكمال علم الصديق وعدله، ومعرفته بالأدلة التي تزيل النزاع، وكان إذا أمرهم أطاعوه. كما بين لهم موت النبي ⇦ وتثبيتهم على الإيمان ثم بين لهم موضع دفنه، وبين لهم ميراثه، وبين لهم قتال مانعي الزكاة لما استراب فيه عمر، وبين لهم أن الخلافة في قريش، وتجهيز جيش أسامة، وبين لهم أن عبداً خيره الله بين الدنيا والآخرة هو رسول الله ⇦(8) وسيأتي تفصيل ذلك في موضعه بإذن الله تعالى.

ولقد رأى رسول الله ⇦ له رؤيا تدل على علمه، فعن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ⇦:

---

(1) البخاري رقم 3666.

(2) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص59.

(3) الفتاوى (127/13).

(4) ابو بكر الصديق، محمد مال الله، ص334،335.

(5) البخاري رقم 1448.

(6) أبوبكر الصديق أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة، ص60.

(7) نفس المصدر، ص57.

(8) المصدر السابق، ص59.

رأيت كأني أعطيت عُسّاً مملوءاً لبناً، فشربت منه حتى تملأت، فرأيتها تجري في عروقي بين الجلد واللحم، ففضلت منها فضلة، فأعطيتها أبا بكر. قالوا: يارسول الله، هذا علم أعطاكه الله حتى إذا تملأت منه، فضلت فضلة، فأعطيتها أبا بكر، فقال ⇨: قد أصبتم(1).

وكان الصديق ⇨ يرى أن الرؤيا حق، وكان يجيد تأويلها وكان يقول إذا أصبح(من رأى رؤيا صالحة فليحدِّثنا بها وكان يقول لأن يرى رجل مسلم مسبغ الوضوء رؤيا صالحة أحب إلى من كذا وكذا(2)، ومما عبره ◄ من الرؤى مايلي: عن ابن عباس ◄ أن رجلاً أتى رسول الله فقال: إني رأيت الليلة في المنام ظلَّة تنطف السمن والعسل، فأرى الناس يتكففون منها، فالمستكثر والمستقِلُّ، وإذا سبب واصل من الأرض إلى السماء، فأراك أخذت به فعلوت، ثم أخذ به رجل آخر فانقطع، ثم وُصِلَ، فقال أبو بكر: يارسول الله، بأبي أنت، والله لتدَعنِّي فأعبرُها. فقال النبي ⇨: اعْبُرْ. قال: أما الظُّلَّة فالإسلام، وأما الذي ينطف من العسل والسمن فالقرآن، حلاوته تنطف فالمستكثر من القرآن، والمستقل، وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي أنت عليه، تأخذ به فيُعليك الله، ثم يأخذ به رجل من بعدك فيعلو به، ثم يأخذ رجل آخر فيعلو به، فأخبرني يارسول الله، بأبي أنت، أصبت أم أخطأت؟ قال النبي ⇨: أصبت بعضا وأخطأت بعضا قال: فوالله لتحَدَثَنِّي بالذي أخطأت. قال: لاتُقسم(3) وعن عائشة رضي الله عنها أنها رأت كأنه وقع في بيتها ثلاثة أقمار، فقصتها على أبي بكر- وكان من أعبر الناس فقال: إن صدقت رؤياك ليُدْفَنَنَّ في بيتك من خير أهل الأرض ثلاثة. فلما قبض النبي ⇨ قال ياعائشة هذا خيرُ أقمارك(4)، فقد كان الصديق ◄ أعبر هذه الأمة بعد نبيها(5).

ومع كونه ◄ من أعلم الصحابة إلا أنه من أبعد الناس عن التكلف، فعن ابراهيم النخعي قال: قرأ أبو بكر الصديق {وَفَاكِهَةً وَأَبًّا} (سورة عبس: آية31) فقيل ماالأب: فقيل كذا وكذا فقال أبو بكر: إن هذا لهو التكلف، أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلت في كتاب الله مالا أعلم(6).

3-دعاؤه وشدة تضرعه ◄ :

إن الدعاء باب عظيم، فإذا فتح للعبد تتابعت عليه الخيرات وانهالت عليه البركات، ولذلك حرص الصديق على حسن الصلة بالله وكثرة الدعاء، كما أن الدعاء من أعظم وأقوى عوامل النصر على الأعداء قال تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} (سورة غافر،

---

(1) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (269/15).

(2) خطب أبي بكر الصديق، محمد عاشور، جمال الكومي، ص155.

(3) البخاري، كتاب التعبير، رقم 7046.

(4) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص129.

(5) نفس المصدر، ص130.

(6) فتح الباري (285/13) فيه انقطاع بين ابراهيم النخعي وأبي بكر.

آية:60) . وقال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} (سورة البقرة، آية:186).

ولقد لازم الصديق رسول الله ﷺ ورأى كيف كان رسول الله يستغيث بالله ويستنصره ويطلب المدد منه وقد حرص الصديق على أن يتعلم هذه العبادة من رسول الله، وأن يكون دعاؤه وتسبيحه على الصيغة التي يأمر بها رسول الله ﷺ ويرتضيها، إذ ليس للمسلم أن يفضل على الصيغة المأثورة في الدعاء والتسبيح والصلاة على النبي صيغاً أخرى، مهما كانت في ظاهرها حسنة اللفظ، جيدة المعنى، لأن رسول الله ﷺ هو معلم الخير، والهادي إلى الصراط المستقيم، وهو أعرف بالأفضل والأكمل(1)، وقد جاء في الصحيحين: أن أبا بكر الصديق ◄ قال: يارسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي، قال: قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولايغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم(2).

ففي هذا الدعاء وصف العبد لنفسه المقتضى حاجته إلى المغفرة، وفيه وصف ربه الذي يوجب، أنه لايقدر على هذا المطلوب غيره، وفيه التصريح بسؤال العبد لمطلوبه، وفيه بيان المقتضى للإجابة، وهو وصف الرب بالمغفرة، والرحمة، فهذا ونحوه أكمل أنواع الطلب(3) وجاء في السنن عن أبي بكر ◄ قال: يارسول الله، علمني دعاء أدعو به إذا أصبحت وإذا أمسيت، فقال: قل: اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه، وأن اقترف على نفسي سوءاً أو أجره إلى مسلم. قله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك(4).

فقد تعلم الصديق من رسول الله ﷺ أنه ليس لأحد أن يظن استغناءه عن التوبة إلى الله والإستغفار من الذنوب، بل كل أحد محتاج إلى ذلك دائماً قال تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا ۝ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝} (سورة الأحزاب، آية:72-73) فالإنسان ظالم جاهل وغاية المؤمنين والمؤمنات التوبة، وقد أخبر الله تعالى في كتابه بتوبة عباده الصالحين ومغفرته لهم. وثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال:(لن يدخل الجنة أحد بعلمه) قالوا: ولا أنت يارسول الله؟ قال: (ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته)(5) وهذا لاينافي قوله تعالى: {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ} (سورة الحاقة،

---

(1) أبوبكر الصديق، علي طنطاوي، ص207.

(2) مسلم، الذكر والدعاء رقم 2705؛ البخاري رقم 843.

(3) الفتاوى (146/9).

(4) ابوداود في الأدب رقم 5067؛ الترمذي في الدعوات رقم 3529.

(5) البخاري في الرقاق رقم 6463.

آية:24) فإن الرسول نفيي باء المقابلة والمعادلة والقرآن أثبت باء السبب، وقول من قال: إذا أحب الله عبداً لم تضره الذنوب، معناه: أنه إذا أحب عبداً ألهمه التوبة والاستغفار فلم يصر على الذنوب، ومن ظن أن الذنوب لاتضر من أصر عليها فهو ضال مخالف للكتاب والسنة، وإجماع السلف والأئمة، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره(1).

كان أبو بكر دائم الذكر لله تعالى شديد التضرع كثير التوجه لله، لاينفك عن الدعاء في كل أحيانه وقد نقل إلينا بعض أدعيته وتضرعاته ومنها:

أ-أسألك تمام النعمة في الأشياء كلها، والشكر لك عليها حتى ترضى، وبعد الرضى، والخيرة في جميع ماتكون إليه الخَيَرَةُ، بجميع ميسور الأمور كلها، لابمعسورها ياكريم(2).

ب- وكان يقول في دعائه: اللهم إني أسألك الذي هو خير لي في عاقبة الخير،اللهم اجعل آخر ماتعطيني من الخير رضوانك والدرجات العلا من جنات النعيم(3) .

ج-وكان يقول في دعائه: اللهم اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك(4).

د-وكان إذا سمع أحداً يمدحه من الناس يقول:(اللهم أنت أعلم بي من نفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم أجعلني خيراً مما يظنون، واغفر لي مالايعلمون، ولاتؤاخذني بما يقولون)(5).

هذه بعض أهم صفاته وشيء من فضائله مررنا عليها بالإيجاز وسوف نرى أثر التربية النبوية على الصديق بعد وفاته، وكيف قام مقاماً لم يقمه غيره بفضل الله وتوفيقه ثم تربيته العميقة وإيمانه العظيم وعلمه الراسخ وتتلمذه على يدي رسول الله ﷺ فقد أحسن الجندية وقطع مراحلها وأشواطها برفقة قائده العظيم عليه أفضل الصلاة والسلام، فلما أصبح خليفة للأمة استطاع أن يقود سفينة الإسلام إلى شاطئ الأمان، رغم العواصف الشديدة، والأمواج المتلاطمة، والفتن المظلمة.

---

(1) الفتاوى (142/11).

(2) الشكر لابن أبي الدنيا رقم 109 نقلاً عن خطب ابي بكر، ص39.

(3) خطب أبي بكر الصديق، ص139.

(4) كنز العمال رقم 5030 نقلاً عن خطب أب بكر ، ص39.

(5) أسد الغابة (324/3).

الفصل الثاني

وفاة الرسول، وسقيفة بني ساعدة، وجيش أسامة

المبحث الأول

وفاة الرسول وسقيفة بني ساعدة

أولاً: وفاة الرسول:

إن الأرواح الشفافة الصافية لتدرك بعض مايكون مخبوءاً وراء حجب الغيب بقدرة الله تعالى، والقلوب الطاهرة المطمئنة لتحدِّث صاحبها بما عسى أن يحدث له فيما يستقبل من الزمان، والعقول الذكية المستنيرة بنور الإيمان لتدرك ماوراء الألفاظ والأحداث من إشارات وتلميحات ولنبينا محمد ﷺ من هذه الصفات الحظ الأوفر، وهو منها بالمحل الأرفع الذي لايسامى ولا يطاول(1) ولقد جاءت بعض الآيات القرآنية مؤكدة على حقيقة بشرية النبي ﷺ، وأنه كغيره من البشر سوف يذوق الموت ويعاني سكراته كما ذاقه من قبل إخوانه من الأنبياء ولقد فهم ﷺ من بعض الآيات اقتراب أجله، وقد أشار ﷺ في طائفة من الأحاديث الصحيحة إلى اقتراب وفاته، منها ماهو صريح الدلالة على الوفاة ومنها ماليس كذلك، حيث لم يشعر ذلك منها إلا الآحاد من كبار الصحابة الأجلاء كأبي بكر والعباس ومعاذ رضي الله عنهم(2).

1-مرض رسول الله وبدء الشكوى:

رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع في ذي الحجة، فأقام بالمدينة بقيته والمحرم وصفراً، من العام العاشر فبدأ بتجهيز جيش أسامة وأمّر عليهم أسامة بن زيد بن حارثة، وأمره أن يتوجه نحو البلقاء

---

(1) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/587).

(2) انظر: مرض النبي ووفاته، خالد أبوصالح، ص33.

وفلسطين، فتجهز الناس وفيهم المهاجرون والأنصار وكان أسامة بن زيد ابن ثماني عشرة سنة، وتكلم البعض في تأميره وهو مولى وصغير السن على كبار المهاجرين والأنصار فلم يقبل الرسول ⇦ طعنهم في إمارة أسامة(1)، فقال ⇦: إن يطعنوا في إمارته فقد طعنوا في إمارة أبيه وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان من أحبَّ الناس إليَّ وإن ابنه هذا لمن أحب الناس إلي بعده(2)، وبينما الناس يستعدون للجهاد في جيش أسامة ابتدئ رسول الله ⇦ شكواه الذي قبضه فيه، وقد حدثت حوادث مابين مرضه ووفاته منها: زيارته قتلى أحد وصلاته عليهم(3)، واستئذانه أن يمرض في بيت عائشة وشدة المرض الذي نزل به(4)، وأوصى ⇦ بإخراج المشركين من جزيرة العرب وإجازة الوفد(5)، ونهى عن اتخاذ قبره مسجداً(6)، وأوصى بإحسان الظن بالله(7)، وأوصى بالصلاة وماملكت أيمانكم(8)، وبين بأنه لم يبقى من مبشرات النبوة إلا الرؤيا(9)، وأوصى بالأنصار خيراً(10)، وخطب ⇦ في أيام مرضه فقال: إن الله خيّر عبداً بين الدنيا وبين ماعند الله فاختار ذلك العبد ماعند الله. فبكى أبو بكر فقال أبو سعيد الخدري ◀: فعجبنا لبكائه أن يخبر الرسول ⇦ عن عبد خير، فكان رسول الله ⇦ هو المخيَّر وكان أبو بكر أعلمنا فقال رسول الله ⇦: إن أَمَنَّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام ومودته، لايبقين في المسجد باب إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر(11).

قال الحافظ ابن حجر: وكأن أبا بكر ◀ فهم الرمز الذي أشار به النبي ⇦ من قرينة ذكره ذلك في مرض موته فاستشعر منه أنه أراد نفسه فلذلك بكى(12) ولما اشتد المرض بالنبي ⇦ وحضرته الصلاة فأذن بلال قال النبي ⇦ مروا أبا بكر فليصلّ، فقيل: إن أبا بكر رجل أسيف(13)، إذا قام مقامك لم يستطيع أن يصلي بالناس، وأعاد فأعادوا له، فأعاد الثالثة فقال: أنكن صواحب

---

(1) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (552/2).

(2) البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي (213/4) رقم 4469.

(3) البخاري، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد رقم 1344.

(4) صحيح السيرة النبوية ، ص695.

(5) البخاري، كتاب الجهاد والسير رقم 3035.

(6) صحيح السيرة النبوية، ص712؛ البخاري، كتاب الصلاة رقم 435.

(7) مسلم، كتاب الجنة رقم 288.

(8) سنن ابن ماجة، كتاب الوصايا (900/2،901) رقم 2697.

(9) مسلم، كتاب الصلاة (348/1).

(10) البخاري، كتاب مناقب الانصار رقم 3799.

(11) البخاري، كتاب فضائل الصحابة رقم 3654.

(12) فتح الباري (16/7).

(13) أسيف: من الأسف وهو شدة الحزن والمراد أنه رقيق القلب.

يوسف(1)، مروا أبا بكر فليصل بالناس، فخرج أبو بكر فوجد النبي ﷺ في نفسه خفَّة فخرج يهادي بين رجلين، كأني أنظر إلى رجليه تخطان من الوجع، فأراد أبو بكر أن يتأخر فأومأ إليه النبي ﷺ أن مكانك ثم أتى به حتى جلس إلى جنبه. قيل للأعمش: فكان النبي ﷺ يصلي وأبو بكر يصلي بصلاته، والناس يصلون بصلاة أبي بكر! فقال برأسه: نعم(2). واستمر أبو بكر يصلي بالمسلمين، حتى إذا كان يوم الإثنين، وهم صفوف في صلاة الفجر، كشف النبي ﷺ ستر الحجرة، ينظر إلى المسلمين، وهم وقوف أمام ربهم، ورأى كيف أثمر غرس دعوته وجهاده، وكيف نشأت أمة تحافظ على الصلاة، وتواظب عليها بحضرة نبيها وغيبته، وقد قرت عينه بهذا المنظر البهيج، وبهذا النجاح الذي لم يقدر لنبي أو داع قبله، واطمأن أن صلة هذه الأمة بهذا الدين وعبادة الله تعالى، صلة دائمة، لاتقطعها وفاة نبيها، فملئ من السرور ماالله به عليم واستنار وجهه وهو منير(3)، يقول الصحابة رضي الله عنهم: كشف النبي ﷺ ستر حجرة عائشة ينظر إلينا وهو قائم، كأن وجهه ورقة مصحف ثم تبسم يضحك، فهممنا أن نفتتن من الفرح، وظننا أن النبي ﷺ خارج إلى الصلاة، فأشار إلينا أن أتموا صلاتكم، ودخل الحجرة، وأرخى الستر(4)، وانصرف بعض الصحابة إلى أعمالهم، ودخل أبو بكر على ابنته عائشة وقال: ما أرى رسول الله إلا قد أقلع عنه الوجع، وهذا يوم بنت خارجة- أحدى زوجتيه – وكانت تسكن بالسُّنح(5)، فركب على فرسه وذهب إلى منزله(6).

واشتدت سكرات الموت بالنبي ﷺ، ودخل عليه أسامة بن زيد وقد صمت فلا يقدر على الكلام، فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعها على أسامة، فعرف أنه يدعو له، وأخذت السيدة عائشة رسول الله وأوسدته إلى صدرها بين سحرها(7)، ونحرها، فدخل عبدالرحمن بن أبي بكر وبيده سواك، فجعل رسول الله ينظر إليه، فقالت عائشة: آخذه لك، فأشار برأسه نعم، فأخذته من أخيها ثم مضغته ولينته وناولته إياه فاستاك به كأحسن مايكون الاستياك وكل ذلك وهو لاينفك عن قوله: في الرفيق الأعلى(8)، وكان ﷺ بجانبه ركوة ماء أو علبة فيها ماء، فيمسح بها وجهه ويقول: لا إله إلا الله .. إن للموت سكرات ثم نصب يده فجعل يقول في الرفيق الأعلى .. حتى قبض ومالت يده(9)،

---

(1) والمراد أنهن مثل صواحب يوسف في إظهار خلاف مافي الباطن.

(2) البخاري، كتاب الأذان رقم 712.

(3) السيرة النبوية للندوي، ص401.

(4) البخاري، كتاب المغازي رقم 4448.

(5) السنح: خارج المدينة كان للصديق مال فيه وبيت.

(6) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (593/2).

(7) السحر: الرئة، النحر: الثغرة في أسفل العنق.

(8) البخاري، كتاب المغازي رقم 4437.

(9) البخاري، كتاب المغازي رقم 4449.

وفي لفظ أن النبي ⇦ كان يقول: اللهم أعني على سكرات الموت[1].

وفي رواية: أن عائشة سمعت النبي ⇦ وأصغت إليه قبل أن يموت وهو مسند الظهر يقول: اللهم اغفر لي، وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى[2].

وقد ورد أن فاطمة رضي الله عنها قالت: واكرب أباه. فقال لها: ليس على أبيك كرب بعد اليوم، فلما مات قالت: يا أبتاه .. أجاب الله دعاه، يا أبتاه .. جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه .. إلى جبريل ننعاه فلما دفن ⇦ قالت لأنس كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله التراب[3].

فارق رسول الله الدنيا وهو يحكم جزيرة العرب ويرهبه ملوك الدنيا، ويفديه أصحابه بنفوسهم وأولادهم وأموالهم، وماترك عند موته ديناراً ولادرهماً، ولاعبداً، ولا أمة، ولاشيئاً، إلا بغلته البيضاء، وسلاحه وأرضا جعلها صدقة[4] وتوفي ⇦ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير[5]، وكان ذلك يوم الاثنين 12 ربيع الأول سنة 11هـ للهجرة بعد الزوال[6]، وله ثلاث وستون سنة[7]، وكان أشد الأيام سواداً ووحشة ومصاباً على المسلمين، ومحنة كبرى للبشرية، كما كان يوم ولدته أسعد يوم طلعت فيه الشمس[8]، يقول أنس ◀: كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ⇦ المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان الذي مات فيه أظلم منها كل شيء[9] وبكت أم أيمن فقيل لها مايبكيك على النبي قالت: إني قد علمت أن رسول الله ⇦ سيموت ولكن إنما أبكي على الوحي الذي رفع عنا[10].

ثانياً: هول الفاجعة وموقف أبي بكر منها:

قال ابن رجب: ولما توفي رسول الله ⇦ اضطرب المسلمون، فمنهم من دُهش فخولط ومنهم من أقعد فلم يُطق القيام، ومنهم من أعتُقل لسانه فلم يطق الكلام، ومنهم من أنكر موته بالكلية[11].

قال القرطبي مبيناً عظم هذه المصيبة وماترتب عليها من أمور: من أعظم المصائب المصيبة في

(1) الترمذي، كتاب الجنائز رقم 978.
(2) البخاري، كتاب المغازي رقم 4440.
(3) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4462.
(4) البخاري، كتاب المغازي رقم 4461.
(5) السيرة النبوية للندوي، ص403.
(6) البداية والنهاية (223/4).
(7) مسلم، كتاب الفضائل (825/4).
(8) انظر: السيرة النبوية للندوي، ص404.
(9) الترمذي (549/5) رقم 3618.
(10) مسلم (1907/4).
(11) لطائف المعارف، ص114.

الدين .. قال رسول الله ⇨: إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصابه بي فإنها أعظم المصائب(1)، وصدق رسول الله ⇨، لأن المصيبة به أعظم من كل مصيبة يصاب بها المسلم بعده إلى يوم القيامة، انقطع الوحي، وماتت النبوة، وكان أول ظهور الشر بارتداد العرب وغير ذلك، وكان أول انقطاع الخير وأول نقصانه(2).

وقال ابن اسحاق: ولما توفي رسول الله ⇨ عظمت به مصيبة المسلمين، فكانت عائشة فيما بلغني تقول: لما توفي النبي ⇨ ارتدت العرب، واشرأبت اليهودية، والنصرانية ونجم النفاق، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيهم(3).

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: ... واضطربت الحال .. فكان موت النبي ⇨ قاصمة الظهر، ومصيبة العمر، فأما علي فاستخفى في بيت فاطمة، وأما عثمان فسكت، وأما عمر فأهجر وقال: مامات رسول الله وإنما واعده ربه كما واعد موسى، وليرجعن رسول الله، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم(4) ولما سمع أبو بكر الخبر أقبل على فرس من مسكنه بالسُّنح، حتى نزل، فدخل المسجد، فلم يكلّم الناس، حتى دخل على عائشة فتيمّم رسول الله ⇨ وهو مُغشّى بثوب حبرة، فكشف عن وجهه، ثم أكبَّ عليه فقبله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، والله لايجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي عليك فقد متها(5)، وخرج أبو بكر وعمر يتكلم فقال: اجلس ياعمر، وهو ماضي في كلامه، وفي ثورة غضبه، فقام أبو بكر في الناس خطيباً بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

أما بعد: فإن من كان يعبد محمد فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لايموت، ثم تلا هذه الآية: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} (سورة آل عمران، آية:144). فنشج الناس يبكون(6).

قال عمر: فوالله ما إن سمعت أبا بكر تلاها فهويت إلى الأرض ماتحملني قدماي، وعلمت أن رسول الله قد مات(7) قال القرطبي: هذه الآية أدل دليل على شجاعة الصديق وجراءته، فإن الشجاعة والجرأة حدُّهما ثبوت القلب عند حلول المصائب، ولامصيبة أعظم من موت النبي ⇨ فظهرت شجاعته وعلمه، قال الناس: لم يمت رسول الله ⇨ منهم عمر، وخرس عثمان، واستخفى علي، واضطرب الأمر، فكشفه الصديق بهذه الآية حين قدومه من مسكنه بالسُّنح(8).

---

(1) السلسلة الصحيحة للألباني رقم 1106.

(2) تفسير القرطبي (176/2).

(3) ابن هشام (323/4).

(4) القواصم من العواصم، ص38.

(5) البخاري، كتاب المغازي رقم 4452.

(6) البخاري، كتاب فضائل الصحابة رقم 3668.

(7) البخاري، كتاب المغازي رقم 4454.

(8) تفسير القرطبي (222/4).

وبهذه الكلمات القلائل، واستشهاد الصديق بالقرآن الكريم خرج الناس من ذهولهم وحيرتهم ورجعوا إلى الفهم الصحيح رجوعاً جميلاً، فالله هو الحي وحده الذي لايموت، وأنه وحده الذي يستحق العبادة، وأن الإسلام باق بعد موت محمد ﷺ(1)، كما جاء في رواية من قول الصديق: إن دين الله قائم، وإن كلمة الله تامة وإن الله ناصر من نصره، ومعز دينه، وإن كتاب الله بين اظهرنا، وهو النور والشفاء وبه هدا الله محمد ﷺ وفيه حلال الله وحرامه، والله لانبالي من أجلب علينا من خلق الله، إن سيوف الله لمسلولة ماوضعناها بعد، ولنجاهدنَّ من خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله فلا يبغين أحد إلا على نفسه(2).

كان موت محمد ﷺ مصيبة عظيمة، ابتلاءاً شديداً، ومن خلاها وبعدها ظهرت شخصية الصديق كقائد للأمة فذ لانظير له ولامثيل(3)، فقد أشرق اليقين في قلبه وتجلى ذلك في رسوخ الحقائق فيه فعرف حقيقة العبودية، والنبوة، والموت، وفي ذلك الموقف العصيب ظهرت حكمته ◄، فانحاز بالناس إلى التوحيد (من كان يعبد الله فإن الله حي لايموت) ومازال التوحيد في قلوبهم غضاً طرياً، فما أن سمعوا تذكير الصديق لهم حتى رجعوا إلى الحق(4) تقول عائشة رضي الله عنها فوالله لكأن الناس لم يكونوا يعلمون أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر ◄ فتلقاها منه الناس، فما يسمع بشر إلا يتلوها(5).

ثالثاً: سقيفة بني ساعدة:

لما علم الصحابة رضي الله عنهم بوفاة رسول الله ﷺ اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة في اليوم نفسه وهو يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشر للهجرة، وتداولوا الأمر بينهم في اختيار من يلي الخلافة من بعده(6).

والتف الأنصار حول زعيم الخزرج سعد بن عبادة ◄ ولما بلغ خبر اجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة إلى المهاجرين وهم مجتمعون مع أبي بكر الصديق ◄ لترشيح من يتولى الخلافة(7)، قال المهاجرون لبعضهم: انطلقوا بنا إلى إخواننا من الأنصار، فإن لهم في هذا الحق نصيباً(8)، قال عمر ◄: فانطلقنا نريدهم، فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلان صالحان، فذكر ماتمالأ عليه القوم. فقالا: أين

---

(1) استخلاف ابوبكر الصديق، جمال عبدالهادي، ص160.
(2) دلائل النبوة للبيهقي (218/7).
(3) أبوبكر رجل الدولة، مجدي حمدي، ص25،26.
(4) استخلاف ابوبكر الصديق، ص160.
(5) البخاري، كتاب الجنائز رقم 1241، 1242.
(6) التاريخ الاسلامي (21/9).
(7) عصر الخلافة الراشدة للعمري، ص40.
(8) نفس المصدر، ص40.

تريدون يامعشر المهاجرين؟ قلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، فقالا: لاعليكم أن لاتقربوهم، اقضوا أمركم. فقلت: والله لنأتينَّهم(1)، فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا رجل مزمّلٌ بين ظهرانيهم، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا سعد بن عبادة، فقلت: ماله؟ قالوا: يُوعَك. فلما جلسنا قليلاً تشهَّد خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم – معشر المهاجرين– رهط، وقد دفت دافة من قومكم(2)، فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يحضنونا من الأمر(3)، فلما سكت أردت أن أتكلم– وكنت قد زوَّرتُ مقالة أعجبتني أريد أن أقدّمها بين يدي أبي بكر– وكنت أداري منه بعض الحدِّ، فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر: على رسلك. فكرهت أن أغضبه، فتكلم أبو بكر، فكان هو أحلم مني وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل منها حتى سكت. فقال: ماذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يُعرف هذا الأمر إلا لهذا الحيِّ من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً. وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم –فأخذ بيدي ويد أبي عُبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا– فلم أكره مما قال غيرها، والله أن أقدّم فتضرب عنقي لايُقرِّبني ذلك من إثم أحب إليَّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر، اللهم إلا أن تُسَوِّل إليَّ نفسي عند الموت شيئاً لاأجده الآن.

فقال قائل من الأنصار: أنا جُذيلها المحكَّك، وعُذيقُها المرجَّب(4)، منا أمير ومنكم أمير يامعشر قريش، فكثر اللغط، وارتفعت الأصوات، حتى فرقت من الاختلاف فقلت: أبسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده، فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار(5).

وفي رواية أحمد:... فتكلم أبو بكر ◄ فلم يترك شيئاً أنزل في الأنصار ولاذكره رسول الله ⇦ من شأنهم إلا وذكره، وقال: ولقد علمتم أن رسول الله ⇦ قال: لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار وادياً سلكت وادي الأنصار، ولقد علمت ياسعد(6) أن رسول الله ⇦ قال وأنت قاعد: قريش ولاة هذا الأمر فَبَرُّ الناس تبع لبرِّهم، وفاجر الناس تبع لفاجرهم، قال فقال له سعد: صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء(7).

رابعاً: أهم الدروس والعبر والفوائد في هذه الحادثة:

---

(1) الرجلان هما: عويم بن ساعدة، معن بن عدي رضي الله عنهما.

(2) أي عدد قليل.

(3) أي يخرجوننا من أمر الخلافة.

(4) الجزيل عود ينصب للإبل الجَربَي لتحتك به والمحكك الذي يحتك به كثيراً، أراد أن يستشفى برايه، والعذيق النخلة: أي الذي يعتمد عليه.

(5) البخاري، كتاب الحدود رقم 6830.

(6) يعني سعد بن عبادة الخزرجي ◄.

(7) مسند أحمد (5/1)؛ الخلافة والخلفاء، البهنساوي، ص50.

1-الصديق وتعامله مع النفوس وقدرته على الإقناع:

من رواية الإمام أحمد يتضح لنا كيف استطاع الصديق أبو بكر ◄ أن يدخل إلى نفوس الأنصار فيقنعهم بما رآه هو الحق من غير أن يُعرِّض المسلمين للفتنة، فأثنى على الأنصار ببيان ماجاء في فضلهم من الكتاب والسنة، والثناء على المخالف منهج إسلامي يقصد منه إنصاف المخالف وامتصاص غضبه وانتزاع بواعث الأثرة والأنانية في نفسه ليكون مهيّأً لقبول الحق إذا تبين له، وقد كان في هدي النبي ⇨ الكثير من الأمثلة التي تدل على ذلك ثم توصل أبو بكر من ذلك إلى أن فضلهم وإن كان كبيراً لايعني أحقيتهم في الخلافة لأن النبي ⇨ قد نص على أن المهاجرين من قريش هم المقدّمون في هذا الأمر(1)، وقد ذكر ابن العربي المالكي أن أبا بكر استدل على أن أمر الخلافة في قريش بوصية رسول الله ⇨ بالأنصار خيراً، وأن يقبلوا من محسنهم ويتجاوزا عن مسيئهم، احتج به أبو بكر على الأنصار قوله: إن الله سمانا (الصادقين) وسمّاكم (المفلحين) إشارة إلى قوله تعالى: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ⇦وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ⇦} (سورة الحشر، آية:8-9). وقد أمركم أن تكونوا معنا حيثما كنا فقال: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} (سورة التوبة، آية:119). إلى غير ذلك من الأقوال المصيبة والأدلة القوية. فتذكرت الأنصار ذلك وانقادت إليه(2)، وبين الصديق في خطابه أن من مؤهلات القوم الذين يرشحون للخلافة أن يكونوا ممن يدين لهم العرب بالسيادة وتستقر بهم الأمور، حتى لاتحدث الفتن فيما إذا تولى غيرهم، وأبان أن العرب لايعترفون بالسيادة إلا للمسلمين من قريش لكون النبي ⇨ منهم ولما استقر في اذهان العرب من تعظيمهم واحترامهم.

وبهذه الكلمات النيرة التي قالها الصديق اقتنع الأنصار بأن يكونوا وزراء مُعينين وجنوداً مخلصين كما كانوا في عهد النبي ⇨ وبذلك توحد صف المسلمين(3).

2-زهد عمر وأبي بكر رضي الله عنهما في الخلافة وحرص الجميع على وحدة الأمة:

بعد أن تمّ أبو بكر حديثه في السقيفة قدّم عمر وأبا عبيدة للخلافة، ولكن عمر كره ذلك وقال فيما بعد: فلم أكره مما قال غيرها. كان والله أن أقدم فتضرب عنقي لايقرِّبني ذلك من إثم أحب إلي من أن أتأمَّر على قوم فيهم أبو بكر(4).

وبهذه القناعة من عمر بأحقية أبي بكر بالخلافة قال له: أبسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده، قال: فبايعته وبايعه المهاجرون والأنصار وجاء في رواية قال عمر: .. يامعشر الأنصار ألستم تعلمون أن رسول الله قد أمر أبا بكر أن يؤمَّ الناس فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر ◄ فقالت الأنصار: نعوذ

---

(1) التاريخ الاسلامي (24/9).

(2) العواصم من القواصم، ص10.

(3) التاريخ الاسلامي (24/9).

(4) البخاري، كتاب المحاربين رقم 6830.

بالله أن نتقدم أبا بكر(1).

وهذا ملحظ مهم وُفّق إليه عمر ◄، وقد اهتم بذلك النبي ﷺ في مرض موته فأصرّ على إمامة أبي بكر، وهو من باب الإثارة بأنه أحق من غيره بالخلافة وكلام عمر في غاية الأدب والتواضع والتجرد من حظ النفس، ولقد ظهر زهد أبي بكر في الإمارة في خطبته التي اعتذر فيها من قبول الخلافة حيث قال: والله ماكنت حريصاً على الإمارة يوما ولاليلة قط ولاكنت فيها راغباً ولاسألتها الله عزوجل في سرّ وعلانية، ولكني أشفقت من الفتنة، ومالي في الإمارة من راحة ولكن قلدت أمراً عظيماً مالي به من طاقة ولايد إلا بتقوية الله عزوجل، ولوددت أن أقوى الناس عليها مكاني(2).

وقد ثبت أنه قال: وددت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين، أبي عبيدة أو عمر فكان أمير المؤمنين وكنت وزيراً(3)، وقد تكررت خطب أبي بكر في الاعتذار عن تولي الخلافة وطلبه بالتنحي عنها. فقد قال: ... أيها الناس هذا أمركم إليكم تولوا من أحببتم على ذلك وأكون كأحدكم فأجابه الناس رضينا بك قسماً وحظاً وأنت ثاني اثنين مع رسول الله ﷺ(4)، وقد قام باستبراء نفوس المسلمين من أي معارضة لخلافته واستحلفهم على ذلك فقال: أيها الناس أذكر الله أيما رجل ندم على بيعتي لما قام على رجليه، فقال علي بن أبي طالب، ومعه السيف، فدنا منه حتى وضع رِجلاً على عتبة المنبر والأخرى على الحصى وقال: والله لانقيلك ولانستقيلك قدّمك رسول الله فمن ذا يؤخرك(5)، ولم يكن أبو بكر وحده الزاهد في أمر الخلافة والمسؤولية بل إنها روح العصر. ومن هذه النصوص التي تمّ ذكرها يمكن القول: إن الحوار الذي دار في سقيفة بني ساعدة لايخرج عن هذا الاتجاه، بل يؤكد حرص الأنصار على مستقبل الدعوة الإسلامية واستعدادهم المستمر للتضحية في سبيلها، فما اطمأنوا على ذلك حتى استجابوا سراعاً لبيعة أبي بكر الذي قبل البيعة لهذه الأسباب، وإلا فإن نظرة الصحابة مخالفة لرؤية الكثير مما جاء بعدهم ممن خالفوا المنهج العلمي، والدراسة الموضوعية، بل كانت دراستهم متناقضة مع روح ذلك العصر، وآمال وتطلعات أصحاب رسول الله من الأنصار وغيرهم، وإذا كان اجتماع السقيفة أدى إلى انشقاق بين المهاجرين والأنصار كما زعمه بعضهم(6)، فكيف قبل الأنصار بتلك النتيجة وهم أهل الديار وأهل العدد والعدة؟ وكيف انقادوا لخلافة أبي بكر ونفروا في جيوش الخلافة شرقاً وغرباً مجاهدين لتثبيت أركانها؟ لو لم يكونوا متحمسين لنصرتها(7).

---

(1) مسند أحمد (21/1) وصحح إسناده أحمد شاكر (213/1) رقم 133.

(2) المستدرك (66/3) قال الحاكم: حديث صحيح وأقره الذهبي .

(3) الانصار في العصر الراشدي، حامد محمد الخليفة، ص108؛ تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص91.

(4) الخلافة الراشدة للعمري، ص13.

(5) الانصار في العصر الراشدي، ص108.

(6) انظر: الاسلام وأصول الحكم ، محمد عمارة، ص71 الى 74.

(7) الانصار في العصر الراشدي، ص109.

فالصواب اتضح من حرص الأنصار على تنفيذ سياسة الخلافة والاندفاع لمواجهة المرتدين، وأنه لم يتخلف أحد من الأنصار عن بيعة أبي بكر فضلاً عن غيرهم من المسلمين وأن أخوة المهاجرين والأنصار أكبر من تخيلات الذين سطروا الخلاف بينهم في رواياتهم(1) المغرضة.

3-سعد بن عبادة ◀ وموقفه من خلافة الصديق:

إن سعد بن عبادة ◀ قد بايع أبا بكر ◀ بالخلافة في أعقاب النقاش الذي دار في سقيفة بني ساعدة إذ أنه نزل عن مقامه الأول في دعوى الإمارة وأذعن للصديق بالخلافة، وكان ابن عمه بشير بن سعد الأنصاري أول من بايع الصديق رضي الله عنهم في اجتماع السقيفة ولم يثبت النقل الصحيح أية أزمات، لابسيطة ولاخطيرة ولم يثبت أي انقسام أو فرق لكل منها مرشح يطمع في الخلافة كما زعم بعض كتاب التاريخ، ولكن الأخوة الإسلامية ظلت كما هي، بل ازدادت توثقاً كما يثبت ذلك النقل الصحيح، ولم يثبت النقل الصحيح تآمراً حدث بين أبي بكر وعمر وأبي عبيدة لاحتكار الحكم بعد وفاة رسول الله ⇨(2). فهم كانوا أخشى لله وأتقى من أن يفعلوا ذلك.

وقد حاول بعض الكتّاب من المؤرخين أصحاب الأهواء أن يجعلوا من سعد بن عبادة ◀ منافساً للمهاجرين يسعى للخلافة بشره، ويدبر لها المؤامرات، ويستعمل في الوصول إليها كل أساليب التفرقة بين المسلمين. هذا الرجل- إذا راجعنا تاريخه وتتبعنا مسلكه، وجدنا مواقفه مع الرسول ⇨ تجعله من الصفوة الأخيار، الذين لم تكن الدنيا أكبر همهم، ولامبلغ علمهم، فهو النقيب في بيعة العقبة الثانية حتى لجأت قريش إلى تعقبه قرب مكة وربطوا يديه إلى عنقه وأدخلوه مكة أسير حتى أنقذه منهم جبير بن مطعم بن عدي حيث كان يجيرهم في المدينة وهو من الذين شهدوا بدراً(3) وحظى بمقام أهل بدر ومنزلتهم عند الله، وكان من بيت جود وكرم وشهد له ذلك رسول الله ⇨ وكان رسول الله ⇨ يعتمد عليه -بعد الله- وعلى سعد بن معاذ كما في غزوة الخندق عندما استشارهم في إعطاء ثلث ثمار المدينة لعيينة بن حصن الفزاري، فكان رد السعدين يدل على عمق الإيمان وكمال التضحية(4)، فمواقف سعد مشهورة ومعلومة، فهذا الصحابي الجليل صاحب الماضي المجيد في خدمة الإسلام والصحبة الصادقة لرسول الله لايعقل ولم يثبت أنه كان يريد أن يحي العصبية الجاهلية في مؤتمر السقيفة لكي يحصل في غمار هذه الفرقة على منصب الخلافة، كما أنه لم يثبت ولم يصح ماورد في بعض المراجع من أنه -بعد بيعة أبي بكر- كان لايصلي بصلاتهم ولايفيض في الحج بإفاضتهم(5) كأنما انفصل سعد بن

---

(1) نفس المصدر، ص109.

(2) استخلاف ابوبكر، جمال عبدالهادي، ص50،51،53.

(3) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (594/2).

(4) الخلافة والخلفاء الراشدون، سالم البهنساوي، ص48.

(5) نفس المصدر، ص49.

عبادة ◀ عن جماعة المسلمين(1)، فهذا باطل ومحض افتراء، فقد ثبت من خلال الروايات الصحيحة أن سعداً بايع أبا بكر، فعندما تكلم أبو بكر يوم السقيفة، فذكر فضل الأنصار وقال: ولقد علمتم أن رسول الله قال: لو سلك الناس وادياً، وسلكت الأنصار وادياً أو شعباً لسلكت وادي الأنصار أو شعب الأنصار(2) ثم ذكرّ سعد بن عبادة بقول فصل وحجة لاترد فقال: ولقد علمت ياسعد أن رسول الله ⇨ قال وأنت قاعد: قريش ولاة هذا الأمر، فبر الناس تبع لبرهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم قال سعد: صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء(3)، فتتابع القوم على البيعة وبايع سعد(4)، وبهذا تثبت بيعة سعد بن عبادة، وبها يتحقق إجماع الأنصار على بيعة الخليفة أبي بكر، ولايعود أي معنى للترويج لرواية باطلة، بل سيكون ذلك مناقضاً للواقع واتهاماً خطيراً، أن ينسب لسيد الأنصار العمل على شق عصا المسلمين، والتنكر لكل ماقدمه من نصرة وجهاد وإيثار للمهاجرين، والطعن بإسلامه من خلال ماينسب إليه من قول: لا أبايعكم حتى أرميكم بما في كنانتي، وأخضب سنان رمحي، وأضرب بسيفي، فكان لايصلي بصلاتهم ولايجمع بجماعتهم ولايقضي بقضائهم ولايفيض بإفاضتهم(5) أي في الحج.

إن هذه الرواية التي استغلت للطعن بوحدة المهاجرين والأنصار وصدق أخوتهم ماهي إلا رواية باطلة للأسباب التالية:

أن الراوي صاحب هوى وهو (إخباري تالف لايوثق به)(6) ولاسيما في المسائل الخلافية.

قال الذهبي عن هذه الرواية واسنادها كما ترى(7)، أي في غاية الضعف أما متنها فهو يناقض سيرة سعد بن عبادة: ومافي عنقه من بيعة على السمع والطاعة، ولما روي عنه من فضائل(8).

4-مايروى من خلاف بين عمر والحباب بن المنذر:

أما مايروى عن تنازع في السقيفة بين عمر وبين الحباب بن المنذر السلمي الأنصاري، فالراجح أنه غير صحيح، وأن عمر لم يُغضب الحباب بن المنذر منذ عهد رسول الله ⇨، فقد روى عن عمر قال: فلما كان الحباب بن المنذر هو الذي يجيبني لم يكن لي معه كلام، لأنه كان بيني وبينه منازعة في حياة

---

(1) المصدر السابق، ص49.

(2) البخاري، كتاب التمني ، رقم 7244.

(3) مسند الإمام أحمد رقم 18، صحيح لغيره.

(4) الانصار في العصر الراشدي ، ص102.

(5) تاريخ الطبري (42/4).

(6) ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي (2992/3) والراوي هو لوط بن يحيى أبو مخنف متروك ولم يعتد بأبي مخنف ويعتبر بروايته ويعتمد عليها سوى الشيعة، فقد كان من أعظم مؤرخي الشيعة على قول ابن القمي. انظر: مرويات ابي مخنف في تاريخ الطبري للدكتور يحيى اليحيى، ص45،46.

(7) سير أعلام النبلاء (277/1).

(8) الأنصار في العصر الراشدي، ص102،103.

رسول الله فنهاني عنه فحلفت أن لاأكلمه كلمة تسؤوه أبداً(1).

كما أن مايروى عن الحباب في هذه المنازعة مخالف لما عُهد عنه من حكمة، ومن حسن تأتيه للأمور، إذ كان يلقب (بذي الرأي)(2) في عهد رسول الله وذلك لقبول مشورته في بدر وخيبر(3)، وأما قول الحباب بن المنذر: منا أمير ومنكم أمير، فقد سوغ ذلك وأوضح أنه لايقصد بذلك الوصول إلى الإمارة، فقال: فإنا واللهماننفس عليكم هذا الأمر ولكنا نخاف أن يليه أقوام قتلنا آباءهم وإخوانهم(4)، فقبل المهاجرون قوله وأقروا عذره ولاسيما أنهم شركاء في دماء من قتل من المشركين(5).

5-حديث الأئمة من قريش وموقف الأنصار منه:

ورد حديث الأئمة من قريش في الصحيحين، وكتب الحديث الأخرى، بألفاظ متعددة، ففي صحيح البخاري عن معاوية قال: قال رسول الله ﷺ: إن هذا الأمر في قريش لايعاديهم أحد إلا أكبه الله في النار على وجهه ما أقاموا الدين(6) وفي صحيح مسلم لايزال الإسلام عزيزاً بخلفاء كلهم من قريش(7) وعن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: لايزال هذا الأمر في قريش مابقي منهم اثنان(8)، وقال رسول الله ﷺ: الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم(9) وعن بكير بن وهب الجزري قال: قال لي أنس بن مالك الأنصاري: أحدثك حديثاً ما أحدثه كل أحد، كنا في بيت من الأنصار فجاء النبي ﷺ حتى وقف فأخذ بعضادتي الباب(10)، فقال: الأئمة من قريش إن لهم عليكم حقاً، ولكم عليهم حقا مثل ذلك، ما إن استرحموا فرحموا وإن عاهدوا أوفوا وإن حكموا عدلوا(11) وفي فتح الباري أورد ابن حجر أحاديث كثيرة تحت باب الأمراء من قريش أسندها إلى كتب السنن والمسانيد والمصنفات(12)، فالأحاديث في هذا الباب كثيرة لايكاد يخلوا منها كتاب من كتب الحديث، وقد رويت بألفاظ متعددة، إلا أنها متقاربة تؤكد جميعها أن الإمرة

---

(1) الانصار في العصر الراشدي، ص100.

(2) الاستيعاب (316/1).

(3) الانصار في العصر الراشدي، ص100.

(4) نفس المصدر، ص100.

(5) المصدر السابق، ص100.

(6) البخاري، كتاب الأحكام رقم 7139.

(7) مسلم، كتاب الإمارة رقم 1821.

(8) البخاري، كتاب الأحكام رقم 7140.

(9) مسلم، كتاب الإمارة رقم 1818.

(10) الفتح الرباني للساعاتي، باب الخلافة ج5 (65/23)؛ ابن أبي شيبة (544/5).

(11) المصنف لأبي شيبة (544/5).

(12) الأنصار في العصر الراشدي، ص111.

المشروعة في قريش، ويقصد بالإمرة الخلافة فقط أما ماسوى ذلك فتساوى فيه جميع المسلمين(1)، وبمثل ما أوضحت الأحاديث النبوية الشريفة أن أمر الخلافة في قريش فإنها حذرت من الإنقياد الأعمى لهم، وأن هذا الأمر فيهم ما أقاموا الدين كما سلف في حديث معاوية وكما جاء في حديث أنس: إن استرحموا فرحموا، وإن عاهدوا أوفوا، وإن حكموا عدلوا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين(2)، وبهذا حذرت الأحاديث من اتباع قريش إن زاغوا عن الحكم بما أنزل الله فإن لم يمتثلوا ويطبقوا مثل هذه الشروط، فإنهم سيصبحون خطراً على الأمة وحذرت الأحاديث الشريفة من اتباعهم على غير ما أنزل الله ودعت إلى اجتنابهم والبعد عنهم واعتزالهم، لما سيترتب على مؤازرتهم آنذاك من مخاطر على مصير الأمة قال ﷺ: إن هلاك أمتي أو فساد أمتي رؤوس أغيلمة سفهاء من قريش(3)، وعندما سئل ﷺ: فما تأمرنا قال ﷺ: لو أن الناس اعتزلوهم(4).

ومن هذه النصوص تتضح الصورة لمسألة الأئمة من قريش، وأن الأنصار انقادوا لقريش ضمن هذه الضوابط وعلى هذه الأسس، وهذا ما أكدوه في بيعاتهم لرسول الله على السمع والطاعة، والصبر على الأثرة، وأن لاينازعوا الأمر أهله، إلا أن يروا كفراً بواحاً عندهم من الله فيه برهان(5)، فقد كان للأنصار تصور تام عن مسألة الخلافة، وأنها لم تكن مجهولة عندهم، وأن حديث الأئمة من قريش كان يرويه كثير منهم، وأن الذين لايعلمونه سكتوا عندما رواه لهم أبو بكر الصديق ولهذا لم يراجعه أحد من الأنصار عندما استشهد به، فأمر الخلافة تم بالتشاور والاحتكام إلى النصوص الشرعية والعقلية التي أثبتت أحقية قريش بها، ولم يسمع عن أحد من الأنصار بعد بيعة السقيفة أنه دعا نفسه بالخلافة، مما يؤكد اقتناع الأنصار وتصديقهم لما تمّ التوصل إليه من نتائج(6)، وبهذا يتهافت ويسقط قول من قال أن حديث الأئمة من قريش شعار رفعته قريش لاستلاب الخلافة من الأنصار أو أنه: رأي لأبي بكر وليس حديثاً رواه عن الرسول، وإنما كان فكراً سياسياً قرشياً، كان شائعاً في ذلك العصر يعكس ثقل قريش في المجتمع العربي في ذلك الحين، وعلى هذا فإن نسبة هذه الأحاديث إلى أبي بكر وأنها شعار لقريش، ماهي إلا صورة من صورة التشويه التي يتعرض لها تاريخ العصر الراشدي وصدر الإسلام الذي قام أساساً على جهود المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان، وعلى روابط الأخوة المتينة بين المهاجرين والأنصار حتى قال فيهم أبو بكر نحن والأنصار كما قال القائل:

أبو أن يملونا ولو أن أمنا

---

(1) نفس المصدر، ص111.

(2) مصنف ابن أبي شيبة (544/5).

(3) البخاري، كتاب الفتن رقم 7058.

(4) دلائل النبوة للبيهقي (464/6)؛ الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان رقم 6713.

(5) البخاري، كتاب الفتن رقم 7056.

(6) الانصار في العصر الراشدي ، ص116.

تلاقي الذين يلقون منا لملت(1)

6-الآيات القرآنية التي فيها إشارة إلى خلافة الصديق:

وردت آيات في كتاب الله عزوجل فيها الإشارة إلى أن أبا بكر الصديق ◀ أحق الناس في هذه الأمة بخلافة سيد الأولين والآخرين وتلك الآيات هي:

أ-قوله تعالى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ⇦صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ⇦} (سورة الفاتحة، آية:6-7). ووجه الدلالة أن أبا بكر ◀ فيمن أمر الله -جلاوعلا- عباده أن يسألوه أن يهديهم طريقهم وأن يسلك بهم سبيلهم وهم الذين أنعم الله عليهم وذكر منهم الصديقين في قوله تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} (سورة النساء، آية:69). وقد أخبر المصطفى ⇦ أن أبا بكر ◀ من الصديقين، فدل ذلك على أنه واحد منهم بل هو المقدم فيهم ولما كان أبو بكر ◀ ممن طريقهم هو الصراط المستقيم فلا يبقى أي شك لدى العاقل في أنه أحق خلق الله في هذه الأمة بخلافة المصطفى ⇦(2). قال محمد بن عمر الرازي: قوله:{ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ⇦صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ⇦} يدل على إمامة أبي بكر ◀ لأنا ذكرنا أن تقدير الآية: اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم والله تعالى قد بين في آية أخرى أن الذين أنعم الله عليهم من هم؟ فقال: {فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ} الآية ولاشك أن رأس الصديقين ورئيسهم أبو بكر الصديق ◀ فكان معنى الآية أن الله أمرنا أن نطلب الهداية التي كان عليها أبو بكر الصديق وسائر الصديقين ولو كان أبو بكر ظالاً لما جاز الاقتداء به فثبت بما ذكرناه دلالة هذه الآية على إمامة أبي بكر ◀(3).

وقال محمد الأمين الشنقيطي: يؤخذ من هذه الآية الكريمة صحة إمامة أبي بكر الصديق ◀ لأنه داخل فيمن أمرنا الله في السبع المثاني والقرآن العظيم

-أعني الفاتحة- بأن نسأله أن يهدينا صراطهم فدل على أن صراطهم هو الصراط المستقيم وذلك في قوله تعالى{اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم} وقد بين الذين أنعم عليهم فعد منهم الصديقين وقد بين ⇦ أن أبا بكر ◀ من الصديقين فاتضح أنه داخل في الذين أنعم الله عليهم الذين أمرنا الله أن نسأله الهداية إلى صراطهم فلم يبق لبس في أن أبا بكر الصديق ◀ على الصراط المستقيم وإن إمامته حق(4).

ب-قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (سورة المائدة، آية:54).

---

(1) نفس المصدر ، ص116.

(2) عقيدة أهل السنّة والجماعة في الصحابة، ناصر حسن الشيخ (532/2).

(3) تفسير الرازي (260/1).

(4) أضواء البيان (36/1).

هذه الصفات المذكورة في هذه الآية الكريمة أول من تنطبق عليه أبو بكر الصديق ◄ وجيوشه من الصحابة الذين قاتلوا المرتدين فقد مدحهم الله بأكمل الصفات ووجه دلالة الآية على خلافة الصديق أنه (كان في علم الله سبحانه وتعالى مايكون بعد وفاة رسول الله ⇦ من ارتداد قوم فوعد سبحانه – ووعده صدق– أنه يأتي بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولايخافون لومة لائم، فلما وجد ماكان في علمه من ارتداد من ارتد بعد وفاة رسول الله وجد تصديق وعده بقيام أبي بكر الصديق ◄ بقتالهم فجاهد بمن أطاعه من الصحابة من عصاه من الأعراب، ولم يخف في الله لومة لائم حتى ظهر الحق وزهق الباطل وصار تصديق وعده بعد وفاة رسوله ⇦ آية للعالمين ودلالة على صحة خلافة الصديق ◄(1).

ج–قال تعالى: {إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (سورة التوبة، آية:40).

قال أبو عبدالله القرطبي: قال بعض العلماء في قوله تعالى:{ثاني اثنين إذ هما في الغار} مايدل على أن الخليفة بعد النبي ⇦ أبو بكر الصديق ◄ لأن الخليفة لايكون أبداً إلا ثانياً وسمعت شيخنا أبا العباس أحمد بن عمر يقول: إنما استحق أن يقال ثاني اثنين لقيامه بعد النبي ⇦ بالأمر كقيام النبي ⇦ به أولاً، وذلك أن النبي ⇦ لما مات ارتدت العرب كلها ولم يبقى الإسلام إلا بالمدينة وجواثا(2)، فقام أبو بكر يدعو الناس إلى الإسلام ويقاتلهم على الدخول في الدين كما فعل النبي ⇦ فاستحق من هذه الجهة أن يقال في حقه ثاني اثنين(3).

ح– قال تعالى : {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (سورة التوبة، آية:100) الآية ووجه دلالة الآية على أحقية الصديق بالإمامة بعد النبي ⇦ أن الهجرة فعل شاق على النفس ومخالف للطبع فمن أقدم عليه أولاً صار قدوة لغيره في هذه الطاعة وكان ذلك مقوياً لقلب الرسول عليه الصلاة والسلام وسبباً لزوال الوحشة عن خاطره وكذلك السبق في النصرة فإن الرسول عليه الصلاة والسلام لما قدم المدينة فلاشك أن الذين سبقوا إلى النصرة والخدمة فازوا بمنصب عظيم وإذا ثبت هذا فإن أسبق الناس إلى الهجرة أبو بكر الصديق فإنه كان في خدمة المصطفى عليه الصلاة والسلام وكان مصاحباً له في كل مسكن وموضع فكان نصيبه من هذا المنصب أعلى من نصيب غيره وإذا ثبت هذا صار محكوماً عليه بأنه رضي الله عنه ورضي هو عن الله وذلك في أعلى الدرجات من الفضل، وإذا ثبت هذا وجب أن يكون إماماً حقاً بعد رسول الله ⇦ فصارت هذه الآية من أدل الدلائل على فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وعلى

---

(1) الاعتقاد للبيهقي، ص173–174.

(2) جواثا: قرية بالبحرين.انظر: معجم البلدان (174/2).

(3) تفسير القرطبي (147/8–148).

صحة إمامتهما(1).

خ- قال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (سورة النور، آية:55).

هذه الآية منطبقة على خلافة الصديق ◄ وعلى خلافة الثلاثة بعده فلما وجدت هذه الصفة من الاستخلاف والتمكين في أمر أبي بكر وعمر وعثمان وعلي دل ذلك على أن خلافتهم حق(2)، وقال الحافظ بن كثير: وقال بعض السلف خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حق في كتاب الله ثم تلا هذه الآية(3).

د-قال تعالى: {قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} (سورة الفتح، آية:16) قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى:(وقد دل على إمامة أبي بكر في سورة براءة فقال للقاعدين عن نصرة نبيه عليه السلام والمتخلفين عن الخروج معه : {فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ} (سورة التوبة، آية:83). وقال في سورة أخرى: {سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ} يعني الى قوله: {لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا} ثم قال الله تعالى {كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لا يَفْقَهُونَ إِلا قَلِيلا} وقال تعالى: {قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا} -يعني تعرضوا عن إجابة الداعي لكم الى قتالكم- كما {تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} (سورة الفتح، آيتان: 15-16). والداعي لهم إلى ذلك غير النبي ⇦ قال الله -عزوجل- له {فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا} وقال في سورة الفتح: {يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ} فمنعهم عن الخروج مع نبيه عليه السلام وجعل خروجهم معه تبديلاً لكلامه فوجب بذلك أن الداعي الذي يدعوهم إلى القتال داع يدعوهم بعد نبيه ⇦(4)، وقد قال مجاهد في قوله: {أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ}. هم فارس والروم وبه قال الحسن البصري. قال عطاء: هم فارس وهو أحد قولي ابن عباس ◄، وفي رواية أخرى عنه أنهم بنو حنيفة يوم اليمامة فإن كانوا أهل اليمامة فقد قوتلوا في أيام أبي بكر: وهو الداعي إلى قتال مسيلمة وبني حنيفة من أهل اليمامة، وإن كانوا أهل فارس والروم(5)، فقد قوتلوا في أيام أبي بكر وقاتلهم عمر من بعده وفرغ منهم وإذا وجبت إمامة عمر وجبت إمامة أبي بكر كما وجبت إمامة عمر لأنه العاقد له

---

(1) تفسير الرازي (168/16-169).

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (121/5).

(3) نفس المصدر (121/5).

(4) الإبانة عن أصول الديانة، ص67؛ مقالات الاسلاميين (144/2).

(5) جامع البيان للطبري (82/26-84)؛ الاعتقاد للبيهقي، ص173.

الإمامة فقد دل القرآن على إمامة الصديق والفاروق رضي الله عنهما، وإذا وجبت إمامة أبي بكر بعد رسول الله ⇦ وجب أنه أفضل المسلمين ◄(1).

هـ- قال تعالى: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} (سورة الحشر، الآية: 8).

وجه دلالة هذه الآية على خلافته ◄ أن الله عز وجل سماهم (صادقين) ومن شهد له الرب - جل وعلا- بالصدق فإنه لايقع في الكذب ولا يتخذه خلقاً بحال وقد أطبق هؤلاء الموصوفون بالصدق على تسمية الصديق ◄ (خليفة رسول الله)(2) ⇦ ومن هنا كانت الآية دالة على ثبوت خلافته ◄(3).

7- الأحاديث التي أشارت الى خلافة أبي بكر ◄:

وأما الأحاديث النبوية التي جاء التنبيه فيها على خلافة أبي بكر ◄ فكثيرة شهيرة متواترة ظاهرة الدلالة إما على وجه التصريح أو الإشارة ولاشتهارها وتواترها صارت معلومة من الدين بالضرورة بحيث لايسع أهل البدعة إنكارها(4) ومن تلك الأحاديث.

أ- عن جبير بن مطعم قال: أتت امرأة النبي ⇦ فأمرها أن ترجع إليه قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك - كأنها تقول الموت- قال ⇦ إن لم تجديني فأتي أبابكر(5).

قال ابن حجر: وفي الحديث أن مواعيد النبي ⇦ كانت على من يتولى الخلافة بعده تنجيزها وفيه رد على الشيعة في زعمهم أنه نص على استخلاف علي والعباس(6).

ب- عن حذيفة قال: كنا عند النبي ⇦ جلوساً فقال: إني لا أدري ماقدر بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي وأشار الى أبي بكر وعمر (وتمسكوا بعهد عمار وماحدثكم ابن مسعود فصدقوه)(7).

فقوله ⇦: (اقتدوا باللذين من بعدي) أي: بالخيلفتين اللذين يقومان من بعدي وهما أبوبكر وعمر وحث على الاقتداء بهما لحسن سيرتهما وصدق سريرتهما، وفي الحديث إشارة لأمر الخلافة(8).

ت- عن أبي هريرة ◄ عن رسول الله قال: بينما أنا نائم أريت أني أنزع على حوضي أسقي

---

(1) الإبانة في أصول الديانة، ص67.

(2) منهاج السنّة (135/1)؛ الفصل في الملل والأهواء والنحل (107/4).

(3) عقيدة أهل السنّة والجماعة (538/2)، ناصر حسن الشيخ.

(4) عقيدة أهل السنّة والجماعة في الصحابة (539/2).

(5) مسلم (1856/4-1857)؛ البخاري رقم 3659.

(6) فتح الباري (24/7).

(7) سلسلة الاحاديث الصحيحة للالباني (233/3-236).

(8) تحفة الاحوذي بشرح الترمذي (147/10).

الناس فجاءني أبوبكر فأخذ الدلو من يدي ليروحني فنزع الدلوين وفي نزعه ضعف والله يغفر له فجاء ابن الخطاب فأخذ منه فلم أر نزع رجل قط أقوى منه حتى تولى الناس والحوض ملآن يتفجر(1).

قال الشافعي رحمه الله: رؤيا الأنبياء وحي وقوله: وفي نزعه ضعف قصر مدته وعجلة موته وشغله بالحرب لأهل الردة عن الافتتاح والتزيد الذي بلغه عمر في طول مدته(2).

ث- قالت عائشة: قال لي رسول الله ⇨ في مرضه: (ادعي لي أبابكر، وأخاك حتى أكتب كتاباً فإني أخاف أن يتمى متمن ويقول قائل: أنا أولى. ويأبى الله والمؤمنون إلا أبابكر)(3).

دل هذا الحديث دلالة واضحة على فضل الصديق ◄ حيث أخبر النبي ⇨ بما سيقع في المستقبل بعد التحاقه بالرفيق الأعلى وأن المسلمين يأبون عقد الخلافة لغيره ◄ وفي الحديث إشارة أنه سيحصل نزاع ووقع كل ذلك كما أخبر عليه الصلاة والسلام ثم اجتمعوا على أبي بكر ◄(4).

ج- عن عبيد الله بن عبدالله قال: دخلت على عائشة فقلت لها: ألا تحديثيني عن مرض رسول الله ⇨ قالت: بلى ثقل النبي ⇨ فقال: أصلى بالناس. قلنا: لا وهم ينتظرونك يارسول الله. قال: ضعوا لي ماء في المخضب(5). ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء(6)، فأغمى عليه ثم أفاق فقال: أصلى الناس. قلنا: لا وهم ينتظرونك يارسول الله فقال: ضعوا لي ماء في المخضب ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمى عليه ثم أفاق فقال: أصلى الناس. قلنا: لا وهم ينتظرونك يارسول الله؟ قالت: والناس عكوف في المسجد ينتظرون رسول الله ⇨ لصلاة العشاء الآخرة قالت: فأرسل رسول الله ⇨ الى أبي بكر أن يصلي بالناس فأتاه الرسول فقال: إن رسول الله ⇨ يأمرك أن تصلي بالناس فقال: أبوبكر، وكان رجلاً رقيقاً: ياعمر صلِ بالناس قال: فقال: عمر أنت أحق بذلك قالت: فصلى بهم أبوبكر تلك الأيام ثم إن رسول الله ⇨ وجد في نفسه خفة فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر وأبوبكر يصلي بالناس فلما رآه أبوبكر ذهب ليتأخر فأومأ إليه النبي ⇨ أن لا يتأخر وقال لهما: أجلساني الى جنبه. فأجلساه الى جنب أبي بكر وكان أبوبكر يصلي وهو قائم بصلاة النبي ⇨ والناس يصلون بصلاة أبي بكر والنبي ⇨ قاعد. قال عبيدالله: فدخلت على عبدالله بن عباس فقلت له: ألا أعرض عليك ماحدثتني عائشة عن مرض رسول الله ⇨ قال: هات فعرضت حديثها عليه فما أنكر منه شيئاً غير أنه قال: أسمت لك الرجل الذي كان مع العباس قلت: لا قال: هو علي(7).

---

(1) مسلم (1861/4-1862).

(2) الاعتقاد للبيهقي ، ص171.

(3) مسلم (1857/4).

(4) عقيدة أهل السنّة والجماعة في الصحابة (542/2).

(5) المخضب: هي إجانة تغسل فيها الثياب.

(6) ينوء: أي يقوم وينهض (شرح النووي، 136/4).

(7) مسلم رقم 418؛ البخاري رقم 687.

هذا الحديث اشتمل على فوائد عظيمة منها: فضيلة أبي بكر الصديق ◀ وترجيحه على جميع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وتفضيله، وتنبيه على أنه أحق بخلافة رسول الله ⇨ من غيره ومنها أن الإمام إذا عرض له عذر عن حضور الجماعة استخلف من يصلي بهم وأنه لا يستخلف إلا أفضلهم، ومنها فضيلة عمر بعد أبي بكر ◀ لأن أبابكر ◀ لم يعدل الى غيره(1).

د- قال عبدالله بن مسعود ◀: لما قبض رسول الله ⇨ قالت الأنصار:منا أمير ومنكم أمير قال: فأتاهم عمر ◀ فقال: يامعشر الأنصار، ألستم تعلمون أن رسول الله ⇨ قد أمر أبابكر يؤم الناس فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبابكر ◀ فقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبابكر(2).

هـ- روى ابن سعد بإسناده الى الحسن قال: قال علي: لما قبض النبي ⇨ نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي ⇨ قد قدم أبابكر في الصلاة فرضينا لدنيانا من رضي رسول الله ⇨ لديننا فقدمنا أبابكر(3).

وقد علق أبو الحسن الأشعري على تقديم رسول الله ⇨ لأبي بكر في الصلاة فقال: وتقديمه له أمر معلوم بالضرورة من دين الاسلام قال: وتقديمه له دليل على أنه أعلم الصحابة وأقرؤهم لما ثبت في الخبر المتفق على صحته بين العلماء: أن رسول الله ⇨ قال: يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنّة، فإن كانوا في السنّة سواء فأكبرهم سناً، فإن كانوا في السن سواء فأقدمهم إسلاماً) - قال ابن كثير- وهذا من كلام الأشعري رحمه الله مما ينبغي أن يكتب بماء الذهب ثم قد اجتمعت هذه الصفات كلها في الصديق ◀ وأرضاه(4).

هذا ولأهل السنّة قولان في إمامة أبي بكر ◀ من حيث الإشارة إليها بالنص الخفي أو الجلي، فمنهم من قال: إن إمامة أبي بكر ◀ ثابتة بالنص الخفي والإشارة وهذا القول ينسب الى الحسن البصري رحمه الله تعالى وجماعة من أهل الحديث(5)، وهو رواية عن الامام أحمد بن حنبل(6)، رحمة الله عليه واستدل أصحاب هذا القول بتقديم النبي ⇨ له في الصلاة وبأمره ⇨ بسد الأبواب إلا باب أبي بكر، ومنهم من قال: إن خلافة أبي بكر ◀ ثابتة بالنص الجلي وهذا قول طائفة من أهل الحديث(7)، وبه قال أبومحمد بن حزم الظاهري(8)، واستدل هذا الفريق بحديث المرأة التي قال لها: إن لم تجديني فأتي أبابكر(9)، وبقوله لعائشة رضي الله عنها: ادعي لي أبابكر وأخاك حتى أكتب كتاباً فإني

---

(1) شرح النووي (137/4).
(2) المستدرك (67/3).
(3) الطبقات لابن سعد (183/3).
(4) البداية والنهاية (265/5).
(5) منهاج السنّة لابن تيمية (134/1-135).
(6) نفس المصدر (134/1).
(7) عقيدة أهل السنّة والجماعة في الصحابة (547/2).
(8) الفصل في الملل والأهواء والنحل (107/4).
(9) مسلم (1856/4-1857).

أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبابكر(1)، وحديث رؤياه ﷺ: أنه على حوض يسقى الناس فجاء أبوبكر فنزع الدلو من يده ليروحه)(2).

والذي أميل إليه ويظهر لي من خلال البحث: أن المصطفى ﷺ يأمر المسلمين بأن يكون الخليفة عليهم من بعده أبابكر ◄ وإنما دلهم عليها لإعلام الله سبحانه وتعالى له بان المسلمين سيختارونه لما له من الفضائل العالية التي ورد بها القرآن والسنّة وفاق بها غيره من جميع الأمة المحمدية ◄ وأرضاه(3).

قال ابن تيمية رحمه الله: والتحقيق أن النبي ﷺ دل المسلمين على استخلاف أبي بكر وأرشدهم إليه بأمور متعددة من أقوله وأفعاله وأخبر بخلافته إخبار رضي بذلك حامد له وعزم على أن يكتب بذلك عهداً ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه فترك الكتاب اكتفاء بذلك... فلو كان التعيين مما يشتبه على الأمة لبينه رسول الله ﷺ بياناً قاطعاً للعذر ولكن لما دلهم دلالات متعددة على أن أبابكر هو المتعين وفهموا ذلك حصل المقصورد ولهذا قال عمر بن الخطاب في خطبته التي خطبها بمحضر من المهاجرين والأنصار: وليس فيكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر...) الى أن قال: (فخلافة أبي بكر الصديق دلت النصوص الصحيحة على صحتها وثبوتها ورضا الله ورسوله ﷺ له بها وانعقدت بمبايعة المسلمين له واختيارهم إياه اختياراً استندوا فيه الى ماعملوه من تفضيل الله ورسوله فصارت ثابتة بالنص والإجماع جميعاً لكن النص دل على رضا الله ورسوله بها وأنها حق وأن الله أمر بها وقدرها وأن المؤمنين يختارونها وكان هذا أبلغ من مجرد العهد بها لأنه حينئذ كان يكون طريق ثبوتها مجرد العهد، وأما إذا كان المسلمون قد اختاروه من غير عهد ودلت النصوص على صوابهم فيما فعلوه ورضا الله ورسوله بذلك كان ذلك دليلاً على أن الصديق كان فيه من الفضائل التي بان بها عن غيره ماعلم المسلمون به أنه أحقهم بالخلافة فإن ذلك لايحتاج فيه الى عهد خاص(4).

8- انعقاد الإجماع على خلافة الصديق ◄:

أجمع أهل السنّة والجماعة سلفاً وخلفاً على أن أحق الناس بالخلافة بعد النبي ﷺ أبوبكر الصديق ◄ لفضله وسابقته ولتقديم النبي ﷺ إياه في الصلوات على جميع الصحابة وقد فهم أصحاب النبي ﷺ مراد المصطفى عليه الصلاة والسلام من تقديمه في الصلاة فأجمعوا على تقديمه في الخلافة ومتابعته ولم يتخلف منهم أحد ولم يكن الرب جل وعلا ليجمعهم على ضلالة فبايعوه طائعين وكان لأوامره ممتثلين ولم يعارض أحد في تقديمه(5)، فعندما سئل سعيد بن زيد متى بويع أبوبكر؟ قال: يوم مات رسول الله

---

(1) مسلم (1857/4) حديث رقم 2387.

(2) مسلم (1861/4-1862).

(3) عقيدة أهل السنّة والجماعة (548/2).

(4) منهاج السنّة (139/1-141)؛ مجموع الفتاوى (47/35-49).

(5) عقيدة أهل السنة في الصحابة (550/2).

ﷺ: كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة(1)، وقد نقل جماعة من أهل العلم المعتبرين إجماع الصحابة ومن جاء بعدهم من أهل السنّة والجماعة على أن أبابكر ◄ أولى بالخلافة من كل أحد(2) وهذه بعض أقوال أهل العلم:

أ- قال الخطيب البغدادي -رحمه الله- أجمع المهاجرون والأنصار على خلافة أبي بكر قالوا له: ياخليفة رسول الله ولم يسم أحد بعده خليفة، وقيل: إنه قبض النبي ﷺ عن ثلاثين ألف مسلم كل قال لأبي بكر: ياخليفة رسول الله ورضوا به من بعده رضي الله عنهم(3).

ب- وقال ابو الحسن الأشعري: أثنى الله -عز وجل- على المهاجرين والأنصار والسابقين الى الاسلام، ونطق القرآن بمدح المهاجرين والأنصار في مواضع كثيرة وأثنى على أهل بيعة الرضوان فقال عز وجل: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ} (سورة الفتح، الآية 18). قد أجمع هؤلاء الذين أثنى الله عليهم ومدحهم على إمامة أبي بكر الصديق ◄ وسموه خليفة رسول الله وبايعوه وانقادوا له وأقروا له بالفضل وكان أفضل الجماعة في جميع الخصال التي يستحق بها الإمامة من العلم والزهد وقوة الرأي وسياسة الأمة وغير ذلك(4).

ج-وقال عبدالملك الجويني: أما إمامة أبي بكر ◄ فقد ثبتت بإجماع الصحابة فإنهم أطبقوا على بذل الطاعة والإنقياد لحكمه ... وماتخرص به الروافض من إبداء علي شراساً(5)، وشماساً(6) في عقد البيعة له كذب صريح، نعم لم يكن ◄ في السقيفة وكان مستخلياً بنفسه قد استفزه الحزن على رسول الله ﷺ ثم دخل فيما دخل الناس فيه وبايع أبا بكر على ملأ من الأشهاد(7).

د-وقال أبو بكر الباقلاني في معرض ذكره للإجماع على خلافة الصديق ◄: وكان ◄ مفروض الطاعة لإجماع المسلمين على طاعته وإمامته وانقيادهم له حتى قال أمير المؤمنين علي عليه السلام مجيبا لقوله ◄ لما قال: أقيلوني فلست بخيركم، فقال: لانقيلك ولانستلقيلك قدمك رسول الله ﷺ لديننا ألا نرضاك لدنيانا يعني بذلك حين قدمه للإمامة في الصلاة مع حضوره وإستنابته في إمارة الحج فأمرك علينا وكان ◄ أفضل الأمة وأرجحهم إيماناً وأكملهم فهماً وأوفرهم علماً(8).

---

(1) أباطيل يجب أن تمح من التاريخ، ابراهيم شعوط، ص101.

(2) عقيدة أهل السنّة والجماعة في الصحابة (550/2).

(3) تاريخ بغداد (130/10-131).

(4) الإبانة عن أصول الديانة، ص66.

(5) الشراس: شدة المعاملة. مختار الصحاح، ص346.

(6) وشماساً: أي صعب الخلق. لسان العرب (111/6).

(7) كتاب الإرشاد، ص361.

(8) الإنصاف فيما يجب اعتقادة ولا يجوز الجهل به، ص65.

وتجدر الاشارة إليه أن الذي ذكرت فيه النصوص التي فيها الاشارة الى خلافة الصديق من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية وذكر الإجماع اختصرتها من الكتاب القيم عقيدة أهل السنّة والجماعة في الصحابة الكرام للدكتور ناصر بن عائض حسن الشيخ.

9-منصب الخلافة والخليفة:

الخلافة الإسلامية هي المنهج الذي اختارته الأمة الإسلامية وأجمعت عليه طريقةً وأسلوباً للحكم تنظم من خلاله أمورها وترعى مصالحها، وقد ارتبطت نشأة الخلافة بحاجة الأمة لها واقتناعها بها، ومن ثم كان إسراع المسلمين في اختيار خليفة لرسول الله ⇨، يقول الإمام أبو الحسن الماوردي: إن الله جلت قدرته ندب للأمة زعيماً خلف به النبوة وحاط به الملة، وفوض إليه السياسة ليصدر التدبير عن دين مشروع، وتجتمع الكلمة على رأي متبوع، فكانت الإمامة أصلاً عليه استقرت قواعد الملة وانتظمت به مصالح العامة حتى استثبتت به الأمور العامة، وصدرت عنه الولايات الخاصة(1).

لقد كان على الأمة الإسلامية أن تواجه الموقف الصعب الذي نشأ عن انتقال الرسول ⇨ إلى الرفيق الأعلى، وأن تحسم أمورها بسرعة وحكمة وألا تدع مجالاً لانقسام قد يتسرب منه الشك إلى نفوس أفرادها أو للضعف أن يتسلل إلى أركان البناء الذي شيده رسول الله ⇨(2).

ولما كانت الخلافة هي نظام حكم المسلمين فقد استمدت أصولها من دستور المسلمين، من القرآن الكريم ومن سنّة النبي ⇨(3)، وقد تحدث الفقهاء عن أسس الخلافة الاسلامية فقالوا بالشورى والبيعة وهما أصلاً قد أشير إليهما في القرآن الكريم(4)، ومنصب الخلافة أحياناً يطلق عليه لفظ الامامة أو الإمارة وقد أجمع المسلمون على وجوب الخلافة، وأن تعيين الخليفة فرض على المسلمين يرعى شؤون الأمة ويقيم الحدود ويعمل على نشر الدعوة الاسلامية وعلى حماية الدين والأمة بالجهاد وعلى تطبيق الشريعة وحماية حقوق الناس ورفع المظالم وتوفير الحاجات الضرورية لكل فرد. وهذا ثابت بالقرآن والسنّة والإجماع(5).

وقد قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} (سورة النساء، الآية: 59).

وقال تعالى: {يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ} (سورة ص، الآية: 26).

وقال ⇨: من خلع يداً من طاعة لقى الله يوم القيامة لاحجة له(6) ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية(7).

وأما الاجماع فالصحابة رضوان الله عليهم لم ينتظروا حتى يتم دفن الرسول ⇨ وتوافدوا للاتفاق

---

(1) الأحكام السلطانية ، ص3.

(2) عصر الخلفاء الراشدين، د. فتحية النبراوي ، ص22.

(3) عصر الخلفاء الراشدين، ص23.

(4) نفس المصدر، ص23.

(5) الخلافة والخلفاء الراشدون، ص58.

(6) لا حجة له في فعله ولا عدالة ينفعه.

(7) مسلم (1478/3) رقم 1851.

على إمام أو خليفة وعلل أبوبكر قبول هذه الأمانة وهو خوفه أن تكون فتنة أي من عدم تعيين خليفة للمسلمين(1) قال الشهرستاني في ذلك: (مادار في قلبه ولا في قلب أحد أنه يجوز خلو الأرض من إمام) فدل ذلك كله على أن الصحابة وهم الصدر الأول كانوا على بكرة أبيهم متفقين على أنه لابد من إمام، فذلك الإجماع على هذا الوجه دليل قاطع على وجوب الامام(2).

هذا وليس صحيحاً مايروجه الحاقدون أن الطمع في الرئاسة سبب الانشغال بالخلافة عن دفن النبي ﷺ(3).

هذا وقد عرّف ابن خلدون الخلافة: (هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع الى اعتبارها بمصالح الآخرة فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة هذا الدين وسياسة الدنيا به)(4).

وقد تحدث العلامة ابوالحسن الندوي عن شروط خلافة النبي ومتطلباتها، وقد أثبت بالأدلة والحجج من خلال سيرة الصديق بأن أبابكر كانت شروط خلافة النبي متحققة فيه ونذكر هذه الشروط بإيجاز وبدون ذكر الشواهد التي ذكرها الندوي وقد بينتها في هذا الكتاب متناثرة، فأهم هذه الشروط:

أ- يمتاز بأنه ظل طول حياته بعد الاسلام متمتعاً بثقة رسول الله ﷺ به وشهادته له، واستخلافه إياه في القيام ببعض أركان الدين الأساسية، وفي مهمات الأمور، والصحبة في مناسبات خطرة دقيقة لايستصحب فيها الإنسان إلا من يثق به كل الثقة، ويعتمد عليه كل الاعتماد.

ب- يمتاز هذا الفرد بالتماسك والصمود في وجه الاعاصير والعواصف التي تكاد تعصف بجوهر الدين ولبه، وتحبط مساعي صاحب رسالته، وتنخلع لها قلوب كثير ممن قوى إيمانهم وطالت صحبتهم، ولكن يثبت هذا لفرد في وجهها ثبوت الجبال الراسيات، ويمثل دور خلفاء الأنبياء الصادقين الراسخين، ويكشف الغطاء عن العيون، وينفض الغبار عن جوهرة الدين وعقيدته الصحيحة.

ج- يمتاز هذا الفرد في فهمه الدقيق الاسلام، ومعايشته له في حياة النبي ﷺ على اختلاف أطواره وألوانه من سلم وحرب، وخوف وأمن، ووحدة وإجتماع، وشدة ورخاء.

د- يمتاز بشدة غيرته على أصالة هذا الدين وبقائه على ماكان عليه في عهد نبيِّه، غيرة أشد من غيرة الرجال على الأعراض والكرامات، والأزواج والأمهات، والبنين والبنات، لايحوله عن ذلك خوف أو طمع أو تأويل أو عدم موافقة من أقرب الناس وأحبهم إليه.

---

(1) الخلافة والخلفاء الراشدون، ص59.

(2) الملل والنحل للشهرستاني (83/7)؛ نظام الحكم، محمود الخالدي، ص237 الى 248.

(3) الخلافة والخلفاء والراشدون، ص49.

(4) المقدمة، ص191.

س- يكون دقيقاً كل الدقة وحريصاً أشد الحرص في تنفيذ رغبات الرسول الذي يخلفه في أمته بعد وفاته، لايحيد عن ذلك قيد شعرة، ولا يساوم فيه أحداً، ولايخاف لومة لائم.

و- يمتاز بالزهد في متاع الدنيا والتمتُّع به، زهداً لا يُتصوُّر فوقه إلا عند إمامه وهاديه سيد الانبياء عليه الصلاة والسلام، وأن لايخطر بباله تأسيس الملك والدولة وتوسيعهما لصالح عشيرته وورَثَته، كما اعتادت ذلك الأسر الملوكية الحاكمة في أقرب الدول والحكومات من جزيرة العرب، كالروم والفرس(1).

وقد اجتمعت هذه الصفات والشروط كلها في سيدنا أبي بكر ◄، كما تمثلت في حياته وسيرته في حياة الرسول ﷺ قبل الخلافة وبعد الخلافة الى أن توفاه الله تعالى، بحيث لايسع منكراً أن ينكره أو مشكِّكا يشكك في صحته، فقد تحقق بطريق البداهة والتواتر(2).

هذا وقد قام أهل الحل والعقد في سقيفة بني ساعدة ببيعة الصديق بيعة، خاصة ثم رشحوه للناس في اليوم الثاني وبايعته الأمة في المسجد البيعة العامة(3).

وقد افرز مادار في سقيفة بني ساعدة مجموعة من المبادئ منها: أن قيادة الأمة لاتقام إلا بالاختيار، وأن البيعة هي أصل من أصول الاختيار وشرعية القيادة، وأن الخلافة لا يتولاها إلا الأصلب ديناً والأكفأ إدارة، فاختيار الخليفة يكون وفق مقومات إسلامية، وشخصية، وأخلاقية، وأن الخلافة لاتدخل ضمن مبدأ الوراثة النسبية أو القبلية، وإن إثارة (قريش) في سقيفة بني ساعدة باعتباره واقع يجب أخذه في الحسبان، ويجب اعتبار أي شيء مشابه مالم يكن متعارضاً مع أصول الاسلام، وأن الحوار الذي دار في سقيفة بني ساعدة قام على قاعدة الأمن النفسي السائد بين المسلمين حيث لاهرج ولا مرج، ولا تكذيب ولا مؤامرات ولا نقض للاتفاق، ولكن تسليم للنصوص التي تحكمهم حيث المرجعية في الحوار الى النصوص الشرعية(4).

وقد استدل الدكتور توفيق الشاوي على بعض الأمثلة التي صدرت بالشورى الجماعية في عهد الراشدين من حادثة السقيفة حيث قال:

● أول ماقرره اجتماع يوم السقيفة هو أن (نظام الحكم ودستور الدولة) يقرر بالشورى الحرة، تطبيقاً لمبدأ الشورى الذي نص عليه القرآن، ولذلك كان هذا المبدأ محل إجماع، وسند هذا الإجماع النصوص القرآنية التي فرضت الشورى، أي أن هذا الاجماع كشف وأكد أول أصل شرعي لنظام الحكم في الاسلام وهو الشورى الملزمة، وهذا أول مبدأ دستوري تقرر بالإجماع بعد وفاة رسولنا ﷺ، ثم إن

---

(1) المرتضى، سير أبي الحسن علي بن أبي طالب، ص65،66.

(2) سيرة ابي الحسن علي بن أبي طالب، ص67.

(3) الخلافة والخلفاء الراشدون، ص66،67.

(4) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة للشجاع، ص256.

هذا الاجماع لم يكن إلا تأييداً وتطبيقاً لنصوص الكتاب والسنّة التي أوجبت الشورى .

● تقرر يوم السقيفة أيضاً أن اختيار رئيس الدولة أو الحكومة الاسلامية وتحديد سلطاته يجب أن يتم بالشورى، أي البيعة الحرة التي تمنحه تفويضاً ليتولى الولاية بالشروط والقيود التي يتضمنها عقد البيعة الاختيارية الحرة – الدستور في النظم المعاصرة–، وكان هذا ثاني المبادئ الدستورية التي أقرها الإجماع، وكان قراراً إجماعياً كالقرار السابق.

● تطبيقاً للمبدأين السابقين، قرر اجتماع السقيفة اختيار أبي بكر ليكون الخليفة الأول للدولة الاسلامية(1).

ثم إن هذا الترشيح لم يصح نهائياً إلا بعد أن تمت له البيعة العامة، أي موافقة جمهور المسلمين في اليوم التالي بمسجد الرسول ﷺ، ثم قبوله لها بالشروط التي ذكرها في خطابه الذي ألقاه(2)، وسنأتي على ذلك بالتفصيل بإذن الله تعالى.

المبحث الثاني

البيعة العامة، وإدارة الشؤون الداخلية

(1) فقه الشورى والاستشارة، د. توفيق الشاوي، ص140.

(2) نفس المصدر، ص142.

أولاً: البيعة العامة:

بعد أن تمت بيعة أبي بكر ◀ البيعة الخاصة في سقيفة بني ساعدة، كان لعمر ◀ في اليوم التالي موقف في تأييد أبي بكر وذلك في اليوم التالي حينما اجتمع المسلمون للبيعة(1) العامة قال أنس بن مالك: لما بويع أبي بكر في السقيفة وكان الغد جلس ابوبكر على المنبر فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر فحمدالله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أيها الناس إني كنت قلت لكم بالأمس مقالة ماكانت مما وجدتها في كتاب الله، ولا كانت عهداً عهده الى رسول الله ⇦ ولكني قد كنت أرى أن رسول الله ⇦ سيدبر أمرنا -يقول يكون آخرنا- وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى الله ورسوله ⇦، فإن عصيتم به هداكم الله لما كان هداه له، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله ⇦ ثاني أثنين إذ هما في الغار فقوموا فبايعوه فبايع الناس أبابكر بعد بيعة السقيفة فتكلم أبوبكر فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله ثم قال: أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لايدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قومٍ إلا عمّهم الله بالبلاء، أطيعوني ماأطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله(2).

وقال عمر لأبي بكر يومئذ: اصعد المنبر، فلم يزل به حتى صعد المنبر فبايعه الناس عامة(3).

وتعتبر هذه الخطبة الرائعة من عيون الخطب الاسلامية على إيجازها وقد قرر الصديق فيها قواعد العدل والرحمة في التعامل بين الحاكم والمحكوم وركز على أن طاعة ولي الأمر مترتبة على طاعة الله ورسوله، ونص على الجهاد في سبيل الله لأهميته في إعزاز الأمة، وعلى اجتناب الفاحشة لأهمية ذلك في حماية المجتمع من الانهيار والفساد(4)، من خلال الخطبة والأحداث التي تمت بعد وفاة الرسول يمكن للباحث أن يستنبط بعض ملامح نظام الحكم في بداية عهد الخلافة الراشدة والتي من أهمها:

1- مفهوم البيعة:

عرّف العلماء البيعة بتعاريف عدة منها تعريف ابن خلدون: العهد على الطاعة لولي الأمر(5)، وعرفها بعضهم بقوله: البيعة على التعاقد على الاسلام(6)، وعرفت كذلك بأنها أخذ العهد والميثاق

---

(1) عصر الخلفاء الراشدين، د. فتحية النبراوي، ص30.

(2) البداية والنهاية (306،305/6) إسناده صحيح.

(3) البخاري، الأحكام، رقم 7219.

(4) التاريخ الاسلامي (28/9).

(5) المقدمة، ص209.

(6) جامع الأصول في أحاديث الرسول (252/1).

والمعاقدة على إحياء ماأحياه الكتاب والسنّة، وإقامة ماأقامه(1)، وكان المسلمون إذا بايعوا الأمير جعلوا أيديهم في يده، تأكيداً للعهد والولاء، فاشبه ذلك الفعل البائع والمشتري، فسمى هذا الفعل بيعة(2).

ونتعلم من مبايعة الأمة للصديق بأن الحاكم في الدولة الاسلامية إذا وصل الى الحكم عن طريق أهل الحل والعقد وبايعته الأمة بعد أن توفرت فيه الشروط المعتبرة، فيجب على المسلمين جميعاً مبايعته والاجتماع عليه، ونصرته على من يخرج عليه، حفظاً على وحدة الأمة وتماسك بنيانها أمام الأعداء في داخل الدولة الاسلامية وخارجها(3).

قال ﷺ: (من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)(4)، فهذا الحديث فيه حث على وجوب إعطاء البيعة والتوعد على تركها، فمن مات ولم يبايع عاش على الضلال ومات على الضلال(5).

وقال رسول الله ﷺ: (ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فيطعه ماستطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر)(6).

فالشارع الحكيم قد رتب القتل وأمر به، نتيجة الخروج على الامام مما يدل على حرمة هذا الفعل، لأنه بطلب بيعة أخرى بالبيعة الاولى التي هي فرض على المسلمين(7).

والذي يأخذ البيعة في حاضرة الدولة هو الخليفة. وأما في الأقاليم فقد يأخذها الإمام، وقد يأخذها نواب الإمام، كما حدث في بيعة الصديق رضي الله عنه، فأهل مكة والطائف أخذها نواب الخليفة.

والذي تجب بيعتهم للإمام هم أهل الحل والعقد، وأهل الاختيار من علماء الأمة وقادتها، وأهل الشورى وأمراء الأمصار وأما سائر الناس وعامتهم فيكفيهم دخولهم تحت بيعة هؤلاء، ولا يمنع العامة من البيعة بعد بيعة أهل الحل والعقد(8)، وهناك من العلماء من قال لابد من البيعة العامة لأن الصديق لم يباشر مهامه كخليفة للمسلمين إلا بعد البيعة العامة له من المسلمين(9).

والبيعة بهذا المعنى الخاص الذي تمّ للصديق لا تعطي إلا للإمام الأعظم في الدولة الاسلامية ولاتعطى لغيره من الأشخاص سوءا في ظل الدولة الإسلامية أو عند فقدها، لما يترتب على هذه البيعة

---

(1) نظام الحكم في الاسلام، عارف ابوعيد، ص248.

(2) نفس المصدر، ص250.

(3) المصدر السابق، ص250.

(4) مسلم، كتاب الإمارة، رقم 1851.

(5) نظام الحكم في الاسلام، ص250.

(6) مسلم، كتاب الامارة رقم 1852.

(7) نظام الحكم في الاسلام، ص253.

(8) نفس المصدر، ص253.

(9) فقه الشورى، د. الشاوي، ص439؛ عصر الخلفاء الراشدين، ص30.

من أحكام(1)، وخلاصة القول أن البيعة بمعناها الخاص هي إعطاء الولاء والسمع والطاعة للخليفة مقابل الحكم بما أنزل الله تعالى، وأنها في جوهرها وأصلها عقد وميثاق بين طرفين؛ الإمام من جهة وهو الطرف الأول، والأمة من جهة ثانية وهي الطرف الثاني، فالإمام يبايع على الحكم بالكتاب والسنّة والخضوع التام للشريعة الاسلامية عقيدة وشريعة ونظام حياة، والأمة تبايع على الخضوع والسمع والطاعة للإمام في حدود الشريعة.

فالبيعة خصوصية من خصائص نظام الحكم في الاسلام تفرد به عن غيره من النظم الاخرى في القديم والحديث. ومفهومه أن الحاكم والأمة كليهما مقيد بما جاء به الاسلام من الأحكام الشرعية، ولا يحق لأحدهما سواء كان الحاكم أو الأمة ممثلة بأهل الحل والعقد، الخروج على أحكام الشريعة أو تشريع الأحكام التي تصادم الكتاب والسنّة، أو القواعد العامة في الشريعة ويعد فعل مثل ذلك خروجاً على الاسلام، بل إعلان الحرب على النظام العام للدولة الاسلامية بل أبعد من هذا نجد أن القرآن الكريم نفى عنهم صفة الايمان(2)، قال تعالى: {فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} (سورة النساء، الآية:65).

فهذا مفهوم البيعة من خلال عصر أبي بكر الصديق ◄.

2- مصدر التشريع في دولة الصديق:

قال أبوبكر ◄: أطيعوني ماأطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم(3)، فمصدر التشريع عند الصديق :

أ- القرآن الكريم:

قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا} (سورة النساء، الآية:105).

فهو المصدر الاول الذي يشتمل على جميع الأحكام الشرعية التي تتعلق بشؤون الحياة، كما يتضمن مبادئ أساسية وأحكاماً قاطعة لإصلاح كل شعبة من شعب الحياة، كما بين القرآن الكريم للمسلمين كل مايحتاجون إليه من أسس تقوم عليها دولتهم.

ب- السنّة المطهرة:

هي المصدر الثاني الذي يستمد منه الدستور الاسلامي أصوله ومن خلالها يمكن معرفة الصيغ التنفيذية والتطبيقية لأحكام القرآن(4).

---

(1) نظام الحكم في الاسلام، ص254.

(2) نظام الحكم في الاسلام، ص152،153.

(3) البداية والنهاية (306/6).

(4) فقه التمكين في القرآن الكريم للصّلابي، ص432.

إن دولة الصديق خضعت للشريعة وأصبحت سيادة الشريعة الاسلامية فيها فوق كل تشريع وفوق كل قانون وأعطت لنا صورة مضيئة مشرقة على أن الدولة الاسلامية دولة شريعة، خاضعة بكل أجهزتها لأحكام هذه الشريعة، والحاكم فيها مقيد بأحكامها لايتقدم ولايتأخر عنها(1).

ففي دولة الصديق وفي مجتمع الصحابة، الشريعة فوق الجميع، يخضع لها الحاكم والمحكوم ولهذا قيد الصديق طاعته التي طلبها من الأمة بطاعة الله ورسوله، لئن رسول الله ﷺ قال: (لا طاعة في المعصية، إنما الطاعة في المعروف)(2).

3- حق الأمة في مراقبة الحاكم ومحاسبته:

قال ابوبكر ◀: فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني(3).

فهذا الصديق يقرّ بحق الأمة وأفرادها في الرقابة على أعماله ومحسبته عليها، بل وفي مقاومته لمنع كل منكر يرتكبه وإلزامه بما يعتبرونه الطريق الصحيح والسلوك الشرعي(4)، وقد أقرّ الصديق في بداية خطابه للأمة أن كل حاكم معرض للخطأ والمحاسبة، وأنه لايستمد سلطته من أي امتياز شخصي يجعل له أفضلية على غيره؛ لأن عهد الرسالات والرسل المعصومين قد انتهى، وان آخر رسول كان يتلقى الوحى انتقل الى جوار ربه، وقد كانت له سلطة دينية مستمدة من عصمته كنبي ومن صفته كرسول يتلقى التوجيه من السماء، ولكن هذه العصمة قد انتهت بوفاته ﷺ وبعد وفاته ﷺ أصبح الحكم والسلطة مستمدة من عقد البيعة وتفويض الأمة له(5).

إن الأمة في فقه أبي بكر لها إدارة حية واعية لها القدرة على المناصرة والمناصحة والمتابعة والتقويم، فالواجب على الرعية نُصرة الإمام الحاكم بما أنزل الله ومعاضدته ومناصرته في أمور الدين والجهاد، ومن نصرة الامام ألا يهان، ومن معاضدته أن يحترم، وأن يكرّم فقوامته على الأمة وقيادته لها لإعلاء كلمة الله، تستوجب تبجيله وإجلاله وإكرامه وتبجيله، إجلالاً وإكراماً لشرع الله الذي ينافع عنه ويدافع عنه. قال رسول الله ﷺ : (إن من إجلال الله تعالى: إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير المغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط)(6)، والأمة واجب عليها أن تُناصح ولاة أمرها قال ﷺ: (الدين النصحية
-ثلاثاً-) قال الصحابة: لمن يارسول الله؟ قال: (لله -عز وجل- ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين

---

(1) نظام الحكم في الاسلام، ص227.
(2) البخاري رقم 7145.
(3) البداية والنهاية (305/6).
(4) فقه الشورى والاستشارة، ص441.
(5) فقه الشورى والاستشارة، ص441.
(6) صحيح سنن ابي داود رقم 3504.

وعامتهم)(1)، ولقد استقر في مفهوم الصحابة أن بقاء الأمة على الاستقامة رهن باستقامة ولاتها ولذلك كان من واجبات الرعية تجاه حكامهم نصحهم وتقويمهم ولقد أخذت الدولة الحديثة تلك السياسة الرائدة للصديق ◄ وترجمت ذلك الى لجان متخصصة ومجالس شورية، تمد الحاكم بالخطط، وتزوده بالمعلومات، وتشير عليه بما يحسن أن يقرره، والشيء المحزن أن كثيراً من الدول الاسلامية تعرض عن هذا النظام الحكيم، فعظم مصيبتها في تسلط الحكام وجبروتهم، والتخلق الذي يعم معظم ديار المسلمين ماهو إلا نتيجة لتسلط بغيض، (ودكتاتورية) لعين، أماتت في الأمة روح التناصح والشجاعة، وبذرت فيها، وزرعت بها الجبن والفزع إلا من رحم ربي، وأما الأمة التي تقوم بدورها في مراقبة الحاكم ومناصحته تأخذ بأسباب القوة والتمكين في الأرض، فتنطلق الى آفاق الدنيا تبلغ دعوة الله(2).

4- إقرار مبدأ العدل والمساواة بين الناس:

قال أبو بكر ◄: الضعيف فيكم قوي عندى حتى أرجع عليه حقه إن شاء الله والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله(3).

إن من أهداف الحكم الإسلامي الحرص على إقامة قواعد النظام الإسلامي التي تساهم في إقامة المجتمع المسلم ومن أهم هذه القواعد، الشورى والعدل، والمساواة والحريات، ففي خطاب الصديق للأمة أقرّ هذه المبادئ، فالشورى تظهر في طريقة اختياره وبيعته وفي خطبته في المسجد الجامع، بمحضر من جمهور المسلمين وأما عدالته فتظهر في نص خطابه ولاشك أن العدل في فكر أبي بكر هو عدل الإسلام الذي هو الدعامة الرئيسية في إقامة المجتمع الإسلامي والحكم الإسلامي فلاوجود للإسلام في مجتمع يسوده الظلم ولايعرف العدل.

إن إقامة العدل بين الناس أفراداً وجماعات ودولاً، ليست من الأمور التطوعية التي تترك لمزاج الحاكم أو الأمير وهواه، بل إن إقامة العدل بين الناس في الدين الإسلامي تعد من أقدس الواجبات وأهمها، وقد أجمعت الأمة على وجوب العدل(4) قال الفخر الرازي -رحمه الله- أجمعوا على أن من كان حاكماً وجب عليه أن يحكم بالعدل(5).

وهذا الحكم تؤيده النصوص القرآنية والسنة النبوية. إن من أهداف دولة الإسلام إقامة المجتمع الإسلامي الذي تسود فيه قيم العدل والمساواة ورفع الظلم ومحاربته، بكافة أشكاله وأنواعه، وعليها أن تفسح المجال وتيسر السبل أمام كل إنسان يطلب حقه أن يصل إليه بأيسر السبل وأسرعها دون أن

---

(1) مسلم ، كتاب الايمان، باب أن الدين نصحية رقم 55.

(2) تاريخ الدعوة الى الاسلام، ص249.

(3) البداية والنهاية (305/6).

(4) فقه التمكين في القرآن الكريم، ص455.

(5) تفسير الرازي (141/10).

يكلفه ذلك جهد أو مال وعليها أن تمنع أي وسيلة من الوسائل من شأنها أن تعيق صاحب الحق من الوصول إلى حقه.

لقد أوجب الإسلام على الحكام أن يقيموا العدل بين الناس دون النظر إلى لغاتهم أو أوطانهم أو أحوالهم الإجتماعية فهو يعدل بين المتخاصمين ويحكم بالحق، ولايهمه أن يكون المحكوم لهم أصدقاء أو أعداء، أغنياء أو فقراء عمالاً أو أصحاب عمل(1)، قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (سورة المائدة، آية:8).

لقد كان الصديق ◄ قدوة في عدله يأسر القلوب ويبهر الألباب، فالعدل في نظره دعوة عملية للإسلام فيه تفتح قلوب الناس للإيمان، لقد عدل بين الناس في العطاء، وطلب منهم أن يكونوا عوناً له في هذا العدل، وعرض القصاص من نفسه في واقعة تدل على العدل والخوف من الله سبحانه(2)، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص ◄: أن أبا بكر الصديق ◄ قام يوم جمعة فقال: إذا كنا بالغداة فأحضروا صدقات الإبل نقسمها، ولايدخل علينا أحد إلا بإذن، فقالت امرأة لزوجها خذ هذا الخطام لعل الله يرزقنا جملاً، فأتى الرجل فوجد أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قد دخلا إلى الإبل فدخل معهما، فالتفت أبو بكر فقال: ما أدخلك علينا؟ ثم أخذ منه الخطام فضربه، فلما فرغ أبو بكر من قسم الإبل دعا الرجل فأعطاه الخطام وقال: استقد .. فقال عمر: والله لايستقد ولاتجعلها سنة، قال أبو بكر فمن لي من الله يوم القيامة؟ قال عمر: أرضه، فأمر أبو بكر غلامه أن يأتيه براحلة ورحلها وقطيفة وخمسة دنانير فأرضاه بها(3).

وأما مبدأ المساواة الذي أقره الصديق في بيانه الذي ألقاه على الأمة، فيعد أحد المبادئ العامة التي أقرها الإسلام وهي من المبادئ التي تساهم في بناء المجتمع المسلم وسبق به تشريعات وقوانين العصر الحاضر، ومما ورد في القرآن الكريم تأكيداً لمبدأ المساواة قول الله تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (سورة الحجرات، آية:13).

إن الناس جميعاً في نظر الإسلام سواسية، الحاكم والمحكوم، الرجال والنساء، العرب والعجم، الأبيض والأسود، لقد ألغى الإسلام الفوارق بين الناس بسبب الجنس واللون أو النسب أو الطبقة، والحكام والمحكومون كلهم في نظر الشرع سواء(4)، وجاءت ممارسة الصديق لهذا المبدأ خير شاهد على ذلك حيث يقول: وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني القوي

---

(1) فقه التمكين في القرآن الكريم، ص459.

(2) تاريخ الدعوة الى الاسلام في عهد الخلفاء، ص410.

(3) نفس المصدر، ص411.

(4) فقه التمكين في القرآن الكريم، ص460،461.

فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له حقه(1).

وكان ◀ ينفق من بيت مال المسلمين فيعطي كل مافيه سواسية بين الناس، فقد روى ابن سعد وغيره أن أبا بكر ◀، كان له بيت مال بالسُّنح معروف، ليس يحرسه أحد، فقيل له: ألا تجعل على بيت المال من يحرسه؟ فقال: لايخاف عليه، قيل له: ولم؟ قال: عليه قفل! وكان يعطي مافيه حتى لايبقى فيه شيئاً، فلما تحوّل إلى المدينة حوّله معه فجعله في الدار التي كان فيها، وقدم عليه مال من معدن من معادن جُهينة، فكان كثيراً، وانفتح معدن بني سليم في خلافته، فقدم عليه منه بصدقة فكان يضع ذلك في بيت المال، فيقسمه بين الناس سوّياً، بين الحر والعبد، والذكر والأنثى، والصغير والكبير على السواء. قالت عائشة رضي الله عنها: فأعطى أول عام الحرّ عشرة والمملوك عشرة، وأعطى المرأة عشرة، وأمتها عشرة، ثم قسم في العام الثاني، فأعطاهم عشرين عشرين، فجاء ناس من المسلمين فقالوا: ياخليفة رسول الله: إنك قسمت هذا المال فسوّيت بين الناس، ومن الناس أناس لهم فضل وسوابق وقدم، فلو فضلت أهل السوابق والقدم والفضل. فقال: أما ماذكرتم من السوابق والقدم والفضل فما أعرفني بذلك وإنما ذلك شئ ثوابه على الله جلّ ثناؤه، وهذا معاش، فالأسوة فيه خير من الأثرة(2) فقد كان توزيع العطاء في خلافته على التسوية بين الناس، وقد ناظر الفاروق عمر ◀ أبا بكر في ذلك فقال: أتسوي بين من هاجر الهجرتين وصلى إلى القبلتين، وبين من أسلم عام الفتح؟ فقال أبو بكر: إنما عملوا لله، وإنما أجورهم على الله، وإنما الدنيا بلاغ للراكب.

ورغم أن عمر ◀ غيّر في طريقة التوزيع فجعل التفضيل بالسابقة إلى الإسلام والجهاد إلا أنه في نهاية خلافته قال: لو استقبلت من أمري مااستدبرت لرجعت إلى طريقة أبي بكر فسويت بين الناس(3).

وكان يشتري الإبل والخيل والسلاح، فيحمل في سبيل الله، واشترى عاماً قطائف (القطيفة كساء مخمل) أتى بها من البادية، ففرقها في أرامل أهل المدينة في الشتاء وقد بلغ المال الذي ورد على أبي بكر في خلافته مائتي ألف وزعت في أبواب الخير(4).

لقد اتبع ابو بكر ◀ المنهج الرباني في إقرار العدل، وتحقيق المساواة بين الناس وراعى حقوق الضعفاء فرأى أن يضع نفسه في كفة هؤلاء الواهنة أصواتهم فيتبعهم بسمع مرهف وبصر حاد وإرادة واعية لاتستذلها عوامل القوة الأرضية فتملي كلمتها .. إنه الإسلام في فقه رجل دولته النابه الذي قام يضع القهر تحت أقدام قومه، ويرفع بالعدل رؤوسهم فيؤمن به كيان دولته ويحفظ لها دورها في حراسة

---

(1) البداية والنهاية (305/6).

(2) أبوبكر الصديق، طنطاوي، ص187،188؛ ابن سعد (193/3).

(3) الاحكام السلطانية للماوردي ،ص201.

(4) تاريخ الدعوة الى الاسلام، ص258.

الملة والأمة(1).

لقد قام الصديق منذ أول لحظة بتطبيق هذه المبادئ السامية، فقد كان يدرك أن العدل عز للحاكم والمحكوم، ولهذا وضع الصديق سياسته تلك موضع التنفيذ وهو يردد قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (سورة النحل، آية:90).

أكان أبو بكر يريد أن يطمئن المسلمون إلى دينهم، وحرية الدعوة إليه، وإنما تتم الطمأنينة للمسلمين ماقام الحاكم فيهم على أساس من العدل المجرد عن الهوى.

والحكم على هذا الأساس يقتضي الحاكم أن يسمو فوق كل اعتبار شخصي وأن يكون العدل والرحمة مجتمعين، وقد كانت نظرية أبي بكر في تولي أمور الدولة قائمة على إنكار الذات، والتجرد لله تجرداً مطلقاً جعله يشعر بضعف الضعيف، وحاجة المجتمع ويسمو بعدله على كل هوى، وينسى في سبيل ذلك نفسه وأبناءه، وأهله، ثم يتتبع أمور الدولة جليلها، ورقيقها بكل ما أتاه الله من يقظة وحذر(2).

وبناء على ماسبق يرفع العدل لواءه بين الناس، فالضعيف آمن على حقه، وكله يقين أن ضعفه يزول حينما يحكم العدل، فهو به قوي لايمنع حقه ولايضيع، والقوي حين يظلم يردعه الحق، وينتصف منه للمظلوم، فلا يحتمي بجاه أو سلطان أو قرابة لذي سطوة أو مكانة، وذلك هو العز الشامخ، والتمكين الكامل في الأرض(3).

وما أجمل ماقاله ابن تيمية رحمه الله: إن الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولاينصر الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة،... بالعدل تستصلح الرجال، وتستغزر الأموال(4).

5-الصدق أساس التعامل بين الحاكم والمحكوم:

قال أبو بكر ◄: الصدق أمانة والكذب خيانة(5) أعلن الصديق ◄ مبدأ أساسياً تقوم عليه خطته في قيادة الأمة وهو: أن الصدق بين الحاكم والأمة هو أساس التعامل، وهذا المبدأ السياسي الحكيم له الأثر الهام في قوة الأمة حيث ترسيخ جسور الثقة بينها وبين حاكمها إنه خلق سياسي منطلق من دعوة الإسلام إلى الصدق قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} (سورة التوبة، آية:119) ومن التحذير منه كقول رسول الله ﷺ: ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة ولايزكيهم ولاينظر

---

(1) أبوبكر رجل الدولة، ص46.

(2) الصديق لهيكل باشا، ص224.

(3) تاريخ الدعوة الى الاسلام، ص246.

(4) السياسة الشرعية، ص10.

(5) البداية والنهاية (305/6).

إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر(1).

فهذه الكلمات (الصدق أمانة) اكتست بالمعاني، فكأن لها روحاً تروح بها وتغدو بين الناس، تلهب الحماس، وتصنع الأمل، (والكذب خيانة) وهكذا يأبى أبو بكر إلا أن يمس المعاني، فيسمي الأشياء بأسمائها، فالحاكم الكذاب هو ذلك الوكيل الخائن الذي يأكل خبز الأمة ثم يخدعها، فما أتعس حاكم يتعاطى الكذب فيسميه بغير اسمه، لقد نعته الصديق بالخيانة، وأنه عدو أمته الأول .. وهل بعد الخيانة من عداوة؟ حقا لازال الصديق يطل على الدنيا من موقفه هذا فيرفع أقواماً ويسقط آخرين! .. وتظل صناعة الرجال أرقى فنون الحكم! إذ هم عدة الأمة ورصيدها الذي تدافع به عن نفسها ملمات الأيام، ولاشك أن من تأمل كلمات أبي بكر تلك أصدقته الخبر بأن الرجل كان رائداً في هذا الفن الرفيع، فقد كان يسير على النهج النبوي الكريم(2) إن شعوب العالم اليوم تحتاج إلى هذا المنهج الرباني في التعامل بين الحاكم والمحكوم لكي تقاوم أساليب تزوير الانتخابات وتلفيق التهم، واستخدام الإعلام وسيلة لترويج اتهامات باطلة لمن يعارضون الحكام أو ينتقدونهم، ولابد من إشراف الأمة على التزام الحكام بالصدق والأمانة من خلال مؤسساتها التي تساعدها على تقويم ومحاسبة الحكام إذا انحرفوا(3)، فتمنعهم من سرقة إرادتها، وشرفها، وحريتها وأموالها.

6-إعلان التمسك بالجهاد وإعداد الأمة لذلك:

قال أبو بكر ◀: وماترك قوم الجهاد في سبيل الله إلا خذلهم الله بالذل(4)، لقد تلقى أبو بكر تربيته الجهادية مباشرة من نبيه وقائده العظيم ⇦، تلقاها تربية حية في ميادين الصراع بين الشرك والإيمان، والضلال والهدى، والشر والخير ولقد ذكرت مواقف الصديق في غزوات الرسول ⇦، ولقد فهم الصديق ◀ من حديث رسول الله ⇦: إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لاينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم(5)، إن الأمة تصاب بالذل إذا تركت الجهاد فلذلك جعل الصديق الجهاد إحدى حقائق الحكم في دولته(6)، ولذلك حشد طاقات الأمة من أجل الجهاد، لكي يرفع الظلم عن المظلومين ويزيل الغشاوة عن أعين المقهورين ويعيد الحرية للمحرومين، وينطلق بدعوة الله في آفاق الأرض يزيل كل عائق ضدها.

7-إعلان الحرب على الفواحش:

---

(1) مسلم، كتاب الايمان، رقم 172.

(2) ابوبكر رجل الدولة، مجدي حمدي، ص36،37.

(3) فقه الشورى والاستشارة، ص442.

(4) البداية والنهاية (305/6).

(5) سنن ابي داود رقم 3462 صححه الألباني.

(6) ابو بكر رجل الدولة، ص73.

قال أبو بكر ◄: ولاتشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء(1)، والصديق هنا يذكر الأمة بقول النبي ⇦:(لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا...)(2) إن الفاحشة هي داء المجتمع العضال الذي لادواء له، وهي سبيل تحلله وضعفه حيث لاقداسة لشيء، فالمجتمع الفاحش لايغار ويقر الدنية ويرضاها، إنه مجتمع الضعف والعار والأوجاع والأسقام، وحال الناس أدل شاهد. لقد وقف أبو بكر يحفظ قيم الأمة وأخلاقها(3)، فقد حرص في سياسته على طهر الأمة ونقائها، وبعدها عن الفواحش ماظهر منها ومابطن، وهو ◄ يريد بذلك أمة قوية لاتشغلها شهواتها، ولايضلها شيطانها، لتعيش أمة منتجة تعطي الخير، وتقدم الفضل لكل الناس.

إن علاقة الأخلاق بقيام الدول وظهور الحضارة علاقة ظاهرة، فإن فسدت الأخلاق، وخربت الذمم، ضاعت الأمم، وعمها الفساد والدمار والدارس لحياة الأمم السابقة والحضارات السالفة بعين البصيرة، يدرك كيف قامت حضارات على الأخلاق الكريمة والدين الصحيح كالحضارة التي قامت في زمن داود وسليمان عليه السلام والتي قامت في زمن ذي القرنين وكثير من الأمم التي التزمت بالقيم والأخلاق فظلت قوية طالما حافظت عليها، فلما دب سوس الفواحش إليها استسلمت للشياطين، وبدلت نعمة الله كفراً، وأحلت قومها دار البوار، فزالت قوتها، وتلاشت حضارتها(4) إن الصديق ◄ استوعب سنن الله في المجتمعات وبناء الدول وزوالها وفهم أن زوال الدول يكون بالترف والفساد والإنغماس في الفواحش والموبقات قال تعالى: {وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا} (سورة الإسراء، آية:16). أي أمرناهم بالأمر الشرعي من فعل الطاعات وترك المعاصي فعصوا وفسقوا فحق عليهم العذاب والتدمير جزاء فسقهم وعصيانهم. وفي قراءة {أمّرنا}(5) بالتشديد أي جعلناهم أمراء. والترف وإن كان كثرة المال والسلطان من أسبابه إلا أنه حالة نفسية ترفض الإستقامة على منهج الله وليس كل ثراء ترف(6).

إن سياسة الصديق في حربه للفواحش حرى بحكام المسلمين أن يقتدوا به، فالحاكم التقي الذكي العادل هو الذي يربي أمته على الأخلاق القويمة لأنه حينئذ سيقود شعباً أحس طعم الآدمية، وجرى في عروقه دم الإنسانية.. وأما إن سلب الحاكم الذكاء، وصار من الأغبياء.. أشاع الفاحشة في قومه وعمل على حمايتها بالقوة والقانون، وحارب القيم والأخلاق الحميدة ودفع بقومه إلى مستنقعات الرذيلة

---

(1) البداية والنهاية (305/6).

(2) صحيح الألباني (370/2) رقم الحديث في ابن ماجة 4019.

(3) ابو بكر رجل الدولة، ص66.

(4) تاريخ الدعوة الى الاسلام، ص252.

(5) تفسير ابن كثير (58/5).

(6) منهج كتابة التاريخ الاسلامي، محمد هامل، ص65.

ليصبحوا كالحيوانات الضالة، والقطعان الهائمة لاهم لها إلا المتاع، والزينة الخادعة، فيصبحوا بعد ذلك أقزاماً، قد ودّعوا الرجولة والشهامة(1) ويصدق فيهم قول الله تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} (سورة النحل، آية:112).

هذه بعض التعليقات التي فتح الله بها بما ترى على البيان الذي ألقاه الصديق للأمة والذي رسم فيه سياسة الدولة، فحدد مسؤولية الحاكم ومدى العلاقة بينه وبين المحكومين وغير ذلك من القواعد المهمة في بناء الدولة وتربية الشعوب وهكذا قامت الخلافة الإسلامية، وتحدد مفهوم الحكم تحديداً عملياً وكان حرص الأمة على منصب الخلافة واختيار الخليفة على هذه الصورة ومسارعة الناس إلى الرضا بذلك دليلاً على أنهم كانوا يسلمون بأن النظام الذي أنشأه النبي عليه الصلاة والسلام واجب البقاء، وأن النبي ﷺ وإن مات فإنه خلف فيهم دينا وكتابا يسيرون على هديه فرضاء الناس يومئذ يعبر عن إرادة الاستمرار في ظل النظام الذي أنشأه النبي ﷺ(2).

إن حكومة الصديق رضي الله عنه تمتع بها المسلمون زمناً ليس بكثير وعيَّن أبو بكر حد السلطة العليا فيها بتلك الخطبة الراقية على مستوى أنظمة الحكم في ذلك العصر وفي هذا الزمن فهي حكومة شورية قل أن يجد طلاب الحرية والعدل في كل عصر أحسن لسياسة الأمم منها(3) قادها التلميذ الأنجب والأذكى والأعلم والأعظم ايماناً للحبيب المصطفى ﷺ أبو بكر رضي الله عنه.

وقد بين الإمام مالك بأنه لايكون أحد إماماً أبداً إلا على هذا الشرط(4) يقصد بالمضامين العظيمة التي ألقاها الصديق في بيانه السياسي الأول.

ثانياً: إدارة الشؤون الداخلية:

أراد الصديق رضي الله عنه أن ينفذ السياسة التي رسمها لدولته واتخذ من الصحابة الكرام أعواناً يساعدونه على ذلك، فجعل أبا عبيدة بن الجراح أمين هذه الأمة (وزير المالية) فأسند إليه شؤون بيت المال، وتولى عمر بن الخطاب القضاء (وزارة العدل) وباشر الصديق القضاء بنفسه أيضاً، وتولى زيد بن ثابت الكتابة (وزير البريد والمواصلات)(5) وأحياناً يكتب له من يكون حاضر من الصحابة كعلي بن أبي طالب أو عثمان بن عفان رضي الله عنهم، وأطلق المسلمون على الصديق لقب خليفة رسول الله ورأى الصحابة ضرورة تفريغ الصديق للخلافة، فقد كان أبو بكر رضي الله عنه رجلاً تاجراً يغدو كل يوم إلى السوق فيبيع ويبتاع فلما استُخلف أصبح غادياً إلى السوق وعلى رقبته أثواب يتجر بها، فلقيه عمر وأبو عبيدة

---

(1) تاريخ الدعوة الى الاسلام، ص 253.

(2) دراسات في الحضارة الاسلامية، احمد ابراهيم الشريف، ص210،219.

(3) أشهر مشاهير الاسلام في الحرب والسياسة، ص120.

(4) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص92.

(5) في التاريخ الاسلامي، ابو مجليل، ص218.

فقالا: أين تريد ياخليفة رسول الله؟ قال: السوق. قالا: تصنع ماذا وقد وليت أمور المسلمين؟ قال: فمن أين أطعم عيالي؟ فقالا:(انطلق معنا حتى نفرض لك شيئاً. فانطلق معهما ففرضوا له كل يوم شطر شاه(1)، وجاء في الرياض النضرة أن رزقه الذي فرضوه له خمسون ومائتا دينار في السنة وشاة يؤخذ من بطنها ورأسها وأكارِعها، فلم يكن يكفيه ذلك ولاعياله، قالوا وقد كان قد ألقى كل دينار ودرهم عنده في بيت مال المسلمين، فخرج إلى البقيع فتصافق (بايع) فجاء عمر ◄ فإذا هو بنسوة جلوس، فقال:(ماشأنكن؟) قلن: نريد خليفة رسول الله ﷺ يقضي بيننا، فانطلق فوجده في السوق فأخذه بيده فقال:(تعالى هاهنا). فقال: لاحاجة لي في إمارتكم(2)، رزقتموني مالايكفيني ولاعيالي قال:(فإنّا نزيدك). قال أبو بكر:(ثلاثمائة دينار والشاة كلها) قال عمر: أما هذا فلا، فجاء علي ◄ وهما على حالهما تلك، قال:(أكملها له) قال:(ترى ذلك؟) قال: نعم، قال:(قد فعلنا)(3) وانطلق أبوبكر ◄ فصعد المنبر، واجتمع إليه الناس فقال: (أيها الناس إن رزقي كان خمسين ومائتي دينار وشاة يؤخذ من بطنها ورأسها وأكارِعُها وإن عمر وعلياً كمّلا لي ثلاثمائة دينار والشاة أفرضيتم؟ قال المهاجرون:(اللهم نعم قد رضينا)(4).

وهكذا وقف الصحابة في فهمهم الراقي لولاية الدين وأمانة الحكم يفرضون لإمامهم رزقاً يغتني به عن التجارة بعد إذ صار عاملاً للأمة تملك منه الوقت والجهد والفكر .. ومن ثم يقررون معنى في الإسلام بديعاً يفصل الذمة المالية للأمة عن ذمة الحاكم.

هذا المعنى الذي لم يعرفه الغرب إلا في عهوده القريبة، إذ ظلت راية مالقيصر لقيصر مشرعة خفاقة يقاتل الناس دونها أزماناً طويلة، إن أصدق تعبير نقف به على دخول الذمة المالية للدولة بأسرها في ذمة الحاكم لهو مقالة لويس الخامس عشر (أنا الدولة والدولة أنا) لقد كان لويس تاجر غلال معروفاً يتجر في قوت أمته وهي تتضور جوعاً ثم لايرى أحد في ذلك شيئاً من العار .. أليس هو الأصل والأمة فرع عنه؟(5).

اين البشرية اليوم من أولئك الصحابة رضوان الله عليهم؟ فإن الخزينة قد أضحت بعدهم بيد أشخاص ينفقون كيف يشاءون، ويتصرفون كما يريدون، كما أصبحت لهم نفقات مستورة لاحصر لها، وفوق هذا فقد تكدست لهم الأموال في المصارف خارج البلاد، حتى غدت دول أجنبية تعيش على هذه الأموال لكثرتها وأكثرها يعود إلى الحكام وأمراء الشعوب المستضعفة، مع أنه قد ظهر أن هذه

---

(1) الرياض النضرة في مناقب العشرة، ص291.

(2) نفس المصدر، ص291.

(3) المصدر السابق، ص291.

(4) الرياض النضرة في مناقب العشرة ، ص291.

(5) ابوبكر رجل الدولة، ص35.

الأموال مهما بلغت، والعقارات مهما كثرت، فإنها لاتكفي شيئاً، ولاتغني صاحبها شيئاً، فإن شاه إيران مع ضخامة ما يملك لم يجد أرضاً تقبله ليأوي إليها هذا في الدنيا، وأما في الآخرة فالأمر أشد والحساب عظيم(1).

فعلى حكام المسلمين أن يقتدوا بهذا الصحابي الجليل الذي أدار دولة الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ، فما أجمل قوله ◄: لقد علم قومي أن حرفتي لم تكن تعجز عن مؤونة أهلي وشغلت بأمر المسلمين، فسيأكل آل أبي بكر من هذا المال وأحترف للمسلمين فيه(2).

إن الصديق يؤكد معاني بديعة، فولاية الدين ليست في حد ذاتها مغنما، أما مايفرض لها من رزق فلما تقضي إليه من اشتغال عامل الأمة عن أمر نفسه(3).

لقد سطر الصديق والصحابة الكرام صفحات رائعة في جبين الزمن، حتى أن البشرية تسعى في سلم التطور وتسعى ثم إذا هي قابعة عند أقدامهم(4).

سار الصديق في بناء دولة الإسلام بجد ونشاط واهتم بالبناء الداخلي، ولم يترك أي ثغرة يمكن أن تؤثر في ذلك البناء الشامخ الذي تركه رسول الله ﷺ، فاهتم بالرعية وله مواقف مشرفة في هذا الباب، وأعطى للقضاء اهتماماً خاصاً، وتابع أمر الولاة وسار على المنهج النبوي الكريم في كل خطواته وإليك شيء من التفصيل عن تلك السياسة الرشيدة:

1-الصديق في المجتمع:

عاش الصديق ◄ بين المسلمين كخليفة لرسول الله ﷺ، فكان لايترك فرصة تمر إلا علم الناس وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، فكانت مواقفه تشع على من حوله من الرعية بالهدى والإيمان والأخلاق فمن هذه المواقف:

أ-حلبه للأغنام، والعجوز العمياء، وزيارة أم أيمن:

كان قبل الخلافة يحلب للحي أغنامهم، فلما بويع له بالخلافة قالت جارية من الحي: الآن لايحلب لنا منايح (أغنام) دارنا فسمعها أبو بكر فقال: لعمري لأحلبنها لكم، وإني لأرجو ألا يغيرني مادخلت فيه عن خلق كنت عليه، فكان يحلب لهنَّ، وكنَّ إذا أتينه بأغنامهنّ يقول: أنضح أم ألبد؟ فإن قالت انضح باعد الإناء من الضرع حتى تشتد الرغوة، وإن قالت ألبد أدناه منه حتى لاتكون له رغوة،

---

(1) التاريخ الاسلامي، محمود شاكر، ص11.

(2) البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعلمه رقم 2070.

(3) ابو بكر رجل الدولة، ص35.

(4) نفس المصدر، ص36.

فمكث كذلك بالسُّنح ستة أشهر ثم نزل إلى المدينة(1).

ففي هذا الخبر بيان شيء من أخلاق أبي بكر الصديق ◀، فهذا تواضع كبير من رجل كبير، كبير في سنه، وكبير في منزلته وجاهه، حيث كان خليفة المسلمين، وكان حريصاً على أن لاتغير الخلافة شيئاً من معاملته للناس وإن كان ذلك سيأخذ عليه وقتا هو بحاجة إليه، كما أن هذا العمل يدلنا على مقدار تقدير الصحابة رضي الله عنهم لأعمال البر والإحسان وإن كلفتهم الجهد والوقت(2).

هذا أبو بكر ◀ غلب بعزيمته الصادقة، وثباته العجيب الجزيرة العربية، وأخضعها لدين الله، ثم بعث بها فقاتلت تحت ألويته الدولتين الكبريين على وجه الأرض، وغلبت عليها. أبو بكر.. يحلب لجواري الحي أغنامهنّ، ويقول: أرجو أن لايغيرني مادخلت فيه. وليس الذي دخل فيه بالأمر الهين، بل هو خلافة رسول الله، وسيادة العرب، وقيادة الجيوش التي ذهبت لتقلع من الأرض الجبروت الفارسي، والعظمة الرومانية، وتنشئ مكانهما صرح العدل، والعلم والحضارة، ثم يرجو ألاّ يغيره هذا كله، ولايمنعه من حلب أغنام الحيّ(3).

إن من ثمار الإيمان بالله تعالى أخلاق حميدة منها خلق التواضع الذي تجسد في شخصية الصديق في هذا الموقف وفي غيره من المواقف وكان عندما يسقط خطام ناقته ينزل ليأخذه فيقال له: لو أمرتنا أن نناولكه، فيقول: أمرنا رسول الله ⇨ ألا نسأل الناس شيئاً(4)، لقد ترك لنا الصديق مثالاً حياً في فهم وتطبيق خلق التواضع المستمد من قوله تعالى: {فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ} (سورة القصص، آية:40) ومن قوله ⇨: (مانقصت صدقة من مال، ومازاد الله عبداً بعفو إلا عزا، وماتواضع أحد لله إلا رفعه الله)(5). ولقد دفعه هذا الخلق إلى خدمة المسلمين وبخاصة أهل الحاجة منهم والضعفاء فعن أبي صالح الغفاري أن عمر بن الخطاب كان يتعهد عجوزاً كبيرة عمياء في بعض حواشي المدينة من الليل، فيسقي لها، ويقوم بأمرها فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ماأرادت، فجاءها غير مرة كيلا يسبق إليها –فرصده عمر، فإذا هو أبو بكر الذي يأتيها وهو يومئذ خليفة(6)، وعن أنس بن مالك ◀: قال أبو بكر ◀ بعد وفاة رسول الله ⇨ لعمر: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ⇨ يزورها، فلما انتهينا إليها بكت، فقالا مايبكيك؟ ماعند الله خير لرسول الله ⇨، فقالت: ما أبكي أن أكون أعلم أن ماعند الله خير لرسول الله ⇨، ولكن أبكي أن الوحي قد

---

(1) ابن سعد في الطبقات (186/3) وله شواهد، فإسناده حسن لغيره.

(2) التاريخ الاسلامي (8/19).

(3) أبوبكر الصديق رضي الله عنه، طنطاوي، ص186.

(4) التاريخ الاسلامي، محمود شاكر، ص8.

(5) مسلم، كتاب البر والصلة والآداب رقم 2588.

(6) ابوبكر الصديق، طنطاوي، ص29.

انقطع من السماء. فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها(1).

ب-نصحه لأمرأة نذرت أن لاتحدث أحداً:

كان أبو بكر ◀ ينهى عن أعمال الجاهلية، والابتداع في الدين، ويدعو إلى إلى أعمال الإسلام، والتمسك بالسنّة(2)، فعن قيس بن أبي حازم: دخل أبو بكر على امرأة من أحمس(3)، يقال لها زينب، فرآها لاتتكلم. فقال أبو بكر: مالها لاتتكلم؟ قالوا: نوت حجه مصمتة(4) فقال لها: تكلمي، فإن هذا لايحل،(5) هذا من عمل الجاهلية. قال: فتكلمت، فقالت: من أنت؟ قال: أنا امرؤ من المهاجرين. قالت: أيُّ المهاجرين؟ قال: من قريش. قالت: من أيِّ قريش أنت؟ قال: إنك لسؤول، أنا أبو بكر. قالت: ياخليفة رسول الله: مابقاؤنا على هذا الأمر الصالح، الذي جاء الله به بعد الجاهلية؟ فقال: بقاؤكم عليه مااستقامت به أئمتكم.

قالت: وما الأئمة؟ قال: أما كان لقومك رؤوس وأشراف يأمرونهم فيطيعونهم؟

قالت: بلى قال: فهم أولئك على الناس(6).

قال الخطابي رحمه الله: كان من نسك الجاهلية الصمت، فكان أحدهم يعتكف اليوم والليلة، ويصمت، فنهوا عن ذلك، وأمروا بالنطق بالخير، وقد استدل بقول أبي بكر هذا من قال بأن من حلف أن لايتكلم استحب له أن يتكلم، ولاكفارة عليه، لأن أبا بكر لم يأمرها بالكفارة، وقياسه أن من نذر أن لايتكلم لم ينعقد نذره، لأن أبا بكر أطلق أن ذلك لايحل، وأنه من فعل الجاهلية، وأن الإسلام هدم ذلك، ولايقول مثل هذا إلا عن علم من النبي ⇦ فيكون في حكم المرفوع(7).

وقال ابن حجر: وأما الأحاديث الواردة في الصمت وفضله، فلايعارض لاختلاف المقاصد في ذلك، فالصمت المرغب فيه: ترك الكلام بالباطل، وكذا المباح إن جر إلى شيء من ذلك، والصمت المنهي عنه ترك الكلام في الحق لمن يستطيعه، وكذا المباح المستوي الطرفين، والله أعلم(8).

جـ-اهتمامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

كان الصديق ◀ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويبين للناس ما التبس عليهم من الفهم فعن قيس بن أبي حازم قال سمعت أبا بكر الصديق يقول: (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من

---

(1) مسلم، فضائل الصحبة رقم 2454.

(2) صحيح التوثيق في سيرة حياة الصديق، ص140، مجدي فتحي السيد.

(3) نفس المصدر، ص140 وقيل الأحمس: المتشدد على نفسه في الدين والورع.

(4) أي ساكنة.

(5) أي ترك الكلام.

(6) البخاري رقم 3834.

(7) فتح الباري (150/7).

(8) فتح الباري (151/7).

ضل إذا اهتديتم) إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن القوم إذا رأوا المنكر فلم يغيّروه عمهم الله بعقاب. وفي رواية: يا أيها الناس إنكم تقرؤن هذه الآية، وتضعونها على غير مواضعها، وإنا سمعنا النبي ﷺ يقول: إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، أوشك أن يعمهم الله بعقاب(1) قال النووي: وأما قوله تعالى{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ} الآية. فليس مخالفاً لوجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لأن المذهب الصحيح عند المحققين في معنى الآية: أنكم إذا فعلتم ماكلفتم به فلايضركم تقصير غيركم، مثل قوله تعالى: {وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} فإذا كان كذلك فمما كلف به الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فإذا فعله، ولم يمتثل المخاطب فلاعتب بعد ذلك على الفاعل لكونه أدى ماعليه(2).

وكان رضي الله عنه يحث الناس على الصواب، فعن ميمون بن مهران أن رجلاً سلّم على أبي بكر فقال: السلام عليك ياخليفة رسول الله. قال: من بين هؤلاء أجمعين(3)، وكان رضي الله عنه يترك السنة مخافة أن يظن مالاعلم له أنها فريضة أو واجبة، فعن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه أنه قال: رأيت أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، وما يضحيان مخافة أن يستن بهما وفي رواية: كراهية أن يقتدي بهما(4)، وكان يوصي ابنه عبدالرحمن بحسن المعاملة لجيرانه، فقد قال له ذات يوم وهو يخاصم جاراً له: لاتماظ جارك، فإنّ هذا يبقى ويذهب الناس(5)، وكان باراً بوالده فلما اعتمر في رجب سنة اثنتي عشر من الهجرة، دخل مكة ضحوة فأتى منزله وأبوه أبو قحافة جالس على باب داره، معه فتيان يحوشهم، فقيل له: هذا ابنك فنهض قائماً، وعجل أبو بكر أن ينيخ ناقته فنزل عنها وهي قائمة –ليقابل أباه في بر وطاعة، وجاء الناس يسلمون عليه، فقال أبو قحافة ياعتيق هؤلاء الملأ فأحسن صحبتهم فقال أبو بكر: يا أبة لاحول ولاقوة إلا بالله، طوقت أمراً عظيماً لاقدرة لي به ولايدان إلا بالله ..)(6) وكان يهتم بالصلاة والخشوع فيها ويحرص على حسن العبادة، وكان لايلتفت في صلاته(7)، وكان أهل مكة يقولون: أخذ ابن جريج الصلاة من عطاء، وأخذها عطاء من ابن الزبير، وأخذها ابن الزبير من أبي بكر، وأخذها أبو بكر من النبي ﷺ، وكان عبدالرزاق يقول: مارأيت أحداً أحسن صلاة من ابن جريج(8)، وعن أنس رضي الله عنه قال: صلى أبو بكر بالناس الفجر فاقترأ البقرة في ركعتيه، فلما انصرف قال له عمر: ياخليفة

---

(1) حديث صحيح سنن أبي داود رقم 4338.

(2) عون المعبود شرح سنن أبي داود (329/11).

(3) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب (172/1) رقم 255.

(4) اسناده صحيح أخرجه الطبراني في الكبير رقم 3057.

(5) الزهد لابن المبارك (551/1).

(6) صفة الصفوة (258/1).

(7) فضائل الصحابة للامام أحمد (254/1).

(8) نفس المصدر (255/1).

رسول الله ماانصرفت حتى رأينا أن الشمس قد طلعت قال: لو طلعت لم تجدنا غافلين(1)، وكان يحث الناس على الصبر في المصائب ويقول لمن مات له أحد: ليس مع العزاء مصيبة ولامع الجزع فائدة، الموت أهون مما قبله وأشدُّ مما بعده، اذكروا فقد رسول الله تصغر مصيبتكم، وعظم الله أجركم(2)، وعزّى عمر ◀ عن طفل أصيب به فقال: عوَّضك الله منه ماعوضك منك(3)، وكان ◀ يحذر الناس من البغي، والنكث، والمكر ويقول ثلاث من كُنَّ فيه كُنَّ عليه: البغي، والنكث والمكر(4) وكان يعظ الناس ويذكرهم بالله ومن مواعظه ◀: الظلمات خمس والسُّرُج خمس: حب الدنيا ظلمة والسراج له التقوى، والذنب ظلمة والسراج له التوبة، والقبر ظلمة والسراج له لا إله إلا الله محمد رسول الله، والآخرة ظلمة والسراج لها العمل الصالح، والصراط ظلمة والسراج لها اليقين(5)، وكان ◀ من خلال منبر الجمعة يحث على الصدق والحياء ويحث على الاعتبار والاستعداد للقدوم على الله ويحذر من الغرور، فعن أوسط بن اسماعيل رحمه الله قال: سمعت أبا بكر الصديق ◀ يخطب بعد وفاة رسول الله بسنة فقال: قام فينا رسول الله ⇨ مقامي هذا عام أول، ثم بكى أبو بكر ثم قال: وفي رواية، ثم ذرفت عيناه، فلم يستطيع من العبرة أن يتكلم، ثم قال: أيها الناس: اسألوا الله العافية، فإنه لم يعط أحد خير من العافية بعد اليقين، وعليكم بالصدق فإنه مع البر، وهما في الجنة، وإياكم والكذب، فإنه مع الفجور، وهما في النار ولاتقاطعوا ولاتدابروا، ولاتباغضوا، ولاتحاسدوا، وكونوا عباد الله إخواناً(6)، وقال الزبير بن العوام ◀: إن أبا بكر قال وهو يخطب الناس: يامعشر المسلمين: استحيوا من الله عزوجل، فوالذي نفسي بيده إني لأظل حين أذهب الغائط في الفضاء متقنعاً بثوبي استحياء من ربي عزوجل(7) وعن عبدالله بن حكيم قال: خطبنا أبو بكر ◀ فقال: أما بعد:

فإني أوصيكم بتقوى الله، وأن تثنوا عليه بما هو له أهل، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاح بالمسألة، فإن الله أثنى على زكريا وأهل بيته فقال: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}، ثم اعلموا عباد الله أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم، وأخذ على ذلك مواثيقكم، فاشترى القليل الفاني بالكثير الباقي، وهذا كتاب الله فيكم لاتفنى عجائبه، ولايطفأ نوره، فصدقوا قوله، وانتصحوا كتابه، واستوضئوا منه ليوم الظلمة، فإنما خلقكم للعبادة، ووكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ماتفعلون ثم اعلموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون في أجل قد غيّب عنكم علمه، فإن استطعتم أن

---

(1) الرياض النضرة في مناقب العشرة، ص224.

(2) عيون الأخبار (3/69، 70).

(3) عيون الاخبار (3/62).

(4) مجمع الأمثال للميداني (2/450).

(5) فرائد الكلام للخلفاء الكرام، قاسم عاشور، ص29.

(6) صحيح التوثيق في سيرة وحياة الصديق، ص179.

(7) نفس المصدر، ص182.

تنقضي الآجال وأنتم وأنتم في عمل لله فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فسابقوا في مهل آجالكم قبل أن تنقضي آجالكم فيردكم إلى أسوأ أعمالكم، فإن أقواماً جعلوا آجالهم لغيرهم، ونسوا أنفسهم، فأنهاكم أن تكونوا مثلهم. فالوحا الوحا(1)، ثم النجا النجا، فإن وراءكم طلباً حثيثاً مَرُّهُ(2) سريع وفي رواية أخرى: أين من تعرفون من إخوانكم؟! ومن أصحابكم؟! قد وردوا على ماقدموا، قدموا ماقدموا في أيام سلفهم، وحلوا فيه بالشقوة والسعادة. أين الجبارون الذين بنوا المدائن، وحففوها بالحوائط، قد صاروا تحت الصخر والآبار. أين الوضاءة الحسنة وجوههم، المعجبون بشبابهم؟ أين الملوك وأين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب؟ قد تضعضع بهم الدهر، فأصبحوا في ظلمات القبور. لاخير في قول لايراد به وجه الله، ولاخير في مال لاينفق في سبيل الله، ولاخير فيمن يغلب جهله حلمه، ولاخير فيمن يخاف في الله لومة لائم.

إن الله تعالى ليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيراً، ولايصرفه عن سوءاً، إلا بطاعته واتباع أمره، وإنه لاخير بخير بعده النار، ولاشر بشر بعده الجنة، واعلموا أنكم ما أخلفتم لله عزوجل فربكم أطعتم، وحقكم حفظتم، وأوصيكم بالله لفقركم وفاقتكم أن تتقوه، وأن تثنوا عليه بما هو أهله، وأن تستغفروه إنه كان غفاراً، أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم(3).

وهكذا كان الصديق يهتم بالمجتمع فيوعظ المسلمين، ويحثهم على الخير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فهذا غيظ من فيظ، وقليل من كثير.

2-القضاء في عهد الصديق:

يعتبر عهد الصديق بداية العهد الراشدي الذي تتجلى أهميته بصلته بالعهد النبوي وقربه منه، فكان العهد الراشدي عامة، والجانب القضائي خاصة، امتداداً للقضاء في العهد النبوي، مع المحافظة الكاملة والتامة على جميع ماثبت في العهد النبوي، وتطبيقه بحذافيره وتنفيذه بنصه ومعناه، وتظهر أهمية العهد الراشدي في القضاء بأمرين أساسيين:

- المحافظة على نصوص العهد النبوي في القضاء، والتقيد بما جاء فيه، والسير في ركابه، والاستمرار في الالتزام به.
- وضع التنظيمات القضائية الجديدة لترسيخ دعائم الدولة الإسلامية الواسعة ومواجهة المستجدات المتنوعة(4).

كان أبو بكر ◄ يقضي بنفسه إذا عرض له قضاء، ولم تفصل ولاية القضاء عن الولاية العامة في

---

(1) الوحا الوحا: السرعة السرعة، يقال: توحيت أي أسرعت.

(2) مره: مروره.

(3) إسناده حسن لغيره، مصنف ابن أبي شيبة (144/7)؛ صحيح التوثيق في سيرة وحياة الصديق، ص181.

(4) تاريخ القضاء في الاسلام للزحيلي، ص83،84.

عهده، ولم يكن للقضاء ولاية خاصة مستقلة كما كان الأمر في عهد رسول الله ﷺ، إذ كان الناس على مقربة من النبوة، يأخذون أنفسهم بهدي الإسلام، وتقوم حياتهم على شريعته، وقلما توجد بينهم خصومة تذكر، ففي المدينة عهد أبو بكر إلى عمر بالقضاء، ليستعين به في بعض الأقضية ولكن هذا لم يعطي لعمر صفة الاستقلال بالقضاء(1)، وأقر أبو بكر ◀ معظم القضاة والولاة الذين عينهم رسول الله واستمروا على ممارسة القضاء والولاية أو أحديهما في عهده(2) وسوف نأتي على ذكر الولاة وأعمالهم بإذن الله تعالى.

وأما مصادر القضاء في عهد الصديق ◀ هي:

1-القرآن الكريم.

2-السنة النبوية ويندرج فيها قضاء رسول الله ﷺ.

3-الإجماع، باستشارة أهل العلم والفتوى.

4-الاجتهاد والرأي، وذلك عند عدم وجود مايحكم به من كتاب أو سنة أو إجماع(3).

فكان ابو بكر ◀ إذا ورد عليه حكم نظر في كتاب الله تعالى، فإن وجد فيه مايقضي به قضى، فإن لم يجد في كتاب الله نظر في سنة رسول الله ﷺ، فإن وجد فيها مايقضي به قضى به، فإن أعياه ذلك سأل الناس، هل علمتم أن رسول الله ﷺ قضى فيه بقضاء، فربما قام إليه القوم فيقولون: قضى فيه بكذا أو بكذا، فيأخذ بقضاء رسول الله، يقول عندئذ: الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا وإن أعياه ذلك دعا رؤوس المسلمين وعلماءهم فاستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على الأمر قضى به(4)، ويظهر أن الصديق يرأى الشورى ملزمة إذا اجتمع رأي أهل الشورى على أمر، إذ لايجوز للإمام مخالفتهم وهذا ماحكى عنه في القضاء فإنه كان إذا اجتمع رأي المستشارين على الأمر قضى به وهذا مأمر به عمرو بن العاص عندما أرسل إليه خالد بن الوليد مدداً حيث قال له: شاورهم ولاتخالفهم(5)، وكان ◀ يتثبت في قبول الأخبار، فعن قبيصة بن ذؤيب أن الجدة جاءت إلى أبي بكر تلتمس أن تورث فقال: ما أجد لك في كتاب الله تعالى شيئاً، وماعلمت أن رسول الله ﷺ ذكر لك شيئاً، ثم سأل الناس فقام المغيرة فقال: حضرت رسول الله ﷺ يعطيها السدس فقال أبو بكر: هل معك أحد؟ فشهد ابن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه لها أبو بكر ◀(6)، وكان يرأى أن القاضي لايحكم بعلمه الشخصي، إلا إذا كان معه شاهد آخر يعزز هذا العلم، فقد روي عن أبي بكر ◀ أنه قال: لو

---

(1) وقائع ندوة النظم الإسلامية أبوظبي (366/1).

(2) تاريخ القضاء في الاسلام، ص134.

(3) وقائع ندوة النظم الاسلامية (390/1).

(4) موسوعة فقه أبي بكر الصديق، قلعجي ، ص155.

(5) نفس المصدر، ص156.

(6) تذكرة الحفاظ للذهبي (2/1).

رأيت رجلاً على حد، لم أعاقبه حتى تقوم البينة عليه، أو يكون معي شاهد آخر(1)، وهذه بعض الأقضية التي صدرت في عهد أبي بكر ◄:

أ-قضيه قصاص:

قال علي بن ماجدة السهمي: قاتلت رجلاً، فقطعت بعض أذنه، فقدم أبو بكر حاجا، فرفع شأننا إليه، فقال لعمر: انظر هل بلغ أن يقتص منه، قال: نعم، عليَّ بالحجّام، فلما ذكر الحجام قال أبو بكر: سمعت رسول الله ⇨ يقول: إني وهبت لخالتي غُلاما، أرجو أن يبارك لها فيه، وإني نهيتها أن تجعله حجاماً، أو قصّاباً، أو صانعاً(2).

2-نفقة الوالد على الولد:

عن قيس بن حازم قال: حضرت أبا بكر الصديق ◄، فقال له رجل: ياخليفة رسول الله: هذا يريد أن يأخذ مالي كله ويجتاحه، فقال أبو بكر ◄: إنما لك من ماله مايكفيك، فقال: ياخليفة رسول الله ⇨، أليس قال رسول الله ⇨: أنت ومالك لأبيك؟ فقال أبو بكر ◄: ارض بما رضي الله به، ورواه غيره عن المنذر بن زياد، وقال فيه: إنما يعني بذلك النفقة(3).

3-الدفاع المشروع:

عن أبي مليكة عن جده أن رجلاً عضَّ يد رجل فأنذَرَ ثنيته (قلع سنه) فأهدرها أبو بكر(4).

4-الحكم بالجلد:

روى الإمام مالك عن نافع أن صفية بنت أبي عبيد أخبرته: أن أبا بكر الصديق أتى برجل قد وقع على جارية بكر فأحبلها، ثم اعترف على نفسه بالزنا، ولم يكن أحصن، فأمر به أبو بكر فجلد الحدَّ، ثم نُفي إلى فدك(5)، وفي رواية بأنه لم يجلد الجارية ولم ينفها لأنها استكرهت، ثم زوجها إياه أبو بكر وأدخله عليها(6)، وعندما سئل الصديق عن رجل زنى بامرأة، ثم يريد أن يتزوجها قال: مامن توبة أفضل من أن يتزوجها، خرجا من سفاح إلى نكاح(7).

5-الحضانة للأم مالم تتزوج:

---

(1) تراث الخلفاء الراشدين، د. صبحي محمصاني، ص186.

(2) أخبار القضاة لوكيع (102/2) نقلاً عن تاريخ القضاء للزحيلي، ص136.

(3) السنن الكبرى (481/7) نقلاً عن تاريخ القضاء للزحيلي، ص136. ضعيف جداً بل قد تكون موضوعة. الألباني ارواء (329/3).

(4) تارخ القضاء للزحيلي، ص137.

(5) الموطأ، كتاب الحدود رقم 848.

(6) مصنف عبدالرزاق رقم 12796.

(7) نفس المصدر رقم 12796 الرواية فيها راوي مجهول.

طلق عمر بن الخطاب امرأته الأنصارية -أم ابنه عاصم- فلقيها تحمله بمُحَسِّر(1)، ولقيه قد فُطم ومشى، فأخذ بيديه لينتزعه منها، ونازعها إياه حتى أوجع الغلام وبكى، وقال: أنا أحق بإبني منك. فاختصمها إلى أبي بكر، فقضى لها به، وقال: ريحها، وحِجْرُها وفرشها خير له منك حتى يشب ويختار لنفسه(2) وفي رواية: هي أعطف وألطف وأرحم وأحْنا وأرأف، وهي أحق بولدها مالم تتزوج(3).

هذه بعض الأقضية والأحكام التي حدثت في عهد الصديق ◀ هذا وقد تميز القضاء في عهد الصديق بعدة أمور منها:

أ-كان القضاء في عهد الصديق امتداداً لصورة القضاء في العهد النبوي، بالالتزام به، والتأسي بمنهجه، وانتشار التربية الدينية، والإرتباط بالإيمان والعقيدة والاعتماد على الوازع الديني، والبساطة في سير الدعوى، واختصار الإجراءات القضائية، وقلة الدعاوى والخصومات.

ب- اصبحت الأحكام القضائية في عصر الصديق موئل الباحثين، ومحط الأنظار للفقهاء، وصارت الأحكام القضائية، مصدراً للأحكام الشرعية، والاجتهادات القضائية، والآراء الفقهية في مختلف العصور.

ج-مارس الصديق وبعض ولاته النظر في المنازعات، وتولي القضاء بجانب الولاية.

د-ساهمت فترة الصديق في ظهور مصادر جديدة للقضاء في العهد الراشدي، وصارت مصادر الأحكام القضائية هي: القرآن الكريم، والسنة الشريفة، الإجماع، القياس، السوابق القضائية، الرأي الاجتهادي مع المشورة(4).

هـ-كانت آداب القضاء مرعية في حماية الضعيف، ونصرة المظلوم، والمساواة بين الخصوم وإقامة الحق والشرع على جميع الناس، ولو كان الحكم على الخليفة أو الأمير أو الوالي، وكان القاضي في الغالب يتولى تنفيذ الأحكام، إن لم ينفذها الأطراف طوعاً واختياراً، وكان التنفيذ عقب صدور الحكم فوراً(5).

3-الولاية على البلدان:

كان أبو بكر يستعمل الولاة في البلدان المختلفة ويعهد إليهم بالولاية العامة في الإدارة والحكم والإمامة، وجباية الصدقات، وسائر أنواع الولايات، وكان ينظر إلى حسن اختيار الرسول للأمراء والولاة على البلدان فيقتدي به في هذا العمل، ولهذا نجده قد أقر جميع عمال الرسول الذين توفي

---

(1) محسر: موضع بين مكة وعرفة. معجم البلدان (62/5).

(2) مصنف عبدالرزاق (54/7) رقم 12601.

(3) نفس المصدر (54/7) رقم 12600.

(4) تاريخ القضاء في الاسلام، ص157،158.

(5) نفس المصدر، ص160.

الرسول وهم على ولايتهم، ولم يعزل أحداً منهم إلا ليعينه في مكان آخر أكثر أهمية من موقعه الأول ويرضاه كما حدث لعمرو بن العاص(1) وكانت مسؤوليات الولاة في عهد أبي بكر الصديق ◄ بالدرجة الأولى امتداداً لصلاحياتهم في عصر الرسول ⇨ خصوصاً الولاة الذين سبق تعيينهم أيام الرسول ويمكن تلخيص أهم مسئوليات الولاة في عصر أبي بكر وهي:

أ-إقامة الصلاة وإمامة الناس وهي المهمة الرئيسية لدى الولاة نظراً لما تحمله من معان دينية ودنيوية سياسية واجتماعية حيث الولاة يؤمون الناس وعلى وجه الخصوص في صلاة الجمعة، والأمراء دائماً كانت توكل إليهم الصلاة سواء كانوا أمراء على البلدان أم أمراء على الأجناد.

ب-الجهاد كان يقوم به أمراء الأجناد في بلاد الفتح، فكانوا يتولون أموره ومافيه من مهام مختلفة بأنفسهم أو ينيبون غيرهم في بعض المهام كتقسيم الغنائم أو المحافظة على الأسرى، أو غير ذلك، وكذلك مايتبع هذا الجهاد من مهام أخرى كمفاوضة الأعداء وعقود المصالحة معهم وغيرها، ويتساوى في المهمات الجهادية أمراء الأجناد في الشام والعراق وكذلك الأمراء في البلاد التي حدثت فيها الردة كاليمن والبحرين وعمان ونجد، نظراً لوجود تشابه في العمليات الجهادية مع اختلاف الأسباب الموجهة لهذه العمليات.

ت-إدارة شؤون البلاد المفتوحة وتعيين القضاة والعمال عليها من قبل الأمراء أنفسهم، وبإقرار من الخليفة أبي بكر، أو تعيين من أبي بكر ◄، عن طريق هؤلاء العمال(2).

ج-أخذ البيعة للخليفة، فقد قام الولاة في اليمن وفي مكة والطائف وغيرها بأخذ البيعة لأبي بكر ◄ من أهل البلاد التي كانوا يتولون عليها.

ح-كانت هناك أمور مالية توكل إلى الولاة إو إلى من يساعدهم ممن يعينهم الخليفة أو الوالي لأخذ الزكاة من الأغنياء وتوزيعها على الفقراء أو أخذ الجزية من غير المسلمين وصرفها في محلها الشرعي وهي امتداد لما قام به ولاة الرسول في هذا الخصوص.

خ-تجديد العهود القائمة من أيام الرسول ⇨ حيث قام والي نجران بتجديد العهد الذي كان بين أهلها وبين الرسول ⇨ بناء على طلب نصارى نجران(3).

د-كانت من أهم مسؤوليات الولاة إقامة الحدود وتأمين البلاد وهم يجتهدون رأيهم فيما لم يكن فيه نص شرعي، كما فعل المهاجر بن أبي أمية بالمرأتين اللتين تغنتا بذم الرسول وفرحتا بوفاته وسيأتي بيان ذلك بإذن الله تعالى في جهاد الصديق لأهل الردة.

س-كان للولاة دور رئيسي في تعليم الناس أمور دينهم وفي نشر الإسلام في البلاد التي يتولون

---

(1) الولاية على البلدان، عبدالعزيز ابراهيم العمري (55/1).

(2) الولاية على البلدان (59/1).

(3) تاريخ الطبري (165/3).

عليها وكان الكثير من هؤلاء الولاة يجلسون في المساجد يعلمون الناس القرآن والأحكام وذلك عملاً بسنة الرسول ﷺ وتعتبر هذه المهمة من أعظم المهام وأجلها في نظر الرسول وخليفته أبي بكر، وقد اشتهر عن ولاة أبي بكر ذلك حيث يتحدث أحد المؤرخين عن عمل زياد والي أبي بكر على حضرموت فيقول: فلما أصبح زياد غداً يقرئ الناس كما كان يفعل قبل ذلك(1).

وبهذا التعليم كان للولاة دور كبير في نشر الإسلام في ربوع البلاد التي يتولونها، وبهذا التعليم تثبت أقدام الإسلام سواء في البلاد المفتوحة الحديثة عهد بالإسلام أو في البلاد التي كانت مسلمة وارتدت، وهي حديثة عهد بالردة جاهلة بأحكام دينها، إضافة إلى أن البلاد المستقرة كمكة والطائف والمدينة، كان بها من يقرئ الناس بأمر من الولاة أو الخليفة نفسه، أو من يعينه الخليفة على التعليم في هذه البلدان(2).

وقد كان الوالي هو المسؤل مسئولية مباشرة عن إدارة الأقليم الذي يتولاه وفي حالة سفر هذا الوالي فإنه يتعين عليه أن يستخلف أو ينيب عنه من يقوم بعمله حتى يعود هذا الوالي إلى عمله، ومن ذلك أن المهاجر بن أبي أمية عينه الرسول على كندة ثم أقره أبو بكر بعد وفاة الرسول ولم يصل المهاجر إلى اليمن مباشرة وتأخر نظراً لمرضه فأرسل إلى (زياد بن لبيد) ليقوم عنه بعمله حتى شفائه وقدومه، وقد أقرأ أبو بكر ذلك(3)، كذلك كان خالد أثناء ولايته للعراق ينيب عنه في الحيرة من يقوم بعمله حتى عودته.

وكان أبو بكر رضي الله عنه يشاور الكثير من الصحابة قبل إختيار أحد من الأمراء سواء على الجند أو على البلدان، ونجد في مقدمة مستشاري أبي بكر في هذا الأمر عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وغيرهما(4)، كما كان أبو بكر رضي الله عنه يشاور الشخص الذي يريد توليته قبل أن يعينه وعلى وجه الخصوص إذا أراد أن ينقل الشخص من ولاية إلى أخرى كما حدث حينما أراد أن ينقل عمرو بن العاص من ولايته التي ولاه عليها الرسول إلى ولاية جند فلسطين، فلم يصدر أبو بكر قراره إلا بعد أن استشاره وأخذ منه موافقة على ذلك(5)، كذلك الحال بالنسبة للمهاجر بن أمية الذي خيّره أبو بكر بين اليمن أو حضرموت فاختار المهاجر اليمن فعينه أبو بكر عليها(6).

ومن الأمور التي سار عليها أبو بكر رضي الله عنه أنه كان يعمل بسنة النبي ﷺ في تولية بعض الناس على قومهم إذا وجد فيهم صلحاء، كالطائف وبعض القبائل وكان أبو بكر رضي الله عنه عندما يريد أن يعين شخصاً

---

(1) الولاية على البلدان (60/1).
(2) نفس المصدر (61/1).
(3) المصدر السابق (55/1).
(4) الولاية على البلدان (55/1).
(5) نفس المصدر (55/1).
(6) المصدر السابق (55/1).

على ولاية يكتب للشخص المعين عهداً له على المنطقة التي ولاه عليها، كما أنه في كثير من الأحيان قد يحدد له طريقه إلى ولايته ومايمر عليه من أماكن خصوصاً إذا كان التعيين مختصاً بمنطقة لم تفتح بعد ولم تدخل ضمن سلطات الدولة ويتضح ذلك في حروب الردة، وفتوح الشام والعراق وقام الصديق أحياناً بضم بعض الولايات إلى بعض، خصوصاً بعد الانتهاء من قتال المرتدين فقد ضم أبو بكر كندة إلى زياد بن لبيد البياضي، وكان والياً على حضرموت واستمر بعد ذلك والياً لحضرموت وكندة(1).

وكانت معاملة أبي بكر للولاة تتسم بالاحترام المتبادل الذي لم تشبه شائبة، وأما عن الاتصالات بين الولاة وبين الخليفة أبي بكر ◄ فقد كانت تجري بصفة دائمة وكانت هذه الاتصالات تختص بمصالح الولاية ومهام العمل، فقد كان الولاة كثيراً مايكتبون لأبي بكر في مختلف شئوهم يستشيرونه، وكان أبو بكر يكتب لهم الاجابة على استفساراتهم، أو يوجه لهم أوامره وكانت الرسل تأتي بالأخبار من الولاة سواء أخبار الجهاد أو قبل ذلك على جبهات حروب المرتدين كذلك كان الولاة يبعثون بأخبار ولاياتهم من تلقاء أنفسهم(2)، وكان الولاة يتصل بعضهم ببعض عن طريق الرسل أو عن طريق الاتصال المباشر واللقاءات، وتتمثل هذه اللقاءات والاتصالات بالدرجة الأولى بين ولاة اليمن وحضرموت بعضهم مع بعض، وكذلك الحال بالنسبة لولاة الشام، الذين كانوا كثيراً مايجتمعون لتدارس أمورهم العسكرية بالدرجة الأولى، وكانت كثير من مراسلات أبي بكر ◄ تختص بحث الولاة على الزهد في الدنيا وطلب الآخرة، وكانت بعض هذه النصائح تصدر على شكل كتب عامة رسمية من الخليفة نفسه إلى مختلف الولاة وأمراء الأجناد(3) هذا وقد قسمت الدولة الإسلامية في عهد أبي بكر إلى عدة ولايات وهذه أسماء الولايات والولاة:

أ-المدينة: عاصمة الدولة وبها الخليفة أبو بكر ◄.

ب-مكة: وأميرها عتاب بن أسيد وهو الذي ولاّه الرسول ﷺ واستمر مدة حكم أبي بكر.

ت-الطائف: وأميرها عثمان بن أبي العاص، ولاّه رسول الله ﷺ وأقره أبو بكر عليها.

ث-صنعاء: وأميرها المهاجر بن أبي أمية، وهو الذي فتحها ووليها بعد انتهاء أمر الردة.

ج-حضرموت: ووليها زياد بن لبيد.

ح-زبيد ورقع: ووليها أبو موسى الأشعري.

خ-خولان: ووليها يعلى بن أبي أمية.

ذ-الجند: وأميرها معاذ بن جبل.

س-نجران: ووليها جرير بن عبدالله.

---

(1) الولاية على البلدان (56/1).

(2) نفس المصدر (57/1).

(3) المصدر السابق (57/1).

ش-جرش: ووليها عبدالله بن نور.

ك-البحرين: ووليها العلاء بن الحضرمي.

ل-العراق والشام كان أمراء الجند هم ولاة الأمر فيها.

و-عمان: ووليها حذيفة بن محصن.

هـ-اليمامة: ووليها سليط بن قيس(1).

4-موقف علي والزبير رضي الله عنهما من خلافة الصديق:

وردت أخبار كثيرة في شأن تأخر علي عن مبايعة الصديق رضي الله عنهما وكذا تأخر الزبير بن العوام وجُلّ هذه الأخبار ليس بصحيح إلا مارواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن عليا والزبير، ومن كان معهما تخلفوا في بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ(2)، فقد كان انشغال جماعة من المهاجرين وعلى رأسهم علي بن أبي طالب بأمر جهاز رسول الله ﷺ من تغسيل، وتكفين، ويبدو ذلك واضحاً فيما رواه الصحابي سالم بن عبيد ◀ من أن أبا بكر قال لأهل بيت النبي، وعلى رأسهم علي: عندكم صاحبكم، فأمرهم يغسلونه(3).

وقد بايع الزبير بن العوام وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما أبا بكر في اليوم التالي لوفاة الرسول، وهو يوم الثلاثاء، قال أبو سعيد الخدري: لما صعد أبو بكر المنبر، نظر في وجوه القوم، فلم ير الزبير بن العوام فدعا بالزبير فجاء، فقال له أبو بكر: يابن عمة رسول الله ﷺ، وحوارّيه، أتريد أن تشقّ عصا المسلمين؟ فقال الزبير: لاتثريب عليك ياخليفة رسول الله، فقام الزبير، فبايع أبا بكر!، ثم نظر أبو بكر في وجوه القوم، فلم ير علي بن أبي طالب فدعا بعلي، فجاء. فقال له أبو بكر: يا ابن عمّ رسول الله ﷺ، وختنه على ابنته، أتريد أن تشق عصا المسلمين؟

فقال علي: لاتثريب عليك ياخليفة رسول الله ﷺ، فقام علي، فبايع أبا بكر(4)!

ومما يدل على أهمية حديث أبي سعيد الخدري الصحيح أن الإمام (مسلم بن الحجاج) صاحب الجامع الصحيح الذي هو أصح الكتب الحديثية بعد صحيح البخاري- ذهب إلى شيخه الإمام الحافظ محمد بن إسحاق بن خزيمة – صاحب صحيح ابن خزيمة – فسأله عن هذا الحديث، فكتب له ابن الخزيمة الحديث، وقرأه عليه، فقال مسلم لشيخه ابن خزيمة: هذا الحديث يساوي بدنة، فقال ابن خزيمة: هذا الحديث لايساوي بَدَنَة(5) فقط، إنه يساوي بدرة(6) مال، وعلق على هذا الحديث ابن كثير –

(1) الدول العربية الاسلامية، منصور الحرابي، ص96،97.

(2) صحيح التوثيق في سيرة وحياة الصديق، ص98.

(3) نفس المصدر، ص98.

(4) صححه ابن كثير في البداية والنهاية (249/5).

(5) البدنة: نقاة أو بقرة تنحر بمكة ولعظمها وضخامتها سميت بدنة.

رحمه الله- فقال: هذا إسناد صحيح محفوظ، وفيه فائدة جليلة، وهي مبايعة علي بن أبي طالب إما في أول يوم أو في اليوم الثاني من الوفاة، وهذا حق، فإن علي بن أبي طالب لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات، ولم ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه(1)، وفي رواية حبيب بن أبي ثابت، حيث قال: كان علي بن أبي طالب في بيته، فأتاه رجل، فقال له: قد جلس أبو بكر للبيعة، فخرج عليٌّ إلى المسجد في قميص له، ماعليه إزار ولارداء، وهو متعجِّل، كراهة أن يبطئ عن البيعة. فبايع أبا بكر، ثم جلس، وبعث إلى ردائه، فجاؤوه به، فلبسه فوق قميصه(2) وقد سأل عمرو بن حريث سعيد بن زيد ◄، فقال له: أشهِدْتَ وفاة رسول الله ⇦؟

قال: نعم.

قال له: متى بويع أبو بكر؟

قال سعيد: يوم مات رسول الله ⇦، كره المسلمون أن يبقوا بعض يوم، وليسوا في جماعة.

قال: هل خالف أحد أبا بكر؟

قال سعيد: لا. لم يخالفه إلا مرتد، أو كاد أن يرتد، وقد أنقذ الله الأنصار، فجمعهم عليه وبايعوه.

قال: هل قعد أحد من المهاجرين عن بيعته؟

قال سعيد: لا. لقد تتابع المهاجرون على بيعته(3)!!.

وأما علي ◄ فلم يفارق الصديق في وقت من الأوقات ولم ينقطع عنه في جماعة من الجماعات، وكان يشاركه في المشورة، وفي تدبير أمور المسلمين(4).

ويرى ابن كثير وكثير من أهل العلم أن علياً جدّد بيعته بعد ستة أشهر من البيعة الأولى أي بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها، وجاءت في هذه البيعة روايات صحيحة(5).

وكان علي في خلافة أبي بكر عيبة نصح له، مرجِّحاً لما فيه مصلحة للإسلام والمسلمين على أي شيء آخر، ومن الدلائل الساطعة على إخلاصه لأبي بكر ونصحه للإسلام والمسلمين وحرصه على الاحتفاظ ببقاء الخلافة واجتماع شمل المسلمين ماجاء من موقفه من توجه أبي بكر ◄ بنفسه إلى ذي القصة(6)، وعزمه على محاربة المرتدين، وقيادته للتحركات العسكرية ضدهم بنفسه، وماكان في ذلك

---

(6) البدرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف دينار والمعنى: أنه كنز ثمين.

(1) البداية والنهاية (249/5).

(2) الخلفاء الراشدون للخالدي، ص56.

(3) الخلفاء الراشدون ، ص56.

(4) نفس المصدر، ص56.

(5) البداية والنهاية (49/5).

(6) ذي القصة: من المدينة على مراحل.

من مخاطرة وخطر على الوجود الإسلامي(1)، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما برز أبو بكر إلى ذي القصة، واستوى على راحلته أخذ علي بن أبي طالب بزمامها، وقال: إلى أين ياخليفة رسول الله ﷺ؟ أقول لك ماقال رسول الله ﷺ يوم أحد: لمَّ سيفك ولاتفجعنا بنفسك، وارجع إلى المدينة، فوالله لئن فجعنا بك لايكون للإسلام نظام أبداً فرجع(2).

فلو كان علي ◀ -أعاذه الله من ذلك- لم ينشرح صدره لأبي بكر وقد بايعه على رغم من نفسه، فقد كانت هذه فرصة ذهبية ينتهزها علي، فيترك أبا بكر وشأنه، لعله يحدث به حدث فيستريح منه ويصفو الجو له، وإذا كان فوق ذلك

-حاشاه عنه- من كراهته له وحرصه على التخلُّص منه، أغرى به أحداً يغتاله، كما يفعله الرجال السياسيون بمنافسيهم وأعدائهم(3).

5-(إنا معشر الأنبياء لانُورَثُ ماتركنا صدقة)(4):

قالت عائشة رضي الله عنها: أن فاطمة والعباس رضي الله عنهم: أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله ﷺ وهما حينئذ يطلبان أرضيهما من فدك وسهمهما من خيبر فقال لهما أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لانورث، ماتركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال(5)، وفي رواية قال أبو بكر ◀: ... لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، فإني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ(6).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إن أزواج النبي ﷺ، حين توفى رسول الله ﷺ، أردن أن يبعثن عثمان بن عفان ◀ إلى أبي بكر، يسألنه ميراثهن، فقالت عائشة: أليس قال رسول الله ﷺ: لانورث ماتركنا صدقة(7)، وعن أبي هريرة ◀ قال رسول الله ﷺ: لايقتسم ورثتي ديناراً، ماتركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة(8).

وهذا مافعله أبو بكر الصديق ◀ مع فاطمة رضي الله عنها إمتثالاً لقوله ﷺ لذلك قال الصديق: لست تاركاً شيئاً كان رسول الله يعمل به إلا عملت به(9)، وقال: والله لاأدع أمراً رأيت رسول الله

---

(1) المرتضى سيرة علي بن أبي طالب، ص97 للندوي.

(2) البداية والنهاية (6/314-315).

(3) المرتضى سيرة علي بن أبي طالب، ص97.

(4) البخاري رقم 6725.

(5) البخاري، رقم 6726.

(6) مسلم رقم 1759 بصيغة اخرى وبنفس المعنى.

(7) البخاري، رقم 6730؛ مسلم رقم 1758.

(8) البخاري، رقم 6729.

(9) مسلم رقم 1758.

ﷺ يصنعه فيه إلا صنعته(1).

وقد تركت فاطمة رضي الله عنها منازعته بعد احتجاجه بالحديث وبيانه لها وفيه دليل على قبولها الحق واذعانها لقوله ﷺ: قال ابن قتيبة(2)، وأما منازعة فاطمة أبا بكر رضي الله عنهما في ميراث النبي ﷺ فليس بمنكر، لأنها لم تعلم ماقاله رسول الله ﷺ وظنت أنها ترثه كما يرث الأولاد آباءهم فلما أخبرها بقوله كفت(3).

وقال القاضي عياض: وفي ترك فاطمة منازعة أبي بكر بعد احتجاجه عليها بالحديث التسليم للإجماع على قضية، وأنها لما بلغها الحديث وبين لها التأويل تركت رأيها ثم لم يكن منها ولا من ذريتها بعد ذلك طلب ميراث ثم ولي علي الخلافة فلم يعدل بها عما فعله أبو بكر وعمر رضي الله عنهم(4).

وقال حماد بن إسحاق: والذي جاءت به الروايات الصحيحة فيما طلبه العباس وفاطمة وعلي لها وأزواج النبي ﷺ من أبي بكر رضي الله عنهم جميعاً إنما هو الميراث حتى أخبرهم أبو بكر والأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ أنه قال: (لانورث ماتركنا صدقة) فقبلوا بذلك وعلموا أنه الحق ولو لم يقل رسول الله ﷺ ذلك كان لأبي بكر وعمر فيه الحظ الوافر بميراث عائشة وحفصة رضي الله عنهما فآثروا أمر الله وأمر رسوله، ومنعوا عائشة وحفصة، ومن سواهما ذلك، ولو كان رسول، يورث، لكان لأبي بكر وعمر أعظم الفخر به أن تكون ابنتاهما وارثتي محمد ﷺ(5).

وأما ماذكره من الرواة في كون فاطمة رضي الله عنها غضبت وهجرت الصديق حتى ماتت فبعيد جداً لعدة أدلة منها:

أ-مارواه البيهقي من طريق الشعبي: أن أبا بكر عاد فاطمة، فقال لها علي: هذا أبو بكر يستأذن عليك فقالت: أتحب أن آذن له قال: نعم فأذنت له فدخل عليها فترضاها حتى رضيت(6)، وبهذا يزول الإشكال الوارد في تمادي فاطمة رضي الله عنها لهجر أبي بكر الصديق ◄، كيف وهو القائل: والله لقرابة رسول الله ﷺ، أحب إليّ أن أصل من قرابتي(7)، ومافعل ◄ إلا امتثالاً وإتباعاً لأمر رسول الله ﷺ(8).

ب-لقد انشغلت عن كل شيء بحزنها لفقدها أكرم الخلق، وهي مصيبة تزري بكل المصائب، كما

---

(1) البخاري رقم 6726.

(2) عبدالله بن مسلم بن قتيبة ت 276هـ (شذرات الذهب (169/2).

(3) تأويل مختلف الحديث، ص189.

(4) شرح صحيح مسلم للنووي (318/12).

(5) البداية والنهاية (252/5-253) وقال إسناده جيد قوي.

(6) اباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، ص109.

(7) البخاري رقم 4036.

(8) العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط، د.سالم السحيمي ، ص291.

أنها انشغلت بمرضها الذي ألزمها الفراش عن أي مشاركة في أي شأن من الشؤون، فضلاً عن لقاء خليفة المسلمين المشغول -لكل لحظة من لحظاته- بشؤون الأمة، وحروب الردة وغيرها، كما أنها كانت تعلم بقرب لحوقها بأبيها، فقد أخبرها رسول الله ﷺ بأنها أول من يلحق به من أهله -ومن كان في مثل علمها لايخطر بباله أمور الدنيا، وما أحسن قول المهلب الذي نقله العيني: ولم يرو أحد، أنهما ألتقيا وامتنعا عن التسليم، وإنما لازمت بيتها، فعبر الراوي عن ذلك بالهجران(1).

هذا ومن الثابت تاريخياً أن أبابكر دام أيام خلافته يعطي أهل البيت حقهم في فيء رسول الله ﷺ في المدينة، ومن أموال فدك وخمس خيبر، إلا أنه لم ينفذ فيها أحكام الميراث، عملاً بما سمعه من رسول الله ﷺ وقد روي عن محمد بن علي بن الحسين المشهور بمحمد الباقر، وعن زيد بن علي أنهما قالا: إنه لم يكن من أبي بكر -فيما يختص بآبائهم- شيء من الجور أو الشطط، أو مايشكونه من الحيف أو الظلم(2).

ولما توفيت فاطمة رضي الله عنها بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر على الأشهر، وقد كان صلوات الله وسلامه عليه عهد إليها أنها أول أهله لحوقاً به، وقال لها مع ذلك: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة(3)، وذلك ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة، عن مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين، قال: ماتت فاطمة بين المغرب والعشاء، فحضرها أبوبكر وعمر وعثمان والزبير وعبدالرحمن بن عوف، فلما وُضِعت ليُصلى عليها، قال علي: تقدم ياأبابكر، قال أبوبكر: وأنت شاهد ياأبا الحسن؟ قال: نعم تقدم، فوالله لا يصلي عليها غيرك؛ فصلى عليها أبوبكر ودفنت ليلاً، وجاء في رواية: صلى أبوبكر الصديق على فاطمة بنت رسول الله ﷺ فكبر عليها أربعاً(4) وفي رواية مسلم صلى عليها علي بن أبي طالب(5).

هذا وقد كانت صلة سيدنا أبي بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ بأعضاء أهل البيت، صلة ودية تقديرية تليق به وبهم، وقد كانت هذه المودة والثقة متبادلتين بين أبي بكر وعلي، فقد سمَّى علي أحد أولاده بأبي بكر(6)، وقد احتضن علي ابن أبي بكر محمداً بعد وفاة الصديق وكفله بالرعاية ورشحه للولاية في خلافته حتى حسب عليه، وانطلقت الألسنة بانتقاده من أجله(7).

---

(1) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، ص108.

(2) المرتضى لأبي الحسن الندوي، ص90،91 نقلاً عن نهج البلاغة شرح أبي الحديد.

(3) المرتضى للندوي، ص94.

(4) المرتضى للندوي، ص94 نقلاً عن الطبقات الكبرى (29/7).

(5) مسلم رقم 1759.

(6) المرتضى للندوي، ص98.

(7) نفس المصدر، ص98.

هذا بعض القضايا الداخلية التي عالجها الصديق ◄ والتزم فيها بمتابعة الرسول ⇨ بكل دقة وحرص ر◄ وعن جميع الصحابة الكرام الطيبين الأبرار.

الفصل الرابع

فتوحات الصديق واستخلافه لعمر رضي الله عنهم ووفاته

إن غاية وجود الأمة المسلمة في هذه الدنيا هي توحيد الله، وتحقيق عبوديته الشاملة في هذه الحياة كما قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ} (سورة الذاريات، آية:56). فإذا كان خلق الجن والإنس الغاية منه عبادة الله وحده سبحانه وتعالى، كان لزاماً على الأمة المسلمة أن تسعى لتحقيق هذه الغاية وتحمل هذه الأمانة وأعباء تبليغها للناس أجمعين، بالدعوة إلى الله، وتعليم الناس وتربيتهم على منهج الله، والعمل على إزالة كل العقبات، التي تقف في وجه أداء هذه الأمانة إلى الناس أجمعين، وبذلك يتحقق بسط سيادة الشرع الحكيم على كل بني البشر، ويصبح الجميع يدينون بحاكمية الله سبحانه المطلقة المتمثلة في خضوع الجميع لشرع الله تعالى(1)، ولذلك شرع الله تعالى الجهاد لإزالة الحواجز والعقبات المانعة من سماع دين الفطرة التي فطر الناس عليها، قال ابن تيمية: (وإذا كان أصل القتال المشروع هو الجهاد بقصد أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، فمن منع قوتل باتفاق المسلمين(2)، وقد قام ⇨ بتبليغ واجب الدعوة إلى الله، فأرسل الكتب والرسل إلى القادة والملوك والزعماء وبعث السرايا والجيوش لإزالة الحواجز البشرية، والأعراف الجاهلية، والموانع النفسية، والعوائق المادية المانعة من سماع الإسلام وتفهمه، بل قاد ⇨ بذاته بعض البعوث والغزوات، والتي كان آخرها غزوة تبوك سنة 9هـ، والناس في كل هذه المعارك والغزوات مخيرون بين ثلاثة: إما أن يدخلوا في الإسلام

---

(1) صفحات من تاريخ ليبيا الاسلامي للصّلابي، ص167.

(2) السياسة الشرعية لابن تيمية ، ص18.

ويكونوا للمسلمين إخواناً، وإما أن يختاروا البقاء على كفرهم ويدفعوا الجزية، وإما أن يرفضوا هذا وذاك فيكون السيف فاصل بيننا وبينهم(1)، وسار الصديق ◀ على هذا المنهج وشرع إرسال الجيوش لتحقيق بشائر الرسول ⇦ بفتح كثير من الممالك والبلاد كفتح العراق وغيرها من البلاد، فقد قال ⇦ لعدي بن حاتم: فوالذي نفسي بيده ليتمن الله هذا الأمر، حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد ولتفتحن كنوز كسرى بن هرمز(2) وقد وضع رسول الله ⇦ الخطوط العريضة لتلك الفتوحات وأضافت تلك المبشرات رصيداً مادياً ومعنوياً، وحسياً للأمة وقد حاول المستشرقون وأذنابهم وأعداء الإسلام، أن يجردوا الفتوحات الإسلامية من دوافعها الدعوية، وأهدافها الربانية، ومقاصدها السامية وألصقوا بحركة الفتوحات تهم باطلة لاتقوم أمام الدليل والبرهان والحجة.

إن الهدف الرفيع والمقصد السامي لحركة الفتوحات التي قادها الصديق ◀ كان غرضها نشر دين الله تعالى بين الناس، وإزاحة الطواغيت من على رقاب الناس، وكان الصديق والمسلمون معه على يقين بما أخبر الله ورسوله من النصر والتمكين، وهذا اليقين من أخلاق جيل النصر فقد كانوا على يقين بقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}(سورة الصف، آية:9) وبقوله تعالى: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ}(سورة غافر، آية: 51) ولنترك الأحداث في حركة الفتوحات تخبرنا عن الحقائق وتوضح الطريق لأبناء الأمة الصادقين.

---

(1) صفحات من تاريخ ليبيا الاسلامي للصّلابي، ص168.

(2) صحيح السيرة النبوية ، ص580.

المبحث الأول

فتوحات العراق

أولاً: خطة الصديق لفتح العراق:

ما إن انتهت حروب الردة واستقرت الأمور في الجزيرة العربية التي كانت ميداناً لها حتى شرع الصديق في تنفيذ خطة الفتوحات التي وضع معالمها رسول الله ﷺ، فجيش الصديق لفتح العراق جيشين وأنضم إلى خالد المثنى بن حارثة بالعراق:

1-بقيادة خالد بن الوليد وكان يومئذ باليمامة، فكتب إليه يأمره بأن يغزو العراق من جنوبه الغربي، وقال له: سر إلى العراق حتى تدخلها، وابدأ (بفرج الهند) أي ثغرها، وهي الأبلة(1) وأمره بأن يأتي العراق من أعاليها، وأن يتألف الناس ويدعوهم إلى الله عزوجل، فإن أجابوا وإلا أخذ منهم الجزية فإن امتنعوا عن ذلك قاتلهم، وأمره أن لايكره أحداً على المسير معه، ولايستعين بمن ارتد عن الإسلام وإن كان عاد إليه، وأمره أن يستصحب(2) كل امرئ مرّ به من المسلمين، وشرع أبو بكر في تجهيز السرايا والبعوث والجيوش إمداداً لخالد ◀(3).

2-الجيش الثاني بقيادة عياض بن غنم، وكان بين النباج(4) والحجاز فكتب إليه بأن يغزو العراق من شماله الشرقي، بادئاً بالمصيخ(5) وقال له: سر حتى المصيخ وابدأ بها، ثم ادخل العراق من أعلاها حتى تلقي خالداً ثم اردف أمره هذا بقوله: وأذن لمن شاء بالرجوع، ولاتستفتحا بمتكاره. أي لاتجبرا

---

(1) الأبلة: على شط العرب في زاوية الخليج الذي يدخل في مدينة البصرة وهي أقدم من البصرة وكانت بها مسالح كسرى.

(2) يستصحب: يطلب صحبته دون الزام.

(3) البداية والنهاية (347/6).

(4) قرية في بادية البصرة، في منتصف الطريق بين مكة والبصرة.

(5) موضع على حدود الشام مما يلي العراق.

أحداً على السير معكما للقتال إكراهاً، فمن شاء فليقدم، ومن شاء فليحجم(1).

وكتب الصديق ◀ إلى خالد وعياض: ... ثم يستبقا إلى الحيرة، فأيهما سبق إلى الحيرة فهو أمير على صاحبه، وقال: إذا اجتمعتما إلى الحيرة، فأيهما سبق إلى الحيرة فهو أمير على صاحبه وقال: إذا اجتمعتما بالحيرة، وقد ففضتما مسالح فارس وأمنتما أن يؤتى المسلمون من خلفهم، فليكن أحدكما ردءاً للمسلمين ولصاحبه بالحيرة، وليقتحم الآخر على عدو الله وعدوكم من أهل فارس دارهم ومستقر عزهم المدائن(2).

3-وكان المثنى بن حارثة قد قدم على أبي بكر وحث الصديق على محاربة الفرس، وقال له ابعثني على قومي ففعل ذلك أبو بكر، فرجع المثنى وشرع في الجهاد بالعراق، ثم إنه بعث أخاه مسعود بن حارثة إلى أبي بكر يستمده، فكتب معه أبو بكر إلى المثنى: أما بعد فإني قد بعثت إليك خالد بن الوليد إلى أرض العراق فاستقبله بمن معك من قومك، ثم ساعده ووازره وكانفه، ولاتعصين له أمراً، ولاتخالفن له رأياً، فإنه من الذين وصف الله تبارك وتعالى في كتابه

{مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا} (سورة الفتح، آية:29). فما أقام معك فهو الأمير، فإن شخص عنك فأنت على ماكنت عليه(3) وكان من قوم المثنى رجل يدعى مذعور بن عدي خرج عن المثنى بن حارثة وراسل الصديق وقال له: أما بعد: فإني امرؤ من بني عجل أجلاس الخيل -أي يلزمون ظهورها- وفرسان الصباح -أي يغيرون صباحاً- ومعي رجال من عشيرتي، الرجل خير من مئة رجل، ولي علم بالبلد، وجراء على الحرب، وبصر بالأرض، فولّني أمر السواد أكفكه إن شاء الله(4) وكتب المثنى بن حارثة ◀ بشأن مذعور بن عدي إلى الصديق فقال له:... فإني أخبر خليفة رسول الله ⇦ أن امرءاً من قومي، يقال له مذعور بن عدي، أحد بني عجل، في عدد يسير، وإنه أقبل ينازعني ويخالفني، فأحببت أعلامك ذلك لترى رأيك فيما هنالك(5)، وردّ الصديق على مذعور بن عدي فقال له: أما بعد: فقد أتاني كتابك، وفهمت ماذكرت، وأنت كما وصفت نفسك، وعشيرتك نعم العشيرة، وقد رأيت لك أن تنضم إلى خالد بن الوليد، فتكون معه، وتقيم معه ما أقام بالعراق وتشخص معه إذا شخص(6)، وكتب إلى المثنى بن حارثة:... فإن صاحبك العجلي كتب إليّ يسئلني أموراً، فكتبت إليه

---

(1) الفن العسكري الاسلامي، د. ياسين سويد، ص83؛ تاريخ الطبري (162/4).

(2) تاريخ الطبري (163/4).

(3) الوثائق السياسية ، حميد الله، ص371.

(4) مجموعة الوثائق السياسية ، ص372.

(5) نفس المصدر، ص372.

(6) المصدر السابق، ص372.

آمره بلزوم خالد حتى أرى رأي وهذا كتابي إليك آمرك أن لاتبرح العراق حتى يخرج منه خالد بن الوليد، فإذا خرج منه خالد بن الوليد، فالزم مكانك الذي كنت به وأنت أهل لكل زيادة، وجدير بكل فضل(1)، وممن سبق يمكننا أن نستخلص بعض الدروس والعبر، والفوائد فمنها:

1-كان تاريخ بعث خالد إلى العراق في شهر رجب وقيل في المحرم سنة اثنتي عشرة(2).

2-الحس الاستراتيجي عند الصديق:

إن الأوامر التي وجهها الصديق إلى قائديه، خالد وعياض تشير إلى الحس الاستراتيجي المتقدم الذي كان يملكه الصديق ◀، فقد أعطى جملة تعليمات عسكرية استراتيجية منها وتكتيكية، فحدد لكل من القائدين المسلمين جغرافياً، منطلقة للدخول إلى العراق، كأنما هو يمارس القيادة من غرفة العمليات بالحجاز، وقد بسطت أمامه خارطة العراق بكل تضاريسها ومسالكها، فيأمر أحدهما خالداً بدخول العراق من اسفلها، جنوباً بغرب، (أي الأبلة)، ويأمر الثاني (عياضاً) بدخول العراق من أعلاها، شمالاً بشرق (أي المصيخ) ويأمر الاثنين معاً أن يلتقيا في وسط العراق. ولاينسى الخليفة مع ذلك، أن يأمرهما بأن لايُكرها الناس على الانخراط في جيشيهما، وأن لايجبرا أحد على البقاء معهما للقتال، فلم يكن التجنيد في نظره إلزامياً، وإنما طوعياً واختيارياً(3).

3-تحديد الحيرة كموقع استراتيجي:

كان هدف الخليفة الصديق السيطرة على الحيرة وذلك لأهميتها العسكرية، فالحيرة تقع على بعد ثلاثة أميال جنوب (الكوفة) وتبعد عن (النجف) مسيرة ساعة للفارس إلى الجنوب الشرقي للنجف، والناظر على الخارطة، يرى لأول وهلة، أهمية هذا الموقع الاستراتيجي، فالحيرة كانت (عقد مواصلات) في نقطة تتصل بها الطرق من جميع الاتجاهات، فهي تتصل بالمدائن من الشرق عبر نهر الفرات، وتتصل شمالاً بـ (هيت)، وتتصل بـ (الأنبار) على جسر الأنبار، وتتصل بالشام من الغرب، كما تتصل بـ (الأبلة) في منطقة (البصرة) بالعراق، وفي (كسكر) في (السواد)، وفي (النعمانية) على نهر دجلة ومن هذا يتضح جلياً، أهمية السيطرة على هذا الموقع الهام، وكان الصديق مصيباً عندما جعلها هدفاً لجيشين، هما جيش خالد، وجيش عياض، فالحيرة كانت قلب العراق، وأقرب منطقة مهمة إلى المدائن، عاصمة الامبراطورية الفارسية، التي كانت تدرك هذه القيمة الاستراتيجية للحيرة، ولذا كانت ترسل القوات باتجاهها دائماً لاستعادتها، لأن المسيطر على الحيرة، يؤمن سيطرته على المنطقة الكائنة غربي الفرات بأجمعها وهي عدا

(1) مجموعة الوثائق السياسية، ص373.

(2) البداية والنهاية (347/6).

(3) الفن العسكري الاسلامي، ص83،84.

عن هذا، كانت مهمة للقوات الإسلامية في قتالها الروم في بلاد الشام(1).

إن تخطيط الصديق للوصول إلى الحيرة في الفتوحات يعرف في الخطط العسكرية للجيوش الحديثة بحركة فكي الكماشة أو عملية الالتفاف الدائري بأكثر من جيش وهذا يؤكد أن عملية فتح العراق وضم أطراف شبه الجزيرة العربية عن طريق الجهاد لم تكن محض مصادفة أو نتيجة لمجريات الحوادث(2)

ويظهر للباحث فقه أبي بكر ◄ في التخطيط الجهادي بأنه كان يرتكز على اتخاذ القرارات بتنظيم الجيوش وتوجيهها وتحديد واجباتها وأهدافها، وتنسيق التعاون فيما بينها، وتحقيق التوازن على مسارح العمليات، غير أنه يترك لقادته حرية العمل العسكري، لإدارة العمليات القتالية بالأساليب التي يرونها مناسبة، وبالطرائق التي تستجيب لها يجابهونه من مواقف(3).

4-نكران الذات عند المثنى بن حارثة:

ومن المواقف التي تذكر في الجهاد في العراق ماكان المثنى بن حارثة الشيباني، وكان يقاتل الأعداء في العراق بقومه، ولما علم بذلك أبو بكر سرَّه ماكان منه فأمّره على من بناحيته وذلك قبل مجئ خالد، فلما توجهت همة الصديق لغزو فارس رأى أن خالداً أجدر القواد بهذه المهمة فوجهه لها، وكتب كتاباً إلى المثنى يأمره بالانضمام إلى خالد وطاعته، فما كان منه إلا أن سارع في الاستجابة ولحق بخالد هو وجيشه وإن هذا موقف يذكر للمثنى حيث لم يَغُرَّه كثرة جيشه ولاكونه أقدم من خالد في إمرة جيوش العراق فلم يحمله ذلك على أن يرى أنه أحق بالقيادة من خالد(4).

5-احتياط الصديق لأمر الجهاد في سبيل الله:

وقد جاء في كتاب أبي بكر لخالد وعياض بن غُنْم، أن استنفروا من قاتل أهل الردة ومن ثبت على الإسلام بعد رسول الله ﷺ ولايغزونَّ معكم أحد ارتد حتى أرى رأيي، فلم يشهد الأيام مرتد(5)، يعني في أول الأمر وقد شهدوا الأيام بعد ذلك حينما ثبتت استقامتهم كما سيأتي بإذن الله تعالى. وهذا الموقف من أبي بكر مبني على الاحتياط لأمر الجهاد في سبيل الله تعالى حتى لايشترك فيه طلاب الدنيا فيكونوا سبباً في فشل المجاهدين واختلال صفوفهم وهذا درس تربوي من أبي بكر استفاده من الدروس النبوية الغالية وذلك في تنقية الصف الإسلامي من الشوائب وتوحيد هدفه حتى يكون خالصاً لوجه الله تعالى، فيأمن بذلك من الانتكاسات الخطيرة التي تحدث بسبب تعدد الأهداف، ولقد حرص أبو بكر على هذا المبدأ السامي مع شدة احتياج الجيش الإسلامي آنذاك إلى الرجال مما يدل على قناعته التامة

---

(1) معارك خالد بن الوليد ضد الفرس، عبدالجبار السامرائي، ص35.
(2) ابوبكر الصديق، نزار الحديثي، وخالد الجنابي، ص45.
(3) مشاهير الخلفاء والأمراء، الصديق، بسام العسلي، ص127.
(4) التاريخ الاسلامي (130/9).
(5) تاريخ الطبري (163/4).

بأن العبرة بسمو الهدف والإخلاص لابكثرة العدد(1).

6-الرفق بالناس والتوصية بفلاحي العراق:

وفي قول الصديق لخالد: وتألف أهل فارس ومن كان في ملكهم من الأمم(2)، وهذا القول يبين لنا الهدف من الجهاد الإسلامي خارج بلاد الإسلام فهو جهاد دعوي يقصد به دعوة الناس إلى الدخول في الإسلام، ولما كانت الدعوة غير ممكنة مع بقاء الحكومات فإنه لابد من إزالتها لتمكين شعوبها من الدخول في الإسلام، وهذا الهدف ظاهر في جميع المعارك التي خاضها الصحابة رضي الله عنهم حيث كانوا يدعون أعداءهم إلى الإسلام فيكون لهم ماللمسلمين وعليهم ماعليهم، فإن أبوا فليستسلموا لحكم الإسلام ويدفعوا الجزية مقابل حماية المسلمين لهم، فإن أبوا فلابد من القتال حتى تكون كلمة الله هي العليا(3)، وقد وصى الصديق ◀ قادة جيوشه بفلاحي العراق وأهل السواد حرصاً منه على هداية الناس، وعلى منابع الثروة وعلماً منه بأن العمران لاتقوم بدونه دولة، كما أن الفلاحة مصدر من مصادر الثروة، وهي المتصلة بحياة الناس ومعايشهم(4).

7-لايهزم جيش فيهم مثل هذا:

عندما استمد خالد أبا بكر أثناء سيره للعراق، أمده الصديق بالقعقاع بن عمرو التميمي فقيل له: أَتُمِدُّ رجلاً قد ارفضَّ عنه جنوده برجل؟ فقال: لايهزم جيش فيهم مثل هذا(5) وهذه فراسة من أبي بكر بينتها أحداث العراق بعد ذلك وقد كان أبو بكر أعلم الناس بالرجال وما يتصفون به من طاقات وكفاءات مختلفة(6).

ثانياً: معارك خالد بن الوليد بالعراق:

لم يلبث خالد أن قدم العراق ومعه ألفي رجل ممن قاتل المرتدين وحشد ثمانية آلاف رجل من قبائل ربيعة وكتب إلى ثلاثة من الأمراء في العراق قد اجتمعت لهم جيوش لغرض الجهاد وهم مذعور بن عدي العجلي وسُلْمَى بن القين التميمي وحرملة بن مُرَيْطة التميمي فاستجابوا وضموا جيوشهم التي بلغ

---

(1) التاريخ الاسلامي (131/9).

(2) تاريخ الطبري (159/4).

(3) التاريخ الاسلامي (130/9).

(4) تاريخ الدعوة الى الاسلام، ص342.

(5) تاريخ الطبري (163/4).

(6) التاريخ الاسلامي (129/9).

تعدادها مع جيش المثنى ثمانية آلاف، فأصبح جيش المسلمين ثمانية عشر ألفاً(1)، وقد اتفقوا على أن يكون مكان تجمع الجيوش الأبلة(2)، وقبل أن يسير خالد إلى العراق كتب إلى هرمز صاحب ثغر الأبلة كتاب إنذار يقول فيه: أما بعد فاسلم تسلم او اعتقد لنفسك وقومك الذمة وأقررّ بالجزية وإلا فلا تلومن إلا نفسك فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة(3)، وقد لجأ إلى هذا الأسلوب وهو نوع من الحرب النفسية ليدخل الخوف والرعب في قلب هرمز وجنوده وليوهن من قوتهم ويضعف من عزيمتهم وحين قارب خالد العدو جعل الجيش ثلاث فرق وأمر أن تسلك كل فرقة طريقاً ولم يحملهم على طريق واحد تحقيقاً لمبدأ مهم من مبادئ الحرب وهو أمن القطعات، فجعل المثنى على فرقة المقدمة ثم تلتها فرقة عليها عدي بن حاتم الطائي وخرج خالد بعدهما وواعدهما الحضير(4) ليجتمعوا به ويصمدوا لعدوهم(5).

1-معركة ذات السلاسل:

سمع هرمز بمسير خالد وعلم أن المسلمين تواعدوا الحضير فسبقهم إليه وجعل على مقدمته القائدين قباذ وأنو شجان ولما بلغ خالد انهم يمموا الحضير عدل عنها إلى كاظمة فسبقه هرمز إليها ونزل على الماء واختار المكان الملائم لجيشه وجاء خالد فنزل على غير ماء، فقال لأصحابه: حطوا أثقالكم ثم جالدوهم على الماء فلعمري ليصيرن الماء لاصبر الفريقين واكرم الجندين(6).

وحط المسلمون أثقالهم والخيل وقوف وتقدم الراجلون، وزحفوا إلى الكفار، ومنَّ الله تعالى بكرمه وفضله على المسلمين بسحابة فأمطرت وراء صفوف المسلمين ونهلوا من غدرانها فتقوى بذلك المسلمون، وهذا مثل من الأمثلة الكثيرة الشاهدة على معية الله جل جلاله لأوليائه المؤمنين بنصره وإمداده ووجه المسلمون هرمز وكان مشهوراً بالخبث والسوء حتى ضُرب المثل بخبثه فعمل مكيدة لخالد وذلك أنه اتفق مع حاميته على أن يبارز خالدا ثم يغدروا به ويهجموا عليه، فبرز بين الصفين ودعا خالداً إلى البراز، فبرز إليه، والتقيا فاختلفا ضربتين واحتضنه خالد فحملت حامية هرمز على خالد وأحْدَقوا به فما شغله ذلك عن قتل هرمز، وما أن لمح ذلك البطل المغوار القعقاع بن عمرو حتى حمل

---

(1) تاريخ الطبري (163/4).

(2) أبوبكر الصديق، خالد الجنابي، نزار الحديثي، ص46.

(3) تاريخ الطبري (164/4).

(4) الحضير: ماء لباهلة على أ ربعة أميال من البصرة (المعجم، ياقوت، 277/2).

(5) أبوبكر الصديق، خالد الجنابي، ص46.

(6) الكامل لابن الأثير (51/2)؛ تاريخ الطبري (165/4).

بجماعة من الفرسان على حامية هرمز وكان خالد يجالدهم فأناموهم(1)، وحمل المسلمون من وراء القعقاع حتى هزموا الفرس، وهذا هو أول المشاهد التي ظهر فيها صدق فراسة أبي بكر حينما قال عن القعقاع: (لايهزم جيش فيه مثل هذا)(2) وأما خالد فقد ضرب أروع الأمثال في البطولة ورباطة الجأش فقد أجهز على قائد الفرس وحاميته من حوله فلم يستطيعوا تخليصه منه، ثم ظل يجالدهم حتى وصل إليه القعقاع ومن معه فقضى عليهم وقد كان الفرس ربطوا أنفسهم بالسلاسل حتى لايفروا فلم تغن عنهم شيئاً أمام الليوث البواسل، وسميت هذه المعركة بذات السلاسل(3).

وغنم المسلمون من الفرس حمل ألف بعير، وبعث خالد سرايا تفتح ماحول الحيرة من حصون، فغنموا أموالاً كثيرة، ولم يعرض خالداً لمن لم يقاتلوه من الفلاحين، بل أحسن معاملتهم كما أوصاه الصديق، وأبقاهم في الأرض التي يفلحونها، ومكّنهم من إنتاجها، ومتعهم بثمرات عملهم، فمن دخل في الإسلام حدد له نصيب الزكاة، ومن بقي على دينه فرض عليه الجزية، وهو أقل بكثير مما كان ينهبه المالكون الفرس، ولم ينتزع الأرض من أيدي أصحابها الفرس، ولكنه أنصف العاملين فيها، فأحسُّوا بأن عنصراً جديداً من العدل والإخاء الإنساني يشرف عليهم من خلال هذا الفتح المجيد، وأرسل خالد خمس الغنائم والأموال إلى الصديق، ووزع الباقي على المجاهدين، وكان مما أرسله إلى الصديق قلنسوة هرمز ولكن الصديق أهداها إلى خالد، مكافأة له على حسن بلائه(4) وكانت قيمتها مائة ألف، وكانت مفصصة بالجوهر، فقد كان أهل فارس يجعلون قلانسهم على قدر أحسابهم في عشائرهم فمن تم شرفه فقيمة قلنسوته مائة ألف، فكان هرمز ممن تم شرفه(5) في الفرس.

2-معركة المذار (الثّني):

كان هرمز قد كتب إلى كسرى بكتاب خالد فأمده كسرى بجيش بقيادة (قارن) ولكن هرمز استخف بجيش المسلمين فسارع إليهم قبل وصول قارن فنكب ونكب جيشه، وهرب فلول المنهزمين فالتقوا بجيش (قارن) وتذامروا فيما بينهم وتشجعوا على قتال المسلمين، وعسكروا بمكان يسمى المذار وكان خالد قد بعث المثنى بن حارثة وأخاه المعنَّى في آثار القوم، ففتحا بعض الحصون، وعلما بمجئ جيش الفرس فأبلغا خالداً الخبر، وكتب خالد إلى أبي بكر بمسيره إليهم، وسار وهو مستعد للقتال حتى لايفاجأ بهم، والتقى المسلمون معهم في (المذار) فاقتتلوا والفرس قد أغضبهم وأثار حفيظتهم ماوقع لهم

---

(1) تاريخ الطبري (165/4).

(2) نفس المصدر (163/4).

(3) التاريخ الاسلامي (133/9)؛ تاريخ الطبري (165/4).

(4) الصديق أول الخلفاء، ص131.

(5) تاريخ الطبري (166/4).

قبل ذلك، وخرج قائدهم (قارن) ودعا إلى البراز، فبرز إليه خالد ولكن سبقه إليه معقل بن الأعمش بن النباش فقتله، وكان قارن وضع على ميمنته (قباذ) وعلى ميسرته (أنوشجان) وهما من القواد الذين حضروا اللقاء الأول وفروا من المعركة، فتصدَّى لهما بطلان من أبطال المسلمين، فأما قباذ فقتله عاصم بن عمرو التميمي، واشتد القتال بين الفريقين ولكن الفرس انهزموا بعد مقتل قادتهم، وقتل منهم ثلاثون ألفاً ولجأ بقيتهم إلى السفن فهربوا عليها ومنع الماء المسلمين من ملاحقتهم وأقام خالد بالمذار، وسلم الأسلاب لمن سلبها بالغة ما بلغت، وقسم الفيء، ونفل من الأخماس أهل البلاء، وبعث ببقية الأخماس(1) إلى المدينة.

3-معركة الولجة:

وصل نبأ نكبة الفرس في المذار إلى كسرى فبعث الأند زغر على رأس جيش عظيم واردفه بجيش آخر عليه بهمن جاذويه وتحرك الاندرزغر من المدائن حتى انتهى إلى كسكر ومنها إلى الولجة وخرج بهمن جاذويه سالكاً وسط السواد يريد أن يحضر جيش المسلمين بينه وبين الاندرزغر واستطاع أن يحشر في طريقه عدداً من الأعوان والدهاقين وتجمعت القوة الفارسية في الولجة وعندما شعر الاندرزغر ان حشوده أصبحت كبيرة قرر الزحف على خالد، ولما بلغ خالد وهو بالثني (مكان قرب البصرة ومعناه منعطف النهر والجبل) تجمع الفرس ونزولهم الولجة رأى ان من الأفضل للمسلمين أن يهاجموا هذه الحشود الكبيرة من ثلاث جهات حتى يفرقوا جموعهم وتكون المفاجأة للفرس مربكة وأخذ يعد العدة لتنفيذ خطة الهجوم، ولكي يؤمن خطوطه الخلفية أمر سويد بن مقرن بلزوم الحضيروتحرك بجيشه حتى وصل الولجة وبعد أن قام باستطلاع واف للمنطقة وجد أن ميدان المعركة ارض مستوية وواسطة تصلح للقتال وتسمح بحرية الحركة، ولما كان خالد قد قرر أن يهاجم قوات الفرس من ثلاث جبهات فقد نفذ خطته وبعث بفرقتين لمهاجمة حشود الفرس من الخلف والجانبين، وبدأت المعركة واشتد القتال بين الفريقين وشدد خالد بهجومه من المقدمة، وفي الوقت المناسب انقض الكمينان على مؤخرة جيش العدو فحلت به الهزيمة المنكرة، وفر الاندرزغر مع عدد من رجاله ولكنهم ماتوا عطشاً(2) وقام خالد في الناس خطيباً، فرغبهم في بلاد الأعاجم وزهدهم في بلاد العرب وقال: ألا ترون ماهاهنا من الأطعمات؟ وبالله لو لم يلزمنا الجهاد في سبيل الله والدعاء إلى الإسلام ولم يكن إلا المعاش لكان الرأي أن نقاتل على هذا الريف حتى نكون أولى به، ونولّي الجوع والإقلال من تولاه ممن اثاقل عما أنتم عليه. ثم خمس الغنيمة ، وقسم أربعة أخماسها، وبعث الخمس إلى الصديق، وأسر من أسر من ذراري المقاتلة

---

(1) تاريخ الطبري (168/4؛ التاريخ الاسلامي (134/9).

(2) الكامل لابن الأثير (52/2)؛ أبوبكر الصديق، خالد الجنابي، ص48.

وأقر الفلاحين بالجزية(1) وفي خطبة خالد بن الوليد للناس إشارة إلى أن العرب وهم في جاهليتهم إضافة الى أنهم ليسوا من طلاب الآخرة فإنهم لم يظفروا بالدنيا لتفرقهم وتناحرهم فيما بينهم، فخالد يقول: نحن طلاب الآخرة ولنا هدف سام نسعى إليه، من أجله ندعو ومن أجله نجاهد، ولو فرض أننا لانحمل هذا الهدف ولا نجاهد من أجله فإن العقل يقتضي أن نقاتل من أجل أن نصلح أحوالنا المعيشية وخالد حينما يذكر ذلك لايجعل هذا الموقف ثنائياً مع الهدف السامي الذي ذكره، وإنما يذكر ذلك على أنه مجرد إفتراض يفرض نفسه لو لم يوجد الهدف السامي المذكور، وكأنه يقول: إذا كنا سنقارع هؤلاء من أجل هذا الهدف الدنيوي أفلا نقارعهم من أجل الهدف الأخروي وابتغاء مرضاة الله جل وعلا؟

وهذا الكلام يشحذ الهمم ويقوي العزم، ويحي القلب ويفجر الطاقات، فتنطلق بعد ذلك النفوس المؤمنة مجاهدة في سبيل الله تعالى بكل طاقاتها وإمكاناتها وقدراتها(2).

وجاء في رواية: أن في يوم الولجة بارز خالد رجلاً من أهل فارس يعدل بألف رجل فقتله، فلما فرغ اتكأ عليه ودعا بغدائه(3)، وهذا التصرف الجليل من سيف الله ◀ فيه إذلال للفرس وتحطيم لجبروتهم وتغطرسهم وإضعاف لعزائمهم(4).

4-معركة إليس وفتح امغيشيا:

في هذه الموقعة انضم بعض نصارى العرب إلى الأعاجم وصاروا عوناً للفرس على المسلمين وكان عليهم عبدالأسود العجلي وعلى الفرس جابان وكان قد أمره بهمن جاذويه إلا ينازل المسلمين إلا أن يعجلوه وبعد ان بلغ خالد تجمع نصارى العرب وعرب الضاحية من اهل الحيرة سار إليهم وكان همه متجه لمواقعتهم ولاعلم له بانضمام الفرس لجموع العرب فلما اقبلت جنود المسلمين طلب جابان من جنده مهاجمتهم فاظهروا عدم الاكتراث بخالد والتهاون بأمره وتداعوا إلى الطعام إلا أن خالد لم يدعهم يهنأون بطعامهم واقتتلوا اشد القتال وقد زاد في كلب الأعداء وشدتهم مايتوقعون من لحاق بهمن جاذويه بهم في مدد كبير وصبر المسلمون على هذا القتال العنيف وقال خالد: اللهم إنّ لك عليّ إن منحتنا أكتافهم ألا أستبقي منهم أحداً قدْرنا عليه حتى أجري نهرهم بدمائهم ثم إن الله كشفهم للمسلمين، ومنحهم أكتافهم، فأمر خالد مناديه، فنادى في الناس: الأسر الأسر لاتقتلوا إلا من امتنع، فأقبلت الخيول بهم أفواجاً مستأسرين يساقون سَوْقاً، وقد وكَّل بهم رجالاً يضربون أعناقهم في النهر،

---

(1) البداية والنهاية (350/6).

(2) التاريخ الاسلامي (139/9).

(3) البداية والنهاية (350/6).

(4) التاريخ الاسلامي (138/9).

ففعل ذلك بهم يوماً وليلة، وطلبوهم الغد وبعد الغد حتى انتهوا إلى النهرين، ومقدار ذلك من كل جانب أليس، فضرب أعناقهم، وقال له القعقاع وأشباه له: لو أنك قتلت أهل الأرض لم تجر دماؤهم، إن الدماء لاتزيد على أن ترقرق منذ نهيت عن السيلان، ونهيت الأرض عن نشف الدماء، فأرسل عليها الماء تبر يمينك، وقد كان صد الماء عن النهر فأعاده، فجرى دما عبيطا فسمي نهر الدم لذلك الشأن(1).

ولما هُزم القوم وأجلُوا عن عسكرهم، ورجع المسلمون من طلبهم ودخلوه، وقف خالد على الطعام فقال: فقد نفَّلتكموه فهو لكم. وقال: كان رسول الله ﷺ إذا أتى على طعام مصنوع نفَّله، فقعد عليه المسلمون لعشائهم بالليل، وجعل من لم يَرالأرياف ولايعرف الرّقاق يقول: ماهذه الرّقاق البيض! وجعل من قد عرفها يجيبهم، ويقول لهم مازحاً: هل سمعتم برقيق العيش؟ فيقولون: نعم، فيقول: هو هذا فسميَّ الرّقاق، وكانت العرب تسمّيه القرَى(2) وبعد أن فرغ خالد من أُليس نهض حتى أتى امغيشيا وقد جلا عنها أهلها واعجلوا عما فيها وتفرقوا في السواد فأمر بهدمها وهدم كل شيء كان في حيزها وأصابوا بها مالم يصيبوا مثله فقد بلغ سهم الفارس الف وخمسمائة درهم سوى انفال أهل البلاء ولما وصلت الأخماس واخبار النصر إلى الصديق ◀ وماصنعه خالد والمسلمون قال: يامعشر قريش –يخبرهم بالذي أتاه– عَدَا أسدكم على الأسد فغلبه على خراذيله(3)، أعجزت النساء أن ينسلن مثل خالد(4) وكان خالد قد بعث بالخبر مع رجل يدعى جندلا من بني عجل، وكان دليلاً صارماً، فقدم على أبي بكر بالخبر، وبفتح أليس، وبقدر الفئ وبعدة السبي، وبما حصل من الأخماس وبأهل البلاء من الناس، فلما قدم على أبي بكر، فرأى صرامته وثبات خبره، قال: ماسمك؟ قال: جندل، قال: ويهاً جندل

نفس عصام سودت عصاما

وعودته الكر والاقداما

وأمر له بجارية من ذلك السبي، فولدت له(5).

وفي قول الصديق عن خالد: عدا أسدكم على الأسد فغلبه على خراذيله، أعجزت النساء أن ينسلن مثل خالد(6)، وسام شرف لخالد، واعتراف بالجميل، ورفع لأهل البلاء والفضل والهمم العالية،

---

(1) تاريخ الطبري (173/4).

(2) نفس المصدر (173/4).

(3) الخراذيل: قطع اللحم.

(4) تاريخ الطبري (175/4).

(5) نفس المصدر (174/4).

(6) المصدر السابق (175/4)

ودفع لأصحاب الهمم الضعيفة ليضاعفوا من جهودهم وينافسوا على معالي الأمور ومكارمها(1) وهذا القول من أبي بكر وكان أعلم بالرجال -أعظم شهادة، وأجل تقدير يناله رجل في تاريخ الإسلام، فالصديق وهو خليفة المسلمين الأعظم لايرى لخالد ◀ في الناس عدلاً في عبقريته وشجاعته، ولانظيراً في بطولته ومهارته، وحسبك بها لخالد من الصديق(2).

5-فتح الحيرة:

علم مرزبان الحيرة بما صنع خالد بأمغيشيا فأيقن أنه آتيه، فاستعد لذلك وأرسل جيشاً بقيادة ابنه ثم خرج في إثره وأمر ابنه بسد الفرات ليعطل سفن المسلمين، وفوجئ المسلمون بذلك واغتموا له فأرسلوا الفلاحين فأخبروهم بضرورة سد الأنهار حتى يسيل الماء فماذا فعل خالد؟

نهض خالد في خيل يقصد ابن المرزبان فلقى خيلاً من خيله ففاجأهم فأنامهم بالمقر ثم نهض قبل أن تصل أخباره إلى المرزبان حتى لقى جنداً لابنه على فم الفرات فقاتلهم وهزمهم، وسد الأنهار وسلك الماء سبيله، ثم طلب خالد عسكره واتجه إلى الحيرة، وعلم المرزبان بموت ابنه، وخبر موت أزدشير فهاله الأمر فعبر الفرات هاربا من غير قتال فعسكر خالد مكانه، وأهل الحيرة متحصنون، وأدخل خالد الخيل من عسكره وتمت خطته حول قصور الحيرة بمحاصرتها على هذا النحو:

أ-ضرار بن الأزور لمحاصرة القصر الأبيض وفيه إياس بن قبيصة الطائي.

ب-ضرار بن الخطاب لمحاصرة قصر العدسيين وفيه عدي بن عدي العبادي.

ج-ضرار بن مقرن لمحاصرة قصر بني مازن وفيه ابن أكال.

د-المثنى بن حارثة لمحاصرة قصر ابن بقيلة وفيه عمرو بن عبدالمسيح.

وعهد خالد إلى أمرائه أن يدعوا القوم إلى الإسلام فإن أجابوا قبلوا منهم، وإن أبوا أجلوهم يوما، وأمرهم أن لايمكنوا عدوا منهم بل عليهم أن يناجزوهم ولايمنعوا المسلمين من قتال عدوهم ففعلوا، واختار القوم المنابذة وعمدوا لرمي المسلمين بالحذف(3)، فرشقهم المسلمون بالنبل، وشنوا غاراتهم، وفتحوا الدور والديارات فنادى القسيسون: ياأهل القصور مايقتلنا غيركم، فنادى أهل القصور: يامعشر العرب قبلنا واحدة من ثلاث فكفوا عنا-وخرج رؤساء القصور فقابلهم خالد كل أهل قصر على حدة، ولامهم على فعلهم، وتصالحوا مع خالد على الجزية وصالحوه على مائة وتسعين ألفاً، وبعث خالد بالفتح والهدايا إلى ابي بكر فقبل الهدايا، وعدها لأهل الحيرة من الجزية تعففاً عما لم يأذن به الشرع

---

(1) التاريخ الاسلامي (144/9).

(2) خالد بن الوليد ، صادق عرجون، ص216.

(3) الحذف: الرمي بالحصى عن جانب والضرب عن جانب.

وقطعا لدابر العادات الأعجمية التي كان يحتال بها على سلب أموال الناس(1).

وكتب خالد في عهده لأهل الحيرة: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ماعاهد عليه خالد بن الوليد عديا وعمرا بن عديا، وعمرو بن عبدالمسيح، وإياس بن قبيصة، وحيرى بن أكال، وهم نقباء أهل الحيرة، ورضى بذلك أهل الحيرة، وأمرهم به، وعاهدهم على مائة وتسعين ألف درهم تقبل في كل سنة جزاء عن أيديهم في الدنيا رهبانهم وقسيسهم إلا من كان منهم على غير ذي يد حبيساً عن الدنيا، تاركا لهما، وعلى المنعة، وإن لم يمنعهم شيء، فلاشيء عليهم حتى يمنعهم وإن غدروا بفعل أو بقول فالذمة منهم بريئة وكانت كتابة هذا العهد في شهر ربيع الأول سنة 12هـ(2)، وقد جاء في رواية: أن خالد عرض على أهل الحيرة واحدة من ثلاث: أن تدخلوا في ديننا فلكم مالنا وعليكم ماعلينا إن نهضتم وهاجرتم وإن أقمتم في دياركم، أو الجزية، أو المنابذة والمناجزة فقد والله أتيتكم بقوم هم على الموت أحرص منكم على الحياة، فقال: بل نعطيكم الجزية، فقال خالد: تبّا لكم، ويحكم إن الكفر فلاة مضلّة فأحمق العرب من سلكها(3).

ففي حديث خالد ◄ تتضح بعض الصفات الإيمانية التي تجسدت في جيش فتح العراق، فهذا الجيش يتحرك من أجل هدف سامي، إلا وهو دعوة الناس إلى الإسلام وتبليغ الهداية للبشرية، وليس التوسع في الممالك وفرض السلطان والتمتع بالحياة الدنيا، كما بين خالد أهم مقومات نجاح المسلمين في حروبهم ألا وهو الحرص الأكيد على طلب الشهادة وابتغاء ماعند الله تعالى في الآخرة، كما بين النص السابق حرص الصحابة رضي الله عنهم على تطبيق سنة النبي ⇨، وذلك بالرغبة القلبية في هداية البشرية حيث إن خالداً وبَّخهم على اختيار البقاء على الكفر مع أن بقاءهم على الكفر ودفع الجزية فيه مصلحة مالية للمسلمين ولكن خالداً من قوم هانت عليهم الحياة الدنيا وفضلوا ماعند الله جل وعلا في الآخرة، وقد سنَّ رسول الله ⇨ لهم هذا المبدأ السامي(4)، في قوله ⇨: لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النَّعم(5).

وفي قبول الصديق لهدية أهل الحيرة، وقد أهدوها طائعين مختارين، فعدها من الجزية عدلاً وتعففاً وخشية أن يظلم أهل ذمته أو يكلفهم شططا، درس عظيم في إقامة العدل بين الناس وقد قارن الشيخ علي طنطاوي بين فتوح الاستعمار التي أثارتها أوروبا وبين فتح المسلمين مقارنة متميزة ثم استدل بقول الشاعر:

---

(1) تاريخ الدعوة الى الاسلام، ص348.
(2) تاريخ الطبري (4/181).
(3) تاريخ الطبري (4/178).
(4) التاريخ الاسلامي (9/148).
(5) البخاري، كتاب المغازي رقم 4210.

ملكنا فكان العدل منا سجية

فلّما ملكتم سال بالدم أبطح

وحلَّلتم فكان العدل منا سجية

غدونا على الأسرى نمن ونصفح

فحسبكم هذا التفاوت بيننا

فكل إناء بالذي فيه ينضح(1)

- الحيرة قاعدة الجيوش الإسلامية:

كان فتح الحيرة عملاً حربياً عظيم القيمة، وسع أمل المسلمين في فتح بلاد فارس، لمكان هذا البلد الجغرافي والأدبي من العراق والمملكة الفارسية، فقد اتخذها القائد العام للجيوش الإسلامية مقراً لقيادته العليا ومركزاً رئيسياً تتلقى منه جيوش الإسلام أوامر الهجوم والدفاع والإمداد والنظم، وكذلك جعلها قاعدة عامة للتدبير والسياسة التي يقوم عليها تنظيم من وقع في يد المسلمين، وبث خالد عماله على الولايات لجباية الخراج والجزاء، ووجه أمراء إلى الثغور لحمايتها، وأقام هو ريثما يتم مأأراده من الاستقرار والنظام، وترامت أخباره إلى الدهاقين والرؤساء فأقبلوا إليه يصالحونه حتى لم يبقى مابين قرى سواد العراق إلى أطرافه من ليس مولى للمسلمين أو على عهد منهم(2) وقد كان من عماله على الأقاليم:

1-عبدالله بن وثيمة النصري على الفلاليج.

2-جرير بن عبدالله على بانقيا.

3-بشير بن الخصاصية على النهرين.

4-سويد بن مقرن المزني على تستر.

5-أط بن أبي أط على روذستان.

وكان من قادة الثغور:

1-ضرار بن الأزور.

2-المثنى بن حارثة الشيباني.

3-ضرار بن الخطاب.

4-ضرار بن مقرن.

5-القعقاع بن عمرو.

6-بسر بن أبي رهم.

---

(1) ابوبكر الصديق، طنطاوي، ص33.

(2) خالد بن الوليد، صادق عرجون، ص222.

7-قتيبة بن النّهاس(1).

● <u>الرسائل التي أرسلها خالد إلى خاصة وعامة الفرس:</u>

أجمع خالد أمره على منازلة الفرس في ساحات ملكهم بعد أن صفا له الجو في العراق، وأمن ظهره بانحسار أمر فارس عن العرب فيما بين الحيرة ودجلة، وكان أهل فارس في هذه الفترة على خلاف شديد فيمن يولونه عليهم بعد موت كسراهم أزدشير، فانتهز خالد هذه الفرصة وكتب إلى خاصتهم يقول: من خالد بن الوليد إلى ملوك فارس: أما بعد فالحمد لله الذي حل نظامكم، ووهن كيدكم، وفرق كلمتكم، وأوهن بأسكم، وسلب أموالكم، وأزال عزكم، فإذا أتاكم كتابي فأسلموا تسلموا، أو اعتقدوا منا الذمة، وأجيبوا إلى الجزية، وإلا والله الذي لا إله إلا هو لأسيرن إليكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة، ويرغبون في الآخرة كما ترغبون في الدنيا(2)، وكتب إلى عامتهم فقال: من خالد بن الوليد إلى مرازبة أهل فارس: الحمد لله الذي فض خدمتكم، وفرق جمعكم، وأوهن بأسكم، وسلب أموالكم، وأزال عزكم، فإذا أتاكم كتابي فأسلموا تسلموا، أو اعتقدوا منا الذمة، وأجيبوا إلى الجزية، وإلا والله الذي لا إله إلا هو لأسيرن إليكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة، ويرغبون في الآخرة كما ترغبون في الدنيا(3).

وبفتح الحيرة تحقق شطر من أمل أبي بكر ◄ في فتح العراق وإخضاعه تمهيداً لغزو فارس في عقر دارهم، وقد قام خالد بن الوليد ◄ بمهمته في ذلك خير قيام ووصل إلى الحيرة في وقت قياسي حيث بدأ صراعه مع الأعداء في شهر محرم من العام الثاني عشر في معركة الكاظمة، وانتهى من فتح الحيرة في شهر ربيع الأول من العام نفسه(4).

● <u>كرامة لخالد بن الوليد في فتح الحيرة:</u>

وقد أخرج الإمام الطبري بإسناده ... وكان مع ابن بُقَيْلة(5)، مَنْصَف له(6) فعلق كيساً في حقوه، فتناول خالد الكيس ونثر مافيه في راحته، فقال: ماهذا ياعمرو؟ قال: هذا وأمانة الله سمُّ ساعة، قال: لم تحتقب السم؟ قال: خشيت أن تكونوا على غير مارأيت، وقد أتيت على أجلي، والموت أحب

---

(1) أبوبكر الصديق، خالد الجنابي، نزار الحديثي، ص51،52.

(2) تاريخ الطبري (186/4).

(3) نفس المصدر (186/4).

(4) التاريخ الاسلامي (150/9).

(5) يعني عمرو بن عبدالمسيح وهو سيد قومه.

(6) يعني خادم.

إلي من مكروه أدخله على قومي وأهل قريتي، فقال خالد: إنها لن تموت نفس حتى تأتي على أجلها، وقال: بسم الله خير الأسماء، رب الأرض ورب السماء، الذي ليس يضر مع اسمه داء الرحمن الرحيم، فأهووا إليه يمنعوه منه، وبادرهم فابتلعه، فقال عمرو: والله يامعشر العرب لتملكن ماأردتم مادام منكم أحد أيها القَرْن(1)، وأقبل على أهل الحيرة فقال: لم أرَ كاليوم أوضح إقبالا(2) وقد ذكر هذه الرواية الحافظ بن كثير ولم يضعفها(3)، وذكرها الحافظ ابن حجر وقال: رواه أبو يعلى ورواه ابن سعد من طريقين آخرين ولم يضعفها(4)، وذكرها ابن تيمية مثالا من أمثلة الكرامات(5) وقد أنكر بعض الكتاب المعاصرين هذا الخبر، واعتبروه من نسج خيال بعض الرواة حول شخصية خالد، وقد ثبتت هذه الرواية من ناحية الإسناد، فقد ارتضاها الطبري، وابن سعد، وابن كثير، وابن حجر وابن تيمية ولم يضعفوا إسنادها، وهم أعلم وأنصف في علم التاريخ الإسلامي من الكتّاب المعاصرين.

إن خالد ◀ عندما أقدم على شرب السم كان في قمة اليقين والإيمان بأن الله جل جلاله هو الذي خلق كل شئ وأودع في كل شئ خصائصه، وأنه القادر على أن يلغي مفعول هذه الخصائص إذا أراد، لحكمة عالية وهدف عظيم، كما أذهب فعالية النار حينما ألقي فيها إبراهيم عليه السلام، وجعلها عليه برداً وسلاماً، وقد حصل ذلك لغير الأنبياء عليهم السلام كما حصل لأبي مسلم الخولاني لما رفض أن يقر بنبوة الأسود العنسي الكذاب فألقاه في النار فوجدوه فيها قائماً يصلي ولم تضره(6)، كما أن خالداً حينما أقدم على ذلك لم يخالج قلبه ذرة من إرادة حظ النفس وكسب السمعة والجاه، لأنه لو نوى شيئاً من ذلك لعلم أن الله تعالى سيتخلى عنه، وهو لاحول له ولاقوة على انتزاع أثر السم الضار، وهذه تجربة فذة لايُطلب من أي مسلم أن يخوضها ولو كان هدفه نفس الهدف الذي رمى إليه خالد، لأنه يندر أن يوجد من يبلغ إيمانه وثقته بالله تعالى إلى المستوى الذي بلغ إليه خالد ◀ وأرضاه(7)، هذا وقد صلى خالد عندما فتح الحيرة ثماني ركعات بتسليمة واحدة(8).

- <u>من أدب الفتوحات العراقية:</u>

---

(1) يعني أهل الجيل المعاصر.

(2) تاريخ الطبري (180/4).

(3) البداية والنهاية (251/6).

(4) الإصابة لابن حجر (218/2) رقم 2206.

(5) الفتاوى (154/11).

(6) التاريخ الاسلامي (153/9).

(7) نفس المصدر (154/9).

(8) البداية والنهاية (352/4).

ومما قاله القعقاع بن عمرو في فتح الحيرة:

سقى الله قتلى بالفرات مُقيمةً
وأخرى بأثباج النجَاف الكوانف(1)
ونحن وطئنا بالكواظم هرمزاً
وبالثني قَرْنيَ قارن بالجوارف
ويوم أحطنا بالقصور تتابعت
على الحيرة الروحاء إحدى المصارف
حططناهم منها وقد كان عرشهم
يميل بِهُمْ فعل الجبان المخالف
رمينا عليهم بالقبول وقد رأوا
غبوقَ المنايا حول تلك المحارف(2)
صبيحة قالوا نحن قوم تنزَّلوا
إلى الرِّيف من أرض العريب المقانِف(3)

6-فتح الأنبار (ذات العيون)

استقام الأمر لخالد في تلك الجهات فاستخلف على الحيرة القعقاع بن عمرو التميمي، واتجه بتعبئة لإغاثة عياض بن غنم الذي أرسله الصديق لفتح العراق من الشمال ويلتقي بخالد، وصل خالد إلى الأنبار فوجد القوم قد تحصنوا وخندقوا على أنفسهم وأشرفوا من أعالي الحصون(4)، فضرب المسلمون عليهم الحصار وامر خالد جنوده أن يصوبوا إلى عيون أهل الأنبار فلما نشب القتال أصابوا في أول رمية الف عين من عيونهم ولذلك سميت هذه الوقعة ذات العيون(5)، واخترق خالد الخندق الذي حول الأنبار بفطنة وذكاء حيث عمد إلى الضعاف من الإبل بجيشه فنحرها، وملأ الخندق في أضيق نقطة فيها بجثث الإبل، واقتحم المسلمون الخندق وجسرهم جثث الإبل، وصاروا مع عدوهم داخل الخندق، فالتجأ العدو إلى الحصن(6)، واضطر شيراز قائد جند الفرس إلى قبول الصلح بشروط خالد على أن

---

(1) اثباج النجاف: اوسطها، والنجاف: اسم موضع.

(2) غبوق المنايا: سوادها وظلمتها. المحارف: الاماكن: حرف الشيء حده وجانبه.

(3) المقانف: المتشقق طينه، أو الأرض الغليظة.

(4) تاريخ الدعوة الى الاسلام، ص350.

(5) البداية والنهاية (353/6).

(6) تاريخ الدعوة الى الاسلام، ص350.

يخرج من الأنبار في عدد من الفرسان يحرسونه فقبل خالد منه ذلك بشرط ألا يأخذ معه المتاع أو من الأموال شيئاً(1).

وتعلم الصحابة ممن بها من العرب الكتابة العربية، وكان أولئك العرب قد تعلموها من عرب قبلهم وهم بنو إياد، كانوا بها في زمان بختنصر حين أباح العراق للعرب، وأنشدوا خالداً قول بعض إياد يمتدح قومه:

قومي إياد أنهم أمم

أولو أقاموا فَتُهزَلَ النعم

قوم لهم باحة العراق إذا

ساروا جميعاً واللوح والقلم(2)

7-عين التمر:

استخلف خالد الزبرقان بن بدر على الأنبار وسار إلى عين التمر فوجد عقة بن أبي عقة في جمع عظيم من التمر وتغلب وإياد ومن حالفهم ومعهم من الفرس مهران بقواته(3)، وطلب عقة من مهران أن يتركه لقتال خالد وقال له: إن العرب أعلم بقتال العرب، فدعنا وخالداً، فقال له: دونكم وإياهم، وإن احتجتم إلينا أعناكم، فلامت العجم أميرهم على هذا، فقال: دعوهم فإن غلبوا خالداً فهو لكم، وإن غلبوا قاتلنا خالداً، وقد ضعفوا ونحن أقوياء، فاعترفوا له بفضل الرأي عليهم، وسار خالد وتلقاه عقة فلما تواجهوا قال خالد لمجنبته: احفظوا مكانكم فأني حامل، وأمر حماته، أن يكونوا من ورائه، وحمل على عقة وهو يسوي الصفوف فاحتضنه وأسره وانهزم جيش عقة من غير قتال فأكثروا فيهم الأسر وقصد خالد حصن عين التمر، فلما بلغ مهران هزيمة عقة وجيشه نزل من الحصن وهرب وتركه، ورجعت فلال نصارى الأعراب إلى الحصن فوجدوه مفتوحاً فدخلوه واحتموا به، فجاء خالد وأحاط بهم وحاصرهم أشد الحصار، واضطر أهل الحصن أن ينزلوا على حكم خالد، فأمر بضرب عنق عقة ومن كان أسر معه والذين نزلوا على حكمه أجمعين وغنم جميع مافي ذلك الحصن، ووجد في الكنيسة التي به أربعين غلاماً يتعلمون الانجيل وعليهم باب مغلق، فكسره خالد وفرقهم في الأمراء وأهل الغناء، وكان حمران مولى عثمان بن عفان من ذلك الخمس، ومنهم سيرين والد محمد بن سيرين أخذه مالك بن أنس، وأرسل خالد الخمس إلى الصديق ثم أرسل أبو بكر الوليد بن عقبة إلى عياض مدداً له وهو محاصر دومة الجندل فلما قدم عليه وجده في ناحية من العراق يحاصر قوماً، وهم قد أخذوا عليه الطرق

---

(1) تاريخ الطبري (191/4).

(2) البداية والنهاية (353/6).

(3) نفس المصدر (354/6).

فهو محصور أيضاً، فقال عياض للوليد: ان بعض الرأي خير من جيش كثيف، ماذا ترى فيما نحن فيه؟ فقال له الوليد، اكتب إلى خالد يمدك بجيش من عنده، فكتب إليه يستمده فقدم كتابه على خالد عقب وقعة عين التمر وهو يستغيث به، فكتب إليه: من خالد إلى عياض، إياك أريد.

لَبِثْ قليلاً تأتِكَ الحلائب(1) يحملن آساداً عليها القشائب(2)، كتائب تتبعها كتائب(3).

8-دومة الجندل:

رحل خالد بجنده من عين التمر بعد أن خلف عليها عويم بن كاهل الاسلمي ووصلت أنباؤه إلى أهل دومة الجندل فاستنجدوا بحلفائهم من قبائل بهراء وكلب وغسان وتنوخ(4)، وكان أمر أهل دومة الجندل إلى زعيمين هما: أكيدر بن عبدالملك والجودي بن ربيعة، فاختلفا فقال أكيدر: أنا أعلم الناس بخالد، لاأحد أيْمنُ طائراً منه، ولاأحد في حرب، ولايرى وجه خالد قوم أبداً قلوا أو كثروا إلا انهزموا عنه، فأطيعوني وصالحوا القوم، فأبوا عليه، فقال: لن أمالئكم على حرب خالد فشأنكم(5).

وهذه شهادة خصم في خالد والحق ماشهدت به الأعداء وقد كان خالد أسره قبل ذلك حينما أرسله إليه رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فأخذه وأتى به إلى النبي ﷺ فمنَّ عليه وكتب له كتاب عهد، ولكنه خان العهد بعد ذلك، ولقد بقي الرعب في نفسه منذ يوم أسره خالد إلى جانب سمعته الشهيرة في حروبه مع العرب والعجم، وخرج أكيدر مفارقاً قومه، وبلغ خالداً خبره وهو في طريقه إلى (دومة) فأرسل إليه عاصم بن عمرو معارضاً له فأخذه، فقال: إنما تلقيت الأمير خالدا، ولكن خيانته السابقة جعلت خالد ينفذ فيه حكم الإعدام وهكذا قتله الله بخيانته ونقضه العهد، ولم يُغن الحذر من القدر(6).

ونزل خالد على دومة الجندل وجعل أهلها ومشايعيهم من بهراء وكلب وتنوخ بين فكي (كماشة) ذراعها الأول عسكره، والثانية عسكر عياض بن غنم(7) وتقدم الجودي بن ربيعة بجنوده نحو خالد وتقدم ابن الحدرجان وابن الأيهم بجنودهما ناحية عياض ودارت المعركة وأنزل خالد الهزيمة بالجودي واتباعه وانتزع عياض النصر من ابن الحدرجان ومن معه بصعوبة وحاولت فلول المنهزمين الاحتماء

---

(1) الحلائب: مايحمل عليه من دواب.

(2) القشائب: السموم جمع قشب.

(3) البداية والنهاية (354/6).

(4) نفس المصدر (354/6).

(5) البداية والنهاية (355/6)؛ تاريخ الطبري (195/4).

(6) التاريخ الاسلامي (163/9).

(7) خالد بن الوليد، صادق عرجون، ص231.

بالحصن ولكنه كان قد عج بمن فيه فاغلقوه عليهم وتركوا اصحابهم حوله في العراء ولم يلبث خالد أن هاجم من بداخل الحصن بعد أن اقتلع بابه فقتل منهم جموعاً كثيرة(1) وبفتح دومة الجندل اصبح للمسلمين موقع استراتيجي ذو اهمية فريدة لأن دومة الجندل تقع على ملتقى الطرق الى ثلاث جهات فشبه الجزيرة العربية من الجنوب والعراق من الشمال الشرقي، والشام من الشمال الغربي ومن الطبيعي أن تنال هذه المدينة مثل هذه العناية من الخليفة ابي بكر الصديق ◀ وجنوده تقاتل بالعراق وتقف على تخوم الشام وتلك هي العلة في ان عياضاً لم يبرحها بل ظل مرابطاً امامها إلى أن خف اليه خالد ولو ان دومة الجندل لم تذعن للمسلمين لبقي امرهم في العراق تحفه المخاطر(2).

وبذلك استطاع خالد أن يعين عياضاً على فتح دومة الجندل ولئن كانت حروب خالد ◀ في جنوب العراق مثالا للبراعة في الهجوم السريع واغتنام الفرص وإثارة الرعب لدى الأعداء فإن ثبات عياض ◀ هذه المدة الطويلة في وجه أعداء قد تكالبوا عليه من كل مكان دليل على تمتع الجيش الإسلامي أيضاً بالصبروالمصابرة وطول الأمل والثقة بنصر الله تعالى في النهاية، وكان عياض ◀ من أفاضل المهاجرين، ومن سادات قريش، وكان سمحاً جواداً وقد وثق به الخلفاء وولاتهم بعد ذلك، فكان أحد قادة اليرموك، وكان على مقدمة جيش أبي عبيدة ثم فتح بعد ذلك الجزيرة بأكملها وهي المناطق التي بين الشام والعراق، واستخلفه أبو عبيدة ◀ على الشام لما حانت وفاته، فأقره عمر ◀ على الشام إلى أن احتاج إليه في الفتوح فوجهه إليها(3).

9-وقعة الحصيد(4):

أمر خالد الأقرع بن حابس بالرجوع إلى الأنبار وأقام بدومة الجندل فكانت اقامته مدعاة لطمع الأعاجم وظنهم به الظنون وكذلك ظنها عرب المنطقة فرصة فكاتبوا الأعاجم ليكونوا معهم على خالد غضبا لعقة الذي لم ينسوا مصرعه بعد فخرج رزمهر من بغداد ومعه روزبة يريدان الأنبار وتواعدوا في الحصيد والخنافس فوصل خبرهم الزبرقان بن بدر وهو على الأنبار فاستمد القعقاع بن عمرو خليفة خالد على الحيرة فأمده باعْبد بن فدكي السعدي (أبو ليلى) وأمره بالحصيد وبعروة بن الجعد البارقي وأمره بالخنافس، وعندما علم خالد بتحرك بعض القبائل ورغبتهم بالانضمام إلى روزبة في الحصيد جعل القعقاع اميراً على الناس في الحصيد بعد ان ترك مكانه عياض بن غنم على الحيرة فلما علم روزبة بتوجه

---

(1) تاريخ الطبري (196/4)؛ ابوبكر الصديق، خالد الجنابي، ص54.

(2) ابوبكر الصديق، نزار الحديثي، خالد الجنابي، ص54.

(3) التاريخ الاسلامي (164/9).

(4) الحصيد: موضع في اطراف العراق من جهة الجزيرة.

القعقاع إليه استمد رزمهر فانضم إليه، والتقى المسلمون بجموع الفرس وقتلوا منهم مقتلة عظيمة من بينهم رزمهر وروزبة وغنموا غنائم كثيرة(1)، وقد قال القعقاع بن عمرو في هذه المعركة:

ألا أبلغا اسماء أن حليلها

قضى وطراً من روزمهر الأعاجم

غدا صبحنا في حصيد جموعهم

لهندية تفري فراخ الجماجم(2)

10-وقعة المصيخ:

بعد أن وصلت أخبار المسلمين في الحصيد إلى خالد واعد قادة جيوشه في ليلة وساعة يجتمعون فيها عند المُصيَّخ قرب حورات فلما توافوا في موعدهم بيتوا بعض القبائل ومن آوى إليهم من ثلاثة أوجه فاوقع بهم خسائر كبيرة(3)، ثم علم خالد بتحشد بعض القبائل في (المثنى) وهو موضع قرب الرقة و (الزُميّل) في ديار بكر استعداداً لقتال المسلمين فباغتهم في (المثنى) من عدة اتجاهات فشتت جموعهم وكذلك هاجم المتحشدين في (الزميّل) فأوقع بهم خسائر هائلة(4).

يقول عدي بن حاتم: انتهينا في هذه الغارة إلى رجل يقال له حرقوص بن النعمان النمري، وحوله بنوه وبناته وامرأته، وقد وضع لهم جفنة من الخمر وهم يقولون: أحد يشرب هذه الساعة وهذه جيوش خالد قد أقبلت؟ فقال لهم: اشربوا شرب وداع فما أرى أن تشربوا خمراً بعدها، فشربوا وجعل يقول:

ألا فاشربوا من قبل قاصمة الظهر

بعيد انتفاخ القوم بالعكر الدثر

وقبل منايانا المصيبة بالقدر

لحين لعمري لايزيد ولايجري(5)

فسبق إليه وهو في ذلك في بعض الخيل، فضرب رأسه، فإذا هو في جفنته، وأخذنا بناته وقتلنا بنيه(6).

وقد قتل في هذه المعركة رجلان كانا قد أسلما ومعهما كتاب من الصديق بالأمان ولم يعلم بذلك

---

(1) البداية والنهاية (355/6).

(2) الكامل في التاريخ (59/2).

(3) ابوبكر الصديق، خالد الجنابي، نزار الحديثي، ص55.

(4) تاريخ الطبري (199/4،200).

(5) تاريخ الطبري (199/4).

(6) نفس المصدر (199/4).

المسلمون، فلما بلغ خبرهما الصديق وداهما وبعث بالوصاة بأولادهما وقال فيهما الصديق: كذلك يلقى من يساكن أهل الحرب في ديارهم، أي الذنب لهما في مجاورتهما المشركين(1).

11-وقعة الفراض:

بعد أن بسط خالد راية الإسلام على العراق واستسلمت له قبائل العرب قصد الفراض وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة حتى يحفظ ظهره ويأمن من أن تكون وراءه عورة عند اجتيازه ارض السواد إلى فارس فلما اجتمع المسلمون بالفراض غضب الروم وهاجوا واستعانوا بمن يليهم من مسالح الفرس فلبسوا سراعاً لأنهم كانوا حانقين على المسلمين الذين أذلوهم وكسروا شوكتهم كما استمدوا العرب من تغلب واياد والنمر فأمدوهم لأنهم لم ينسوا بعد مصرع رؤسائهم وأشرافهم فاجتمعت جيوش الفرس والروم والعرب على المسلمين في تلك الموقعة فلما بلغوا الفرات قالوا للمسلمين: إما أن تعبروا الينا، أو نعبر إليكم، فقال خالد: اعبروا، قالوا: فتنحوا حتى نعبر فقال خالد: لانفعل، ولكن اعبروا أسفل منا. وذلك للنصف من ذي القعدة سنة اثنتي عشرة. فقالت الروم وفارس بعضهم لبعض احتسبوا ملككم، هذا رجل يقاتل على دين، وله عقل وعلم، ووالله لينصرن ولنخذلن، ثم لم ينتفعوا بذلك، فعبروا أسفل من خالد، فلما تتاموا قالت الروم: امتازوا حتى نعرف اليوم ماكان من حسن أو قبيح، من أينا يجئ! ففعلوا فاقتتلوا قتالاً شديداً طويلاً، ثم إن الله عزوجل هزمهم، وقال خالد للمسلمين: ألحوا عليهم ولاترفهوا عنهم، فجعل صاحب الخيل يحشر منهم الزمرة برماح أصحابه فإذا جمعوهم قتلوهم، وقتل من الأعداء عشرات الألوف وأقام خالد في الفراض عشرة أيام ثم أمر بالرجوع للحيرة(2).

وهكذا واجه المسلمون لأول مرة جيشاً مكوناً من الفرس الذين يمثلون دولة المشرق العظمى، والروم الذين يمثلون دولة المغرب العظمى، والعرب الموالين لهؤلاء وهؤلاء ومع ذلك انتصر المسلمون عليهم انتصاراً ساحقاً، ولاشك أن هذه المعركة تعتبر من المعارك التاريخية الفاصلة-وإن لم تَنَلْ من الشهرة مانالته المعارك الكبرى لأنها حطمت معنويات الكفار على مختلف انتماءاتهم حيث هزموا جميعاً، وهذه المعركة تعتبر خاتمة المعارك التي خاضها سيف الله المسلول خالد بن الوليد ◄ في العراق(3)، وانكسرت شوكة الفرس بعد هذه المعركة ولم تقم لهم قوة حربية يخشاها الإسلام بعد هذه الموقعة(4).

ومما قاله القعقاع بعد عمرو في هذه المعركة:

لقينا بالفراض جموع روم
وفرس غَمّها طول السلام

---

(1) البداية والنهاية (356/6).
(2) تاريخ الطبري (201/4).
(3) التاريخ الاسلامي (173/9).
(4) خالد بن الوليد، عرجون، ص36.

أبدنا جمعهم لما التقينا

وبيتنا بجمع بني رزام

فما فتئت جنود السلم حتى

رأينا القوم كالغنم السَّوام(1)

ثالثاً: حجة خالد وأمر الصديق له بالخروج إلى الشام واستلام المثنى لقيادة جيوش العراق:

1-حجة خالد: (12هـ) وأمر الصديق له بالخروج إلى الشام:

أقام خالد بالفراض عشرة أيام، ثم أذن بالقفول إلى الحيرة، لخمس بقين من ذي القعدة، وأمر عاصم بن عمرو أن يسير في المقدمة، وأمر شَجَرة بن الأعزّ أن يسير في الساقة، وأظهر خالد أنه يسير في الساقة ثم انطلق في كوكبة من أصحابه، وقصد شطر المسجد الحرام، وسار إلى مكة في طريق لم يُسْلك قبله قط، وتأتىّ له في ذلك أمر لم يقع لغيره، فجعل يسير معتسفاً على غير جادّة، حتى انتهى إلى مكة فأدرك الحج هذه السنة (12هـ) ثم عاد فأدرك أمر الساقة قبل أن يصلوا الحيرة، ولم يعلم أبو بكر الصديق بذلك ايضاً إلا بعدما رجع أهل الحج من الموسم، فبعث يعتب عليه في مفارقته الجيش(2)، وأمره بالذهاب إلى الشام وجاء في خطاب الصديق لخالد: أن سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك، فإنهم قد شجوا وأشجوا، وإياك أن تعود لمثل مافعلت، فإنه لم يشج الجموع من الناس بعون الله شجاك ولم ينزع الشجى من الناس نزعك، فليهنئك أبا سليمان النية والحظوة، فأتمم يتم الله لك، ولايدخلنك عجب فتخسر وتخذل، وإياك أن تدل بعمل، فإن الله له المن وهو ولي الجزاء(3).

هذا الخطاب الجليل من الخليفة الحكيم ◄ يصور مدى حرص الصديق ◄ على القواد الناجحين فيمدهم بالمشورة والنصائح التي تأخذ بيدهم إلى الفوز والتمكين بفضل الله:

أ-يأمر الصديق ◄ سيف الله خالد أن يترك العراق ويتوجه إلى الشام لعل الله يفتح على يديه هذا الموقع.

ب-ينصحه ألا يعود في مثل ماحدث في حجه بدون إذن من الخليفة.

ج-يأمره أن يسدد ويقارب ويجتهد مخلصاً النية لله وحده.

هـ-يحذره من العجب بالنفس والزهو والفخر فذلك حظ النفس الذي يفسد العمل على العامل ويرده في وجهه، كما يحذره أن يدل ويمن على الله بالعمل الذي يعمله فإن الله هو المان به إذ التوفيق

---

(1) معارك خالد بن الوليد ضد الفرس، عبدالجبار السامرائي، ص123.

(2) البداية والنهاية (357/6).

(3) تاريخ الطبري (202/4).

بيده سبحانه(1).

هذا وقد ظهرت في معارك العراق مقدرة الجيوش الإسلامية على تطبيق مبادئ الحرب من مباغتة وصد الهجوم وتثبيت الأعداء، وحشد القوة، وإدامة المعنويات، وجمع المعلومات ورسم الخطط وتنفيذها بكل قوة ودقة واحتياط منقطع النظير فهو لم يذهب إلى الشام لمجاهدة الروم إلا بعد خبرة واسعة في فتوحات العراق، وكان المرشح للبقاء على جيوش العراق بعد سفر خالد المثنى بن حارثة الشيباني لخبرته الواسعة بأرض العراق، ومهارته الفائقة في حرب الفرس ويظهر للباحث أن الخطط التي وضعها خالد في حروب العراق كانت تعتمد على الله ثم على جمع المعلومات الدقيقة التي تدل على نشاط مخابراته واستكشافاته في الميدان والذي يبدو أن هذه المخابرات قد قام بتنظيمها القائد الفذ (المثنى بن حارثة الشيباني) ليس فقط لألمعيته وقدرته الفائقة على التنظيم وإنما لمعايشته للمنطقة، فهو ينتمي إلى (بني شيبان) من (بكر بن وائل) الذين كانت منازلهم بتخوم العراق وحوض الفرات التي تمتد شمالاً إلى (هيت) فكانوا بحكم مساكنهم واتصالاتهم، مؤهلين لأن يكونوا عيوناً (مخابرات). فما وجدنا تحركاً لجيش من جيوش الفرس إلا وكان خبر ذلك التحرك منذ بدئه على لسان (المثنى) في الوقت المناسب، وما من شاردة ولاواردة تحدث في بلاط الفرس إلا وكان (المثنى) على علم بها في حينها(2).

وكان في خطاب الصديق إلى خالد: دع العراق، وأخلف فيه أهله الذي قدمت عليهم، ثم امضي مخففا في أهل قوة من أصحابنا الذين قدموا معك العراق من اليمامة، وصحبوك في الطريق وقدموا عليك من الحجاز، ثم تأتي الشام، فتلقى أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين، وإذا التقيتم فأنت أمير الجماعة، والسلام عليك ورحمة الله(3) وتهيأ خالد للسير إلى الشام، وقسم خالد الجند نصفين: نصفاً يسير به إلى الشام ونصفاً للمثنى، ولكنه جعل الصحابة جميعاً من نصيبه، فقال له المثنى: والله لأقيم إلا على إنفاذ أمر أبي بكر كله في استصحاب نصف الصحابة، وإبقاء النصف، فوالله ماأرجو النصر إلا بهم، فأنت تعريني منهم، وكان خطاب الصديق قد وصل إلى خالد قبل سفره يأمره فيه بمن يأخذ من الجند، ومن يدعهم للمثنى، قال: ياخالد لاتأخذ مجّداً إلا خلفت لهم مجّداً، فإذا فتح الله عليك فارددهم إلى العراق وأنت معهم، ثم أنت على عملك(4).

فما زال خالد يسترضي المثنى ويعوضه عن الصحابة بمقاتلين من سادة أقوامهم من أهل البأس،

---

(1) تاريخ الدعوة الى الاسلام، ص295.

(2) معارك خالد بن الوليد ضد الفرس، ص143.

(3) الصديق أول الخلفاء، ص169.

(4) الصديق أول الخلفاء، ص170.

وممن عرفوا بالشجاعة والصبر، وشدة المراس، فرضي المثنى آخر الأمر(1) وحشد خالد جنوده وانطلق ليعبر إلى الشام صحارى رهيبة، غائبة النواحي مترامية الآفاق، كأنما هي التيه وسأل الأدلاّء: كيف لي بطريق أخرج فيه من وراء جموع الروم؟ فإني إن استقبلتها حبستني عن غياث المسلمين! قالوا له: لانعرف إلا طريقاً لايحمل الجيوش، فوالله إن الراكب المفرد ليخافه على نفسه! إنك لن تطيق ذلك الطريق بالخيل والأثقال، إنها لخمس ليال لايُصاب فيها ماء.

قال خالد: إنه لابد من ذلك لأخرج من وراء جموع الروم. وعزم خالد على سلوك هذا الطريق، مهما تكن مخاطره، فكم فاز باللذة الجسور، فنصحه رافع ابن عمير أن يستكثر من الماء، فلا ماء حتى يجتاز ذلك الطريق، فأمر خالد جنوده أن يخزنوا الماء في بطون الإبل العطاش، ثم يشدوا مشافرها لكيلا تجتر، فتستنزف الماء(2)، وقال لرجاله: إن المسلم لاينبغي أن يكترث بشيء يقع فيه مع معونة الله له(3).

وسار به الدليل رافع بن عمير في طريق تمتاز بوعورتها وقلة مائها وضياع معالمها وقلة سكانها ولاسيما الجزء الممتد بين قراقر وسوى(4) إلا انها اقصر الطرق فاوضح خالد لجنده الاعتبارات التي تجعله يفضل سلوك هذا الطريق على غيره وهي السرعة والسرية والمباغتة، وكان رافع قد طلب من خالد أن يهيئ عشرين ناقة كبيرة فأعطاه ماأراد فمنع عنها الماء أياماً حتى عطشت ثم أوردها اياه فملأت جوفها فقطع مشافرها وكممها فلا تجتر ثم قال لخالد: سر الآن بالخيول والاثقال وكلما نزلت منزلا نحرت من تلك الإبل وشرب الناس مما تزودوا فسار الجيش من قراقر وهي آخر قرى العراق على حدود الصحراء إلى سول وهي اوائل قرى الشام والمسافة بينهما خمس ليال يستريحون بالنهار ويسيرون بالليل واعتمد خالد على رافع بن عمير دليلاً بعد ان وثق به، ومن صحة دلالته، واختار محرز المحاربي لحذقه في الدلالة على النجوم لذلك كان مسيرهم ليلاً وصباحاً مع تحاشي السير عند ارتفاع النهار والظهيرة لقطع مرحلتين في اليوم الواحد، ولم يترك خالد احداً من جنده يسير راجلاً وانما اركب الجند الابل للمحافظة على قابليتهم البدنية، وسار خالد في الطريق وكلما نزل منزلاً نحر عدداً من النوق فأخذ مافي اكراشها فسقاه الخيل ثم شرب الناس مما حملوا من الماء فلما كان اليوم الخامس نفذ الماء فخاف خالد على اصحابه من العطش وقال لرافع وهو ارمد: ماعندك فطلب رافع من الناس ان يبحثوا عن شجرة

---

(1) نفس المصدر، ص170.

(2) الصديق أول الخلفاء ، ص171.

(3) الحرب النفسية، د. احمد نوفل (155/2).

(4) القراقر: ماء الكلب في بادية السماوة، وسوى ماء الهراء في بادية السماوة. (ياقوت، المعجم، 271/3، 317/4).

عوسج صغيرة في تلك المنطقة فلم يجدوا إلا جزءاً صغيراً من ساقها فأمر رافع أن يحفروا هناك فحفروا فظهرت عين للماء فشربوا حتى روى الناس فاتصلت بعد ذلك لخالد المنازل(1)، وقد قال بعض العرب لخالد في هذا المسير: إن أنت أصبحت عند الشجرة الفلانية نجوت أنت ومن معك، وإن لم تدركها هلكت أنت ومن معك، فسار خالد بمن معه وسروا سروة عظيمة فأصبحوا عندها، فقال خالد: عند الصباح يحمد القوم السرى، فأرسلها مثلاً وهو أول من قالها ◄(2).

وقد قال رجل من المسلمين في مسيرهم هذا مع خالد:

لله عينا رافعٍ أنّى اهتدى

فَوّزَ من قراقرٍ إلى نوى

خمساً إذا ماسارها الجيش بكى

ماسارها قبلك إنسيٌّ أرى(3)

وهذه القصة تدل على أن القائد المحنك لايبالي بالأخطار وانه اعمل الحيلة في سبيل الحصول على الماء لقطع الصحراء حتى وصل إلى غرضه. وفي اليوم الخامس وصل جيش خالد إلى سوى وهو اول تخوم الشام تاركاً وراءه حاميات الروم على الطرق الرئيسة العامة تواجه العراق وكانت حركته في قطع الصحراء بخمسة أيام اعجوبة من اعاجيب المخاطرة المحسوبة ذللتها ارادة القائد وايمانه واقدامه(4).

وصل خالد إلى (أدك) وهي أول حدود الشام فأغار على اهلها وحاصرهم فحررها صلحاً ثم نزل تدمر فامتنع اهلها وتحصنوا ثم طلبوا الامان فصالحهم وواصل سيره فأتى (القريتين) فقاتله اهلها فظفر بهم ثم قصد (حوارين) وصار إلى موضع يعرف بالثنية فنشر رايته وهي كانت لرسول الله ﷺ تسمى العقاب فسمى ذلك الموضع بثنية العقاب(5)، ولما مر بعذراء أباحها وغنم لغسان أمولاً عظيمة وخرج من شرقي دمشق، ثم سار حتى وصل إلى قناة بصرى فوجد الصحابة تحاربها فصالحه صاحبها وسلمها إليه، فكانت أول مدينة فتحت من الشام ولله الحمد، وبعث خالد بأخماس ماغنم من غسان مع بلال بن الحرث المزني إلى الصديق ثم سار خالد وأبو عبيدة ومرثد وشرحبيل إلى عمرو بن العاص –وقد

---

(1) ابوبكر الصديق، نزار الحديثي وخالد الجنابي، ص68.

(2) البداية والنهاية (7/7).

(3) نفس المصدر (7/7).

(4) معركة اليرموك، اللواء خليل سعيد. بحث مقدم الى ندوة الفكر العسكري العربي نقلاً عن ابي بكر الصديق ، خالد الجنابي، ص68.

(5) ابوبكر الصديق، د. نزار الحديثي، خالد الجنابي، ص68.

قصده الروم بأرض العربا من المعور- فكانت واقعة اجنادين(1).

وهكذا نجح خالد بن الوليد في الوصول إلى الشام لمساندة الجيوش الإسلامية بعد مغامرة ومباغتة فذة في التاريخ العسكري الإنساني يقول اللواء محمود شيت خطاب عن ذلك: ... وعبور خالد للصحراء من الطريق الخطر مباغتة فذة في التاريخ العسكري لا اعرف لها مثيلا، ولست اعتقد ان عبور هانيبال للألب وعبور نابليون للألب أيضاً، ولاتفويز نابليون من صحراء سيناء أو قطع الجيش البريطاني لهذه الصحراء في الحرب العالمية الأولى يمكن أن تعتبر شيئاً إلى جانب مغامرة خالد، لأن عبور الجبال اسهل بكثير من عبور الصحراء لتيسر الماء في الجبال وعدم تيسره في الصحراء ولأن صحراء سيناء فيها كثير من الآبار والأماكن المأهولة وعدم تيسر ذلك في الصحراء التي قطعها خالد، فكان نجاح خالد في عبور الصحراء مباغتة كاملة للروم لم يكونوا يتوقعوها بتاتا(2)، مما جعل حاميات المدن والمواقع التي صادفته في طريقه بين العراق وأرض الشام تستسلم لقوته بعد قتال طفيف أو بدون قتال لأنها لم تكن تتوقع أبداً ان تلاقي قوة جسيمة من المسلمين تظهر عليهم من هذا الاتجاه في هذا الوقت بالذات(3).

لقد تأثر القادة العسكريون على مرّ التاريخ وتوالي الأزمان بالعبقرية العسكرية الخالدية حتى قال عنه الجنرال الألماني (فون درغولتيس) مؤلف كتاب الأمة المسلحة قائد احدى الجبهات التركية الألمانية في خلال الحرب العالمية الأولى (انه أستاذي في فن الحرب)(4).

2-خبر المثنى بن حارثة بالعراق بعد ذهاب خالد:

كان المثنى شجاعاً مقداماً، شهماً غيوراً، وكان ميمون النقيبة، حسن الرأي، وكان راسخ العقيدة قوي الإيمان شديد الثقة بالله، بعيد النظر، يؤثر المصلحة العامة على مصلحته الخاصة، وكان يشارك أصحابه في السراء والضراء، وكان يمتلك موهبة أعطاء القرارات الصحيحة السريعة، وكان ذا إرادة قوية ثابتة، يتحمل المسؤولية الكاملة في أخطر الظروف والأحوال، يثق بقواته وتثق به قواته ثقة لاحدود لها، ويحبهم ويحبونه حباً لامزيد عليه ذا شخصية قوية نافذة فهو بحق كما يقول عنه عمر بن الخطاب: مؤمر نفسه(5)، كانت له قابلية فائقة تعينه على أعباء القتال، وله ماض ناصع مجيد، وكان دائماً أول من يهاجم وآخر من ينسحب وكان خبيراً بمناطق العراق جريئاً على الفرس سريع الحركة، واسع الحيلة، وكان أول من اجترأ على الفرس بعد الإسلام وجرأ المسلمون عليهم وأبلى في حروب العراق بلاء لم يبله

---

(1) البداية والنهاية (7/6،7).

(2) قادة فتح العراق والجزيرة، ص193 نقلاً عن الحرب النفسية(2/163).

(3) الحرب النفسية ، د. احمد نوفل (2/162).

(4) معارك خالد بن الوليد ضد الفرس، ص167.

(5) الحرب النفسية (2/164).

أحد وهو الذي رفع معنويات المسلمين وحطم معنويات الفرس(1)، وقد وصف المثنى جنود الفرس فقال: قاتلت العرب والعجم في الجاهلية والإسلام، والله لمائة من العجم في الجاهلية كانوا أشد علي من ألف من العرب، ولمائة من العرب اليوم أشد علي من ألف من العجم، إن الله أذهب بأسهم وأوهن كيدهم، فلا يروعنّكم زهاء ترونه، ولاسواد ولاقسي فج ولانبال طوال، فانهم إذا أعجلوا عنها أو فقدوها كانوا كالبهائم اينما وجهتموها اتجهت(2)، كان تعيين الصديق للمثنى على العراق في محله ويدل على معرفته بأقدار الرجال ومعادنهم، وعندما حان وقت رحيل خالد بجيشه إلى الشام خرج معه المثنى لوداعه ولما حانت لحظة الفراق قال له خالد: ارجع -رحمك الله- إلى سلطانك غير مقصّر ولاوانٍ(3)، واستلم المثنى قيادة العراق بعد خالد، وما أن علم كسرى بذهاب خالد حتى حشد آلاف الجنود بقيادة (هرمز جاذويه) وكتب للمثنى يهدّد ويتوعد فقال: إني قد بعثت إليكم جنداً من وحش أهل فارس، وإنما هم رعاة الدجاج والخنازير ولست أقاتلك إلا بهم(4)، وأجابه المثنى بعقل وفطنة، ولم ينسَ شجاعته في الرد على هذا المجوسي، فكتب يقول في رسالة لكسرى: إنما أنت أحد رجلين، إما با غ، فذلك شرّ لك وخير لنا، وإما كاذب، فأعظم الكذابين عقوبة وفضيحة عند الله وعند الناس الملوك، وأما الذي يدلنا عليه الرأي، فإنكم إنما اضطررتم إليهم، فالحمد لله الذي ردّ كيدكم إلى رعاة الدجاج والخنازير(5) فجزع أهل فارس من هذا الكتاب ولاموا ملكهم على كتابه، واستهجنوا رأيه، وسار المثنى من الحيرة إلى بابل، ولما التقى المثنى وجيشهم بمكان عند عُدوة الصّراة الأولى(6)، اقتتلوا قتالاً شديداً جداً، وأرسل الفرس فيلا بين صفوف الخيل ليفرق خيول المسلمين، فحمل عليه أمير المسلمين المثنى بن حارثة فقتله، وأمر المسلمين فحملوا، فلم تكن إلا هزيمة الفرس فقتلوهم قتلا ذريعاً وغنموا منهم مالا عظيماً، وفرّت الفرس حتى انتهوا إلى المدائن في شر حالة ووجدوا الملك قد مات(7)، وعاد الاضطراب إلى بلاد فارس، وطارد المثنى أعداء الله، حتى بلغ أبواب المدائن ثم كتب إلى أبي بكر بانتصاره على الفرس، واستأذنه في الاستعانة بمن تابوا من أهل الردة، لكن انتظاره طال، وأبطأ عليه أبو بكر في الرد لتشاغله بأهل الشام ومافيه من حروب، فسار المثنى بنفسه إلى الصديق واستناب على

---

(1) نفس المصدر (164/2).

(2) من ذي قار الى القادسية، صالح عماش، ص124 نقلاً عن الحرب النفسية (168/2).

(3) عصر الصحابة، عبدالمنعم الهاشمي، ص189.

(4) الكامل لابن الأثير (73/2).

(5) نفس المصدر (73/2).

(6) الصراة : بالفتح وهو نهر يستمد من الفرات.

(7) البداية والنهاية (18/7).

العراق بشير بن الخصاصية، وعلى المسالح سعيد بن مرة العِجْلي(1) فلما وصل المدينة وجد أبا بكر ◀ على فراش المرض وقد شارف الموت، واستقبله أبو بكر واستمع إليه، واقتنع برأيه، ثم طلب عمر بن الخطاب فجاءه فقال له: اسمع ياعمر ما أقول لك، ثم اعمل به، إني لأرجوا أن أموت من يومي هذا، فإن أنا مت فلا تمسينّ حتى تندب الناس مع المثنى، ولاتشغلنكم مصيبة وإن عظمت عن أمر دينكم ووصية ربكم، وقدر رأيتني متوفَّى رسول الله وماصنعت ولم يُصَب الخلق بمثله... وإن فتح الله على أمراء الشام فاردُد أصحاب خالد إلى العراق فإنهم أهله وولاة أمره وحدّه، وهم أهل الضراوة بهم والجراءة عليهم(2).

---

(1) نفس المصدر (18/7).

(2) الكامل لابن الأثير (74/2).

المبحث الثاني

فتوحات الصديق بالشام

كان اهتمام المسلمين بالشام من زمن النبي ﷺ حيث كتب إلى هرقل عظيم الروم كتابا يدعوه إلى الإسلام وكتب ﷺ إلى الحارث بن أبي شمّر الغساني، ملك غسان بالبلقاء(1) من ارض الشام وعامل قيصر على العرب -يدعوه إلى الإسلام، فأدركته العزة بالإثم، فأراد أن يغزو رسول الله ﷺ، فأتاه أمر من قيصر ينهاه عن ذلك وأرسل ﷺ جيشاً بقيادة زيد بن حارثة فاستشهد في موته هو وجعفر بن أبي طالب وعبدالله بن رواحة وتولى القيادة بعدهم خالد بن الوليد الذي قام بمناورة عسكرية ناجحة تركت أثراً بعيداً في نفوس أهالي تلك المناطق، ونستطيع أن نقول أن النبي ﷺ بتلك الغزوة وضع أسساً وقطع خطوة نحو القضاء على دولة الروم المتجبرة في بلاد الشام وهزّ هيبتها من قلوب العرب وحمّس المسلمين للإستعداد المعنوي والمادي لإتمام بقية الخطوات المباركة، بل قاد غزوة تبوك بنفسه ﷺ ومن خلال الإحتكاك الميداني استطاع المسلمون أن يتعرفوا على حقيقة قوات الروم، ومعرفة أساليبهم في القتال، وأعطت تلك الغزوات الفرصة لأهالي بلاد الشام على أن يتعرفوا على أصول هذا الدين ومبادئه

---

(1) البلقاء: من أعمال دمشق بين الشام ووادي الغزى عاصمتها عمّان.

وأهدافه، فآمن كثير من أهالي تلك البلاد، واستمر الصديق على المنهج الذي وضعه رسول الله ﷺ ولذلك أصرّ بعد وفاة النبي ﷺ على إنفاذ جيش أسامة، ولما عقد الصديق الألوية من ذي القصة، عقد منها لواءً لخالد بن سعيد بن العاص، ووجهه إلى مشارف الشام، ثم أمره أن يكون رِدءاً للمسلمين بتيماء(1)، لايفارقها إلا بأمره، ولايقاتل إلا من قاتله، فلبغ خبره هرقل -ملك الروم- فجهز جيشاً من العرب التابعين للروم، من بَهْراء، وسَليح، وكلب، ولخم، وجُذام، وغسان، فسار إليهم خالد بن سعيد، فلقيهم على منازلهم فافترقوا، وأرسل هو لأبي بكر بالخبر، فكتب إليه يأمره بالإقدام(2).

وأن يزحف على الروم قبل تنظيم صفوفهم ونصحه أن يحافظ على خط رجعته وان لايتوغل كثيراً في بلاد العدو، وجاء في جواب الخليفة له أن (اقدم ولاتحجم واستنصر بالله) فتقدم خالد حتى بلغ القسطل في طريق البحر الميت فهزم جيشاً من الروم على الشاطئ الشرقي للبحر ثم تابع مسيرته عند ذلك هاج الروم فجمعوا قواتاً تزيد على ماجمعوه في تيماء ورأى خالد تجمعهم فكتب إلى الخليفة يستمده ليتابع تقدمه فبعث إليه عكرمة بن أبي جهل بجيش البدال(3) كما بعث إليه الوليد بن عقبة بجموع اخرى فلما وصلت هذه القوات إلى خالد بن سعيد أمر بالهجوم على الروم واخذ طريقه إلى مرج الصفر وانحدر القائد الرومي ماهان بجيشه يستدرج جيوش المسلمين التي اتجهت إلى جنوب البحر الميت ووصلت إلى مرج الصفر الشرقي بحيرة طبرية، واغتنم الروم على المسلمين الفرصة واوقعوا بهم الهزيمة وصادف باهان سعيد بن خالد بن سعيد في كتيبة من العسكر فقتلهم وقتل سعيداً في مقدمتهم وبلغ خالد مقتل ابنه ورأى نفسه قد أحيط به فخرج هارباً في كتيبة من اصحابه على ظهور الخيل وقد نجح عكرمة في سحب بقية الجيش إلى حدود الشام(4).

أولاً: عزم أبي بكر على غزو الروم ومبشرات في الطريق:

كان أبو بكر يفكر في فتح الشام ويجيل النظر، ويقلب الرأي في ذلك، وبينما كان الصديق مشغولاً بذلك الأمر جاءه شرحبيل بن حسنة أحد قواد المسلمين في حروب الردة فقال: ياخليفة رسول الله أتحدث نفسك أنك تبعث إلى الشام جنداً؟ فقال: نعم قد حدثت نفسي بذلك وما اطلعت عليه أحداً، وماسألتني عنه إلا لشيء، قال: أجل، إني رأيت ياخليفة رسول الله فيما يرى النائم كأنك تمشي

---

(1) تيماء: بُليله في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى.

(2) انظر: تمام الوفاء، ص54.

(3) كان عكرمة قد رجع من كنده وحضرموت عن طريق اليمن ومكة فلما بلغ المدينة أمره الخليفة أن يُسيّر مدداً لخالد بن سعيد وكان عكرمة قد سرح الجند الذين قاتلوا معه في جنوب شبه الجزيرة فاستبدل الخليفة بهم غيرهم وأمرهم أن يسيروا تحت لواء عكرمة الى الشام.

(4) ابوبكر الصديق، نزار الحديثي، د. خالد الجنابي، ص58.

في الناس فوق خَرْشفة من الجبل- يعني مسلكاً وعراً- حتى صعدت قُنَّةً من القنات العالية فأشرفت على الناس ومعك أصحابك، ثم إنك هبطت من تلك القنات إلى أرض سهلة دمثة -يعني لينة- فيها الزرع والقرى والحصون، فقلت للمسلمين: شنوا الغارة على أعداء الله وأنا ضامن لكم بالفتح والغنيمة وأنا فيهم معي راية، فتوجهت بها إلى أهل قرية، فسألوني الأمان فأمنتهم، ثم جئت فأجدك قد انتهيت إلى حصن عظيم، ففتح الله لك وألقوا إليك السَّلَم، ووضع الله لك مجلساً فجلست عليه، ثم قيل لك: يفتح الله عليك وتُنصر فاشكر ربك، واعمل بطاعته، ثم قرأ {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ۝وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا۝فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا۝} (سورة النصر، آية:1-3) ثم انتبهت فقال له أبو بكر: نامت عينك، خيراً رأيت وخيراً يكون إن شاء الله، ثم قال: بشَّرت بالفتح، ونعيت إلى نفسي، ثم دمعت عينا أبي بكر وقال: أما الخرشفة التي رأيتنا فيها حتى صعدنا إلى القنة العالية فأشرفنا على الناس، فإنا نكابد من أمر هذا الجند والعدو مشقة ويكابدونه، ثم نعلو بعدو يعلو أمرنا، وأما نزولنا من القنّة العالية إلى الأرض السهلة الدمثة والزرع والعيون والقرى والحصون، فإنا ننزل إلى أمر أسهل مما كنا فيه من الخصب والمعاش، وأما قولي للمسلمين: شنُّوا على أعداء الله الغارة فإني ضامن لكم الفتح والغنيمة فإن ذلك دُنُوُّ المسلمين إلى بلاد المشركين وترغيبي إياهم على الجهاد والأجر والغنيمة التي تُقسم لهم، وقبولهم، وأما الراية التي كانت معك فتوجهت بها إلى قرية من قراهم ودخلتها فاستأمنوا فأمَّنتهم، فإنك تكون أحد أمراء المسلمين ويفتح الله على يديك، وأما الحصن الذي فتح الله لي فهو ذلك الوجه الذي يفتح الله لي، وأما العرش الذي رأيتني عليه جالساً، فإن الله يرفعني ويضع المشركين، وقال الله تعالى: {وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ} (سورة يوسف، آية:100) وأما الذي أمرني بطاعة الله وقرأ عليَّ السورة فإنه نعى إليَّ نفسي، وذلك أن النبي ﷺ نعى الله إليه نفسه حين نزلت هذه السورة وعلم أن نفسه قد نُعيت إليه، ثم سالت عيناه، وقال: لآمرنّ بالمعروف ولأنهين عن المنكر، ولأجهَدنَّ فيمن ترك أمر الله، ولأجهزِّن الجنود إلى العادلين بالله -يعني المشركين به- في مشارق الأرض ومغاربها حتى يقولوا: الله أحد أحد لاشريك له، أو يؤدُّوا الجزية عن يد وهم صاغرون، هذا أمر الله وسنة رسوله ﷺ، فإذا توفاني الله عزوجل لايجدني الله عاجزاً ولاوانياً ولا في ثواب المجاهدين زاهداً(1). فهذه الرؤيا الصالحة من المبشرات التي حدث بها رسول الله ﷺ حيث قال: لم يبق من النبوة إلا المبشرات، قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة(2). فهذه الرؤيا جاءت على قدر لتدفع الصديق إلى العزم على ماهمّ به وإعلان ما أضمره فدعا إلى عقد مجلس شورى بخصوص غزو الشام، فقد أخذ الصديق بالعزيمة والعمل والتوكل على الله واستأنس بالرؤية.

---

(1) تاريخ دمشق لابن عساكر (2/61-62)؛ فتوح الشام للأزدي، ص 14 نقلاً عن التاريخ الاسلامي للحميدي (9/179).
(2) البخاري، كتاب التغبير، رقم 6990.

ثانياً: مشورة أبي بكر في جهاد الروم واستنفار أهل اليمن:

1-مشورة أبي بكر في جهاد الروم:

لما أراد أبو بكر ◄ أن يجهز الجنود إلى الشام دعا عمر وعثمان وعليا وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص،وأبا عبيدة بن الجراح، ووجوه المهاجرين والأنصار من أهل بدر وغيرهم، فدخلوا عليه، فقال: إن الله تبارك وتعالى لاتحصى نعمه، ولاتبلغ الأعمال جزاءها، فله الحمد كثيراً على ما اصطنع عندكم من جمع كلمتكم، وأصلح ذات بينكم وهداكم إلى الإسلام، ونفى عنكم الشيطان، فليس يطمع أن تشركوا بالله، ولا أن تتخذوا إلها غيره، فالعرب أمة واحدة، بنو أب وأم، وقد أردت أن استنفركم إلى الروم بالشام، فمن هلك هلك شهيداً وما عند الله خير للأبرار، ومن عاش عاش مدافعاً عن الدين، مستوجباً على الله عزوجل ثواب المجاهدين، هذا رأيي الذي رأيت فليشر عليَّ كل امرئ بمبلغ رأيه، فقام عمر بن الخطاب ◄ فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي، ثم قال: الحمد لله، الذي يخص بالخير من يشاء من خلقه، والله ما استبقنا إلى شئ من الخير إلا سبقتنا إليه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء،قد والله أردت لقاءك لهذا الرأي الذي ذكرت، فما قضى الله أن يكون ذلك حتى ذكرته الآن، فقد أصبت أصاب الله بك سبل الرشاد، سرِّب إليهم الخيل في إثر الخيل، وابعث الرجال تتبعها الرجال والجنود تتلوها الجنود، فإن الله عزوجل ناصر دينه، ومعز الإسلام وأهله ومنجز ماوعد رسوله. ثم إن عبدالرحمن بن عوف قام، فقال: ياخليفة رسول الله، إنها الروم وبنو الأصفر حدّ حديد، وركن شديد، والله ماأرى أن تقحم الخيل إقحاماً، ولكن تبعث الخيل، فتعبر في أدنى أرضهم، ثم تبعثها فتغير، ثم ترجع إليك، فإذا فعلوا ذلك مراراً أضروا بعدوهم، وغنموا من أرضهم، فقووا بذلك على قتالهم، ثم تبعث إلى أقاصي أهل اليمن، وإلى ربيعة ومضر فتجمعهم إليك، فإن شئت عند ذلك غزوتهم بنفسك، وإن شئت بعثت على غزوهم غيرك. ثم جلس وسكت الناس، فقال لهم أبو بكر: ماذا ترون؟ رحمكم الله. فقام عثمان بن عفان رضوان الله عليه فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، وصلى على النبي، ⇨، ثم قال: رأيي أنك ناصح لأهل هذا الدين، عليهم شفيق فإذا رأيت رأيا علمته رشداً وصلاحاً وخيراً، فاعزم على إمضائه غير ظنين ولامتهم(1)، فقال طلحة والزبير وسعد وأبو عبيدة بن الجراح وسعيد بن زيد وجميع من حضر ذلك المجلس من المهاجرين والأنصار: صدق عثمان فيما قال، مارأيت من رأى فأمضه، فإنا سامعون لك مطيعون، لانخالف أمرك، ولانتهم رأيك عن دعوتك، فذكروا هذا وشبهه، وعلي بن أبي طالب ◄ في القوم لايتكلم فقال له أبو بكر: ماترى يا أبا الحسن؟

فقال: أرى أنك مبارك الأمر، ميمون النقيبة(2)، وإنك إن سرت إليهم بنفسك، أو بعثت إليهم

---

(1) يعني لانظن بك التقصير ولا نتهمك في إخلاصك.

(2) النقيبة: هي الرأي والمشورة.

نُصرت إن شاء الله. فقال أبو بكر: بشرك الله بخير، فمن أين علمت هذا؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لايزال هذا الدين ظاهراً على كل من ناوأه حتى يقوم الدين وأهله ظاهرون(1) فقال أبو بكر: سبحان الله، ما أحسن هذا الحديث! لقد سررتني، سرّك الله في الدنيا والآخرة. ثم إن أبا بكر ◄ قام في الناس، فحمد الله وأثنى عليه، وذكره بما هو أهله، وصلى على النبي ﷺ ثم قال: أيها الناس، إن الله قد أنعم عليكم بالإسلام، وأعزّكم بالجهاد وفضلكم بهذا الدين على أهل كل دين، فتجهزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام، فإني مؤمّر عليكم أمراء، وعاقد لهم عليكم، فأطيعوا ربكم، ولاتخالفوا أمراءكم ولتحسن نيتكم وسيرتكم وطعمتكم، فإن الله مع الذين اتقوا، والذين هم محسنون(2) ... وأمر أبو بكر بلالا، فنادى في الناس: أن انفروا إلى جهاد عدوكم! الروم بالشام(3).

من هذه المشورة تبين لنا منهج أبي بكر ◄ في مواجهة الأمور الكبيرة حيث لم يكن يبتُّ فيها برأي حتى يجمع أهل الحل والعقد فيستشيرهم ثم يصدر بعد ذلك عن رأي ممحص مدروس، وهذه هي سنة رسول الله ﷺ كما مرّ معنا في السيرة النبوية، وحينما نتأمل في تفاصيل هذه المحاورة نجد أن الصحابة رضي الله عنهم قد أجمعوا على موافقة أبي بكر في غزو الروم، وإنما تنوعت وجهات نظر بعضهم في كيفية هذا الغزو، فكان رأي عمر إرسال الجيوش تلو الجيوش حتى تتجمع في الشام فتكون قوة كبيرة تستطيع أن تصمد للأعداء، وكان رأي عبدالرحمن بن عوف أن يبدأ الغزو بقوات صغيرة تغير على أطراف الشام ثم تعود إلى المدينة، حتى إذا تمَّ إرهاب العدو وإضعافه تبعث الجيوش الكبيرة، وقد أخذ أبو بكر برأي عمر في هذا الأمر واستفاد من رأي عبدالرحمن بن عوف فيما يتعلق بطلب المدد بالجيوش من قبائل العرب وخاصة أهل اليمن(4).

2-استنفار أهل اليمن:

كتب الصديق إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الجهاد في سبيل الله وهذا هو نص الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم: من خليفة رسول الله إلى من قرئ عليه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين من أهل اليمن: سلام عليكم. فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد. فإن الله تعالى كتب على المؤمنين الجهاد، وأمرهم أن ينفروا خفافاً وثقالاً، ويجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، والجهاد فريضة مفروضة والثواب عند الله عظيم. وقد استنفرنا المسلمين إلى جهاد الروم بالشام، وقد سارعوا إلى ذلك، وقد حسنت بذلك نيتهم، وعظمت حسنتهم، فسارعوا عباد الله إلى ماسارعوا إليه، ولتحسن نيتكم فيه فإنكم إلى إحدى الحسنيين إما الشهادة وإما الفتح والغنيمة فإن الله تبارك وتعالى لم يرضى من عباده

---

(1) البخاري، كتاب الاعتصام، رقم 7311؛ مسلم، كتاب الامارة رقم 1533.
(2) تاريخ دمشق لابن عساكر (2/63-65) نقلاً عن الحميدي.
(3) نفس المصدر (2/63-65) نقلاً عن الحميدي.
(4) التاريخ الاسلامي للحميدي (9/188).

بالقول دون العمل، ولايزال الجهاد لأهل عداوته حتى يدينوا بدين الحق، ويقروا لحكم الكتاب، حفظ الله دينكم، وهدى قلوبكم، وزكى أعمالكم، ورزقكم أجر المجاهدين الصابرين(1) وبعث الصديق هذا الكتاب مع أنس بن مالك ◀ وفي هذا الكتاب يظهر دور أبي بكر ◀ في حث المسلمين وجمعهم للجهاد في سبيل الله، وهو مايمكن أن يسمى بالتعبئة العامة(2).

ومن خطاب الصديق لأهل اليمن يتضح أن الجهاد من أجل تحقيق غرضين: تحقيق إسلام المسلمين لأن الله لايرضى لعباده بالقول دون العمل، ومقاتلة غير المسلمين حتى يدينوا بدين الحق ويقروا لحكم كتاب الله وهذا هو السبب الذي جعل أهل اليمن ينساحون من جميع أرجاء اليمن بأعداد هائلة ولم يصل إلى علمنا أن أحداً منهم خرج مستكرهاً، بل خرجوا طواعية وأقبلت جموعهم بنسائهم وأولادهم، وكانوا من أسرع المستجيبين للنداء حباً ورغبة في الجهاد، ويعبر عن هذا أنس بن مالك حامل رسالة الصديق إلى أهل اليمن والذي تنقل بين أحيائهم قبيلة قبيلة وجناحاً جناحاً يقرأ عليهم كتاب أبي بكر ويحثهم على الإسراع فقال: فكان كل من أقرأ عليه ذلك الكتاب ويسمع هذا القول يحسن الرد علي، ويقول: نحن سائرون وكأنا قد فعلنا، حتى انتهيت إلى ذي الكلاع فلما قرأت عليه الكتاب وقلت هذا المقال دعا بفرسه وسلاحه ونهض في قومه من ساعته ولم يؤخر ذلك وأمر بالعسكر فما برحنا حتى عسكر وعسكر معه جموع كثيرة من أهل اليمن، وقد قام فيهم خطيباً فقال فيما قاله...

ثم قد دعاكم إخوانكم الصالحون إلى جهاد المشركين واكتساب الأجر العظيم، فلينفر من أراد النفير معي الساعة(3)، فعاد أنس بن مالك في حوالي 11 رجب 12هـ وبشَّرَ أبا بكر بقدوم القوم فقال: قد أتوك شُعثا غبراً أبطال اليمن، وشجعانها، وفرسانها وقد ساروا إليك بالذراري والحرم والأموال(4)، ومالبث إلا أياماً حتى قدم ذو الكلاع الحميري وقومه في حوالي 16رجب 12هـ(5)، ولم تكن هذه الاستجابة الفورية الراغبة خاصة بأهل (حمير)، بل كل من جاء من اليمن كان على نفس المستوى وعلى سبيل المثال فقد قدم من (همدان) أكثر من ألفي رجل وعليهم حمزة بن مالك الهمداني(6)، وعندما قدم أهل اليمن على المدينة ودخلوا المسجد على أبي بكر، فلما سمعوا القرآن، أقشعرت جلودهم من خشية الله، وجاشت أنفسهم، وجعلوا يبكون خاشعين، فبكى أبو بكر وقال: هكذا كنا ثم

---

(1) تاريخ فتوح الشام للأزدي، ص8؛ تهذيب تاريخ دمشق (129/1).
(2) تاريخ الدعوة الى الاسلام، ص294.
(3) الكامل لابن الأثير (64/2)؛ اليمن في صدر الاسلام، ص301،302.
(4) اليمن في صدر الاسلام، ص302.
(5) نفس المصدر، ص302.
(6) اليمن في صدر الاسلام، ص302.

قست القلوب(1)، وعندما رأى ذو الكلاع الحميري الصديق وجده شيخاً نحيلاً، معروق الوجه، وعليه ثوب خشن ولاشيء يسطع من ثيابه!، لاشيء على الإطلاق غير الورع يفيئ وجهه الأبيض، وكان ذو الكلاع قدم على الصديق من اليمن ومن خلفه ومن حوله ألف عبد من الفرسان، وعلى رأسه التاج، وعلى حلته الجواهر المتلألئة، وبردته تسطع بخيوط الذهب المرصع باللآلي، والياقوت والمرجان، فلما شاهد ماعليه الصديق من اللباس والزهد والتواضع والنسك وماهو عليه من الوقار والهيبة تأثر ذو الكلاع ومن معه من السادة فذهبوا مذهب الصديق ونزعوا ماكان عليهم(2)، وقد تأثر ذو الكلاع بالصديق وتزيّا بزيِّه حتى إنه رُئي يوما في سوق من أسواق المدينة، على كتفيه جلد شاة، ففزعت عشيرته، وقالوا له: فضحتنا بين المهاجرين والأنصار! قال: فأردتم أن أكون جباراً في الجاهلية، جباراً في الإسلام؟ لاها الله (أي لاوالله) لاتكون طاعة الرب إلا بالتواضع والزهد في هذه الدنيا(3).

وصنعت ملوك اليمن كما صنع ذو الكلاع الحميري، فتخلوا عن التيجان المثقلة بالجواهر، وتركوا حلل المخمل الموشي بخيوط الذهب والياقوت والدر والمرجان واشتروا من سوق المدينة ثيابا خشنة ووضع الصديق في بيت المال ماتخلوا عنه جميعاً من نفائس(4).

كان أبو بكر ◀ خير من تمثل بالإسلام في حياته بعد رسول الله وكان لسان حاله دعوة إلى الله تعالى، وأبلغ نصيحة تلك التي يشاهدها الناس من طريق العين، لا من طريق الأذن، وخير الناصحين من ينصح بأفعاله لا بأقواله.. فلما رأى ملوك اليمن أن أبا بكر خليفة رسول الله وصاحب الأمر والنهي في الجزيرة العربية يمشي في الأسواق، ويلبس العباءة والشملة، علموا أن هناك شيئاً أعظم من الثياب المزركشة والذهب واللآلئ، هو النفس العظيمة، فسعوا ليتشبهوا بأبي بكر، واستحيوا من الله والناس أن يقابلوا خليفة رسول الله بالتاج والبرود والحلي، وهو بعباءة، فقد صغرت عليهم نفوسهم وهانت، وهدأت ثورتها، وانطفأت سورتها، كما ينطفئ النجم الصغير، إذا واجه الشمس! رحم الله أبا بكر فقد كان عظيماً في تواضعه، متواضعاً في عظمته(5).

ثالثاً: عقد الصديق الألوية للقادة وتوجيه الجيوش:

عزم الصديق على تسيير الجيوش لبلاد الشام، فدعا الناس إلى الجهاد، وعقد الألوية لأربعة جيوش أرسلها لفتح الشام وهي:

---

(1) الصديق أول الخلفاء، ص114؛ أبوبكر، للطنطاوي ، ص218.

(2) مروج الذهب للمسعودي (305/2).

(3) نفس المصدر (305/2).

(4) الصديق أول الخلفاء، ص137،138.

(5) أبوبكر الصديق، علي طنطاوي، ص219.

1-جيش يزيد بن أبي سفيان:

وهو أول الجيوش التي تقدمت إلى بلاد الشام وكانت مهمته الوصول إلى دمشق وفتحها ومساعدة الجيوش الأربعة عند الضرورة وكان جيش يزيد أول الأمر ثلاثة آلاف ثم عززه الخليفة بالإمدادات حتى صار معه بحدود السبعة آلاف رجل، وقبل رحيل جيش يزيد أوصاه الخليفة أبو بكر وصية بليغة عالية المستوى تشتمل على حكم باهرة في مجالي الحرب والسلم، وشيّعه ماشياً وأوصاه بما يأتي: إني قد وليتك لأبلوك وأجرّبك وأخَرجِّك، فإن أحسنت رددتك إلى عملك وزدتك، وإن أسأت عزلتك، فعليك بتقوى الله فإنه يرى من باطنك مثل الذي من ظاهرك، وإن أولى الناس بالله أشدُّهم توليا له، وأقرب الناس من الله أشدُّهم تقربا بعمله، وقد وليتك عمل خالد(1)، فإياك وعبِّية الجاهلية(2)، فإن الله يبغضها ويبغض أهلها، وإذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم، وابدأهم بالخير وعدهم إياه، وإذا وعظتهم فأوجز فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضا، وأصلح نفسك يصلح لك الناس، وصلِّ الصلوات لأوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها، وإذا قدم عليكم رسل عدوك فأكرمهم، وأَقْلل لُبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به، ولاترينَّهم فيروا خَلَلَكَ(3)، ويعملوا علمك، وأنزلهم في ثروة عسكرك(4)، وامنع من قبَلَك من محادثتهم وكن أنت المتولي لكلامهم، ولاتجعل سرك لعلانتيك فيخلط أمرك، وإذا استشرت فاصدق الحديث تُصدق المشورة، ولاتخزُن عن المشير خبرك فتُوْتى من قبل نفسك، واسمر بالليل في أصحابك تأتك الأخبار، وتنكشف عندك الأستار وأكثر حرسك، وبدِّدهم في عسكرك، وأكثر مفاجأتهم في محارسهم بغير علم منهم بك، فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه، وعاقبه في غير إفراط، وأعقب بينهم بالليل، واجعل النَّوبة الأولى أطول من الأخيرة، فإنها أيسرهما لقربهما من النهار، ولاتَخَفْ من عقوبة المستحق، ولاتلجَّنَّ فيها، ولاتسرع إليها، ولاتتخذ لها مدفعا، ولاتغفل عن أهل عسكرك فتفسده، ولاتجسسّ عليهم فتفضحهم، ولاتكشف الناس عن أسرارهم، واكتف بعلانيتهم، ولاتجالس العبَّاثين، وجالس أهل الصدق والوفاء،واصدق اللقاء ولاتجبن فيجبن الناس، واجتنب الغلول فإنه يقرب الفقر، ويدفع النصر، وستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعهم وماحبسوا أنفسهم له قال ابن الاثير وهذه من أحسن الوصايا وأكثرها نفعا لولاة الأمر(5) ومن فوائد هذه الوصية:

---

(1) يعني عمل خالد بن سعيد بن العاص وكان قد استعفى أبابكر فأعفاه.

(2) يعني التعصب لما كان عليه أهل الجاهلية.

(3) يعني لا تطلعهم على دخيلة أمرك فيطلعوا على عيوبك.

(4) يعني ليروا قوة المسلمين.

(5) الكامل لابن الأثير (65،64/2).

● أن الولايات والمناصب ليست حقا ثابتاً لأصحابها وإنما بقاؤهم فيها مرهون بالإحسان والنجاح في العمل، ومن واجب المسئول الأعلى أن يَعْزلهم إذا أساؤوا، وإن هذا الشعور يدفع صاحب العمل إلى مضاعفة الجهد في بذل الطاقة ليصل إلى مستوى أعلى من النجاح في العمل، أما إذا ضمن البقاء فإنه قد يميل إلى الكسل والاشتغال بمتاع الدنيا، فيخل بمسئوليته ويعرِّض من تحت ولايته إلى أنواع من الفساد والفوضى والنزاع.

● إن تقوى الله عزوجل هي أهم عوامل النجاح في العمل، لأن الله تعالى مطلع على ظاهر أعمال الناس وباطنهم، فإذا اتقوه في باطنهم فَحَرِيٌّ بهم أن يتقوه في ظاهرهم، وبذلك يتجنب الوالي كل مظاهر الفساد والإفساد، التي تكون عادة من الاستجابة للعواطف الجامحة التي لاتلتزم بتقوى الله تعالى.

● التحذير من التعصب للآباء والأجداد والأقوام، فإن التعصب لذلك قد يحمل الإنسان على الإنحراف على الطريق المستقيم، إذا كان ماعليه الآباء والأجداد مخالفاً للاستقامة، إضافة إلى أنه يضعف من الانتماء للرابطة الإسلامية الوحيدة وهي الأخوة في الله تعالى.

● الإيجاز في الموعظة فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضا، فيضيع المقصود، ويغلب على السامع الإعجاب ببلاغة المتكلم إن كان بليغاً عن استيعاب مايقول والاستفادة من مواعظه، وإن لم يكن بليغاً فإن الملل يأخذ بالسامع فلايعي مايقول المتكلم.

● إذا أصلح المسئول نفسه وتفقد عيوبه وجعل من نفسه نموذجاً صالحاً للقدوة الحسنة فإن ذلك يكون سبباً في صلاح من هم تحت رعايته.

● الاهتمام بإقامة الصلاة كاملة مظهراً ومَخْبَراً، مَظْهَراً من ناحية إكمال أقوالها وأفعالها، ومَخْبَراً من ناحية الخشوع فيها وحضور القلب مع الله تعالى، فإن هذه الصلاة الكاملة يقام بها ذكر الله في الأرض، وتهذّب السلوك، وتقوِّي القلوب، وتبعث على ارتياح النفوس، وتعتبر ملاذاً للمسلم عند الشدائد.

● إكرام رسل العدو إذا قدموا، مع الاحتراس منهم، وعدم تمكينهم من معرفة واقع الجيش الإسلامي، فإكرامهم نوع من الدعوة إلى الإسلام فيما إذا عرف العالم مايتحلى به المسلمون من مكارم الأخلاق، ولكن لايصل هذا الإكرام إلى حد إطلاعهم على بطانة أمور المسلمين، بل ينبغي إطلاعهم على قوة جيش المسلمين ليُرهبوا بذلك أقوامهم(1).

● الاحتفاظ بالأسرار، وعدم التهاون بإفشائها، خاصة فيما يتعلق بأمور المسلمين العامة، فإن الحكيم يستطيع التصرف في الأمور وإن تغيرت وجوهها مادام سرُّه حبيساً في ضميره، فإذا أفشاه اختلطت عليه الأمور ولم يستطع التحكم فيها.

● إتقان المشورة أهم من النظر في نتائجها فإن المستشار وإن كان حصيف الرأي ثاقب الفكر فإنه

---

(1) التاريخ الاسلامي (194/9).

لايستطيع أن يفيد من استشاره حتى ينكشف له أمره بغاية الوضوح، فإذا أخفى المستشير بعض تفاصيل القضية فإنه يكون قد جنى على نفسه، حيث قد يتضرر بهذه المشورة.

● أن على القائد وكل مسئول أن يكون مخالطاً لمن ولي أمرهم على مختلف طبقاتهم ليكون دقيق الخبرة بأمورهم، وفي هذا أكبر العون له على تصور مشكلاتهم والمبادرة بإيجاد الحلول لها، أما المسئول الذي يعيش في عزلة ولايختلط إلا بأفراد من كبار رعيته، فإنه لايصل إليه من المعلومات إلا من كان من طريق هؤلاء، وقد لايكشفون له الأمور بكل تفصيلاتها، وقد يحللون له الأمور على غير وجهها الصحيح.

● الاهتمام بأمر حراسة المسلمين خاصة من مكامن الخطر، واختبار الحراس الأمناء من ذوي النباهة، وعدم وضع الثقة الكاملة بهم، بل لابد من الرقابة عليهم حتى لايُؤتي المسلمون من قبلهم.

● أن يسلك المسئول في عقاب المخالف مسلكاً وسطا، فلايتهاون فيترك عقوبة المستحق، فإن ذلك يجرِّئه على مزيد من المخالفة، ويجرئ غيره على ارتكاب المخالفات، فتسود الفوضى وينفلت الأمر، ولايشتدُّ في العقوبة فينفِّر الرعية، ويدفعهم إلى التسخط والتحزب، بل تكون عقوبته بحكمة واتزان وبعد النظر والتروي بحيث تؤدي غرضها التربوي بدون إثارة ضجة، ولادفع إلى النقد والتسخط(1).

● أن يكون لدى المسئول يقظة وانتباه لكل مايجري في حدود المسئولية المناطة به حتى يشعر أفراد الرعية بأن هناك اهتماماً بأمورهم فيزيد المحسن إحساناً ويقتصر المسئ عن الإساءة، ولكن بدون تجسس عليهم فإن ذلك يعتبر فضيحة لهم، وقد ينقطع بذلك خيط العلاقة الذي يربط المسئول بأفراد رعيته، من المودة والإعجاب والشكر على الجميل، وهذا الخيط مادام قائماً فإنه يمنع أصحاب الجنوح من إرتكاب المخالفات التي تفسد المجتمع وتحدث الفوضى، فإذا انقطع ولم يكن هناك عاصم من تقوى الله تعالى فإن أهم الحواجز التي تحول دون الإنطلاق وراء الشهوات تكون قد تحطمت، ويصعب بعد ذلك علاج الأمور لأنها تحتاج الى قوة رادعة وهذه لها سلبياتها المعروفة.

● أن يحرص المسئول على مجالسة أهل الصدق والوفاء والعقول الراجحة، وإن سمع منهم مايكره أحياناً من النقد والتوجيه، فإن ذلك يعود عليه وعلى من استرعاه الله أمرهم بالنفع، وأن يجالس أصحاب اللهو والأهداف الدنيوية فإن هؤلاء وإن أنس بكلامهم وثنائهم فإنهم يحولون بينه وبين التفكير في الأمور الجادة، فلا يستفيق بعد ذلك إلا والنكبات قد حلت به وبمن ولي أمورهم.

● أن يصدق القائد في لقاء الأعداء وأن لايجبن، فإن جُبنه يسري على جنده فيقع بذلك الفشل والهزيمة، وفي غير الحرب أن يكون المسؤول شجاعاً في مواجهة المواقف، وأن لايضعف فيسري ضعفه

---

(1) التاريخ الاسلامي (195/9).

على من هم تحت إدارته من العاملين، فيقل بذلك مستوى الأداء ويضعف الإنتاج.

- أن يتجنب القائد الغلول، وهو الأخذ من الغنيمة قبل قسمتها هذا في مجال الحرب، وفي مجالات السلم أن يتجنب المسؤول أية استفادة دنيوية من علمه لا تحل له شرعاً، مثل أخذ الهدايا التي يقصد لها دفعها الاستفادة من المسؤول في مجانبة الحق، فإن ذلك من الغلول، والغلول كما جاء في هذه الوصية يقرب الى الفقر، ويدفع النصر.
- ومن هذه الفوائد تبين لنا عظمة هذه الوصية التي أوصى بها أبوبكر ◀ أحد قواده، وهي تبين لنا أنه كان يعيش بفكره مع قضايا المسلمين وأنه كان يتصور ماقد يواجهه قواده فيحاول تزويدهم بما ينفعهم في تلافي الوقوع في المشكلات، وحلها إذا وقعت، وهذه الوصية وأمثالها تسجِّل إضافة جديدة لمواقف أبي بكر المتعددة(1) الأنواع، فإذا تأملت إدارته للحكم وجدت رجلاً بارعاً في أمور السياسة، وإذا رأيت توجيهه للقادة العسكريين تجده رجلاً بارعاً في شؤون الحرب، وكأنه مع القادة في الميادين، وإذا رأيت رحمته وتأليفه للقلوب رأيت رجلاً بارعاً في الدعوة الى الله تعالى، فهو الرجل الرحيم بالمؤمنين، الرافع لشأن أهل البلاء والصدق منهم، الخبير بأهل الكفاءة والقدرة، القوي الحازم على أعداء الله من المنافقين والكافرين(2).

2- جيش شرحبيل بن حسنة:

حدد أبوبكر الصديق لمسير شرحبيل ثلاثة أيام بعد مسير يزيد بن أبي سفيان فلما مضى اليوم الثالث ودع أبوبكر شرحبيل وقال له: ياشرحبيل ألم تسمع وصيتي ليزيد بن أبي سفيان؟ قال: بلى، قال: فإني أوصيك بمثلها، وأوصيك بخصال أغفلت ذكرهن ليزيد، أوصيك بالصلاة في وقتها، وبالصبر يوم البأس حتى تظفر، أو تُقتل، وبعيادة المرضى وبحضور الجنائز، وذكر الله كثيراً على كل حال، فقال شرحبيل: الله المستعان وماشاء الله أن يكون كان(3)، وكان جيش شرحبيل مابين ثلاثة آلاف الى أربعة آلاف وأمره أن يسير الى تبوك والبلقاء ثم بصرى وهي آخر مرحلة وتقدم شرحبيل نحو البلقاء حيث لم يلق مقاومة تذكر وكان يسير على الجناح الأيسر لجيش أبي عبيدة والجناح الأيمن لجيش عمرو بن العاص في فلسطين فأوغل في البلقاء حتى بلغ بصرى فأخذ يحاصرها فلم يوفق في فتحها لانها كانت من المراكز الحصينة(4).

3- جيش أبي عبيدة بن الجراح:

---

(1) التاريخ الاسلامي (196/9).
(2) نفس المصدر (197/9).
(3) فتوح الشام للأزدي ، ص15.
(4) ابوبكر الصديق، نزار الحديثي، ص62.

لما عزم الصديق على بعث أبي عبيدة بن الجراح بجيشه دعاه فودعه ثم قال له: اسمع سماع من يريد أن يفهم ماقيل له، ثم يعمل بما أمر به، إنك تخرج في إشراف الناس، وبيوتات العرب، وصلحاء المسلمين، وفرسان الجاهلية، كانوا يقاتلون إذ ذاك على الحمية، وهم اليوم يقاتلون على الحسبة، والنية الحسنة، أحسن صحبة من صحبك، وليكن الناس عندك في الحق سواء، واستعن بالله وكفى بالله معيناً، وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً، أخُرج من غد إن شاء الله(1)، وكان جيشه يترواح مابين 3-4 آلاف مجاهد وهدف ذلك الجيش حمص، سار أبو عبيدة من المدينة، ماراً بوادي القرى ثم اطلع الى الحجر (مدن صالح) ثم الى ذات منار ثم الى زيزا ومنها الى مأؤاب فالتقى بقوة للعدو فقاتلهم ثم صالحوه فكان أول صلح عقد في الشام ثم واصل تقدمه نحو الجابية(2)، وكان هذا الجيش الجناح الأيسر للجيش الأول، والجناح الأيمن للجيش الثاني(3)، وكان في صحبة أبي عبيدة بن الجراح فارس من فرسان العرب المشهورين، قيس بن هبيرة بن مسعود المرادي فأوصى به الصديق أباعبيدة قبل سفره وقال له: إنه قد صحبك رجل عظيم الشرف، فارس من فرسان العرب، ليس بالمسلمين غناء عن رأيه ومشورته وبأسه في الحرب فأدنه وألطفه وأره أنك غير مستغن عنه، ولا مستهين بأمره، فإنك تستخرج بذلك نصحيته لك وجهده وجدّه على عدوك، ودعا أبوبكر قيس بن هبيرة فقال: إن بعثتك مع ابي عبيدة الأمين، الذي إذا ظُلم لم يظلم، وإذا أسيء إليه غفر، وإذا قطع وصل، رحيم بالمؤمنين، شديد على الكافرين، فلا تعصين له أمراً، ولا تخالفن له راياً، فإنه لن يأمرك إلا بخير، وقد أمرته أن يسمع منك، فلا تأمره إلا بتقوى الله، فقد كنا نسمع أنك شريف ذو بأس، سيّد مجرَّب في زمان الجاهلية الجهلاء، إذ ليس فيهم إلا الإثم، فاجعل بأسك وشدتك ونجدتك في الاسلام على المشركين، وعلى من كفر بالله وعبد معه غيره فقد جعل الله في ذلك الأجر العظيم والثواب الجزيل، والعزّ للمسلمين، فقال قيس بن هبيرة: إن بقيتَ وأبقاك الله فسيبلغك عني من حيطتي على المسلم، وجهدي على الكافر ماتحب ويسرك ويرضيك، فقال له أبوبكر ◀: إفعل ذلك، رحمك الله . قال، فلما بلغ أبابكر مبارزة قيس بن هبيرة البطرقين بالجابية وقتله إياهما قال: صدق قيس وبرّ، ووفى(4).

ونلحظ أن أبابكر ◀ يشحذ همة قيس بن هبيرة، وفجّر طاقاته الكامنة في نفسه، واستخرج منه أعلى ما أمكن من طاقة وصرفها في حماية الاسلام والجهاد في سبيله، ولا شك أن الثناء على العظماء والنبلاء بذكر فضائلهم يرفع من معنوياتهم، ويمنحهم قوة عالية تدفعهم الى التضحية والفداء(5).

---

(1) فتوح الشام للأزدي، ص17.
(2) الكامل لابن الأثير (66/2).
(3) العلميات التعرضية والدفاعية عند المسلمين، نهاد عباس، ص141.
(4) فتوح الشام للأزدي، ص26-27.
(5) التاريخ الاسلامي (206/9).

4-جيش عمرو بن العاص:

وجّه الصديق عمرو بن العاص بجيش إلى فلسطين، وكان الصديق قد خيّره بين البقاء في عمله الذي أسنده إليه رسول الله وبين أن يختار له ماهو خير له في الدنيا والآخرة إلا أن يكون الذي هو فيه أحب إليه، فكتب إليه عمرو بن العاص: إني سهم من سهام الإسلام، وأنت بعد الله الرامي، بها والجامع لها، فانظر أشدّها وأخشاها وأفضلها، فارم به(1)، فلما قدم المدينة أمره أبو بكر ◀ أن يخرج من المدينة وأن يعسكر حتى يندب معه الناس، وقد خرج معه عدد من أشراف قريش، منهم الحارث بن هشام وسهيل ابن عمرو وعكرمة بن أبي جهل، فلما أراد المسير خرج معه أبو بكر يشيعه وقال: ياعمرو إنك ذو رأي وتجربة بالأمور وبصر بالحرب، وقد خرجت مع أشراف قومك ورجال من صلحاء المسلمين وأنت قادم على إخوانك فلا تألُهم نصيحة ولاتدخر عنهم صالح مشورة، فرب رأي لك محمود في الحرب مبارك في عواقب الأمور، فقال عمرو بن العاص: ما أَخْلَقَني أن أصدق ظنك، وأن لا أُفيِّل رأيك(2)، وخرج عمرو بقواته وكان تعداده يتراوح من 6-7 آلاف مجاهد وهدفها فلسطين وسلكت طريق لساحل البحر الأحمر حتى وادي عربه في البحر الميت، ونظم عمرو بن العاص قوة استطلاع مؤلفة من ألف مجاهد ودفعها باتجاه محور تقدم الروم ووضع على قيادتها عبدالله بن عمر بن الخطاب ◀ واصدمت هذه القوة بقوات الروم واستطاعت انتزاع النصر وتمزيق قوة العدو وعادت ببعض الأسرى فاستنطقهم عمرو بن العاص وعلم منهم أن جيش العدو بقيادة (رويس) يحاول مباغتة المسلمين بالقيام بالهجوم وعلى ضوء المعلومات الجديدة نظم عمرو قواته، وشن الروم هجومهم واستطاع المسلمون صده ونجحوا في رد قوات الروم وبعد ذلك شنوا هجومهم المضاد ودمروا قوة العدو، وارغموهم على الفرار وترك ميدان المعركة وتابع الفرسان المطاردة وانتهت المعركة بسقوط الألوف القتلى من الروم(3).

وأمر الصديق ◀ كل أمير أن يسلك طريقاً غير طريق الآخر، لما لحظ من ذلك من المصالح، وكأن الصديق اقتدى في ذلك بنبي الله يعقوب(4)، حين قال لبنيه: {وَقَالَ يَابَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ}(سورة يوسف، آية:67).

رابعاً: تأزم الموقف في بلاد الشام:

كانت الجيوش المكلفة بفتح بلاد الشام تلاقي صعوبة في تنفيذ المهمات الموكلة إليها، فقد كانت

---

(1) إتمام الوفاء بسيرة الخلفاء، ص55.
(2) أي أن لايخطئ رأيك فيّ؛ فتوح الشام للأزدي، ص48-51.
(3) العمليات التعرضية الدفاعية عند المسلمين، ص143.
(4) البداية والنهاية (4/7).

تواجه جيوش الإمبراطورية الرومانية التي تمتاز بقوتها وكثرة عددها وقد بنت الحصون والقلاع للدفاع عن مراكز المدن واستخدمت اسلوب الكراديس في تنظيم جيوشها، لقد كان للروم في الشام جيشان كبيران احدهما في فلسطين والآخر في انطاكية وتمركز هذان الجيشان في ست مواضع على الشكل الآتي:

أ-انطاكية: وهي عاصمة الشام في العهد الرومي.

ب-قنسرين: وتقع بين حماة وحلب على مسافة 25كم جنوبي غربي حلب وهي حدود بلاد الشام التي تحاذي فارس في الشمال الغربي.

ت-حمص: ويمتد نفوذها العسكري حتى تدمر وصحراء الشام وهي حدود بلاد الشام التي تحاذي فارس من الشمال الشرقي.

ج-عمان: قاعدة البلقاء وفيها قلعة محصنة.

د- اجنادين: قاعدة الروم العسكرية في جنوب فلسطين وعلى حدود بلاد العرب الشرقية والغربية وعلى حدود مصر.

ه- قيسارية: في شمال فلسطين وتبعد عن حيفا 13كم ولاتزال انقاضها قائمة، أما مقر القيادة العامة فهي انطاكية أو حمص وعندما شهد قائد الروم هرقل الذي كان يشرف على الموقف بنفسه في (ايليا) توغل الجيوش الإسلامية اصدر اوامره الى قواته بالتوجه لتدمير هذه الجيوش وكانت خطة مواجهة الجيوش الإسلامية كالآتي:

-يتراجع الروم امام المسلمين ويتخلوا لهم عن الحدود الشامية الحجازية.

-تتجمع وحدات الجيش الأول في فلسطين بعد تقريرها بقيادة سرجون.

-تتجمع وحدات الجيش الثاني في انطاكيا بقيادة تيدور.

-تتحرك هذه الجيوش وتهاجم امراء الإسلام الأربعة الواحد بعد الآخر وذلك لتسهيل تصفية جيوش الإسلام على انفراد وعلى أساس هذه الخطة التي وضعها هرقل تحركت جيوش الروم وحسب الترتيب الآتي(1):

-توجيه اخاه تذارق في تسعين ألفا للقضاء على جيش عمرو بن العاص.

-توجيه بن توذر إلى يزيد بن أبي سفيان.

-توجيه القبقار بن نسطوس في ستين ألفا إلى جيش أبي عبيدة.

-الدارقص نحو شرحبيل بن حسنة(2).

استطاع المسلمون الحصول على المعلومات الدقيقة عن هذه الجيوش، ونواياها بكل تفاصيلها وعن تفاصيل الخطة الرومية التي كان قد وضعها هرقل لتدمير الجيوش الإسلامية كل على انفراد، وراسل قادة

---

(1) معارك خالد بن الوليد، العميد ياسين سويد، ص77-78.
(2) العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين، ص147.

المسلمين الخليفة بالمدينة، فكتب أبو عبيدة إلى أبي بكر رضي الله عنهما يخبره بما بلغه مما جمع هرقل ملك الروم من الجموع وهذا نص كتاب أمين الأمة إلى الصديق: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله أبي بكر، خليفة رسول الله، من أبي عبيدة بن الجراح، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإنا نسأل الله أن يعز الإسلام وأهله عزاً متيناً، وأن يفتح لهم فتحاً يسيراً، فإنه بلغني أن هرقل ملك الروم نزل قرية من قرى الشام، تدعى أنطاكية وأنه بعث إلى أهل مملكته فحشرهم إليه، وأنهم نفروا إليه على الصعب والذلول(1)، وقد رأيت أن أعلمك ذلك، فترى فيه رأيك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

فكتب إليه أبو بكر ◄: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فقد بلغني كتابك، وفهمت ماذكرت فيه من أمر هرقل ملك الروم، فأما منزله بأنطاكية فهزيمة له ولأصحابه، وفتح من الله عليك وعلى المسلمين، وأما ماذكرت من حشره لكم أهل مملكته، وجمعه لكم الجموع، فإن ذلك ماقد كنا وكنتم تعلمون أنه سيكون منهم، وما كان قوم ليدعوا سلطانهم ويخرجوا من ملكهم بغير قتال، وقد علمت والحمد لله، قد غزاهم رجال كثير من المسلمين يحبون الموت حب عدوهم للحياة، ويرجون من الله في قتالهم الأجر العظيم، ويحبون الجهاد في سبيل الله أشد من حبهم أبكار نسائهم وعقائل اموالهم، الرجل منهم عند الفتح خير من ألف رجل من المشركين، فالقهم بجنودك، ولاتستوحش لمن غاب عنك من المسلمين فإن الله معك، وأنا مع ذلك مُمِدُّك بالرجال حتى تكتفي ولاتريد أن تزداد إن شاء الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته(2).

وكتب يزيد بن أبي سفيان إلى أبي بكر ◄ بنفس مضمون كتاب أبي عبيدة بن الجراح وردّ الصديق على يزيد رضي الله عنهم جميعاً وهذا نص الجواب: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فقد بلغني كتابك تذكر فيه تحوُّل ملك الروم إلى أنطاكية، وأن الله القى الرعب في قلبه من جموع المسلمين، فإن الله –وله الحمد– قد نصرنا ونحن مع رسول الله بالرُّعب، وأمدنا بملائكته الكرام، وإن ذلك الدين الذي نصرنا الله به بالرعب، هو هذا الدين الذي ندعو الناس إليه اليوم، فوربك لايجعل الله المسلمين كالمجرمين، ولامن يشهد أن لا إله إلا الله كمن يعبد معه آلهة أخرين، ويدين بعبادة شتى، فإذا لقيتموهم فانهد إليهم بمن معك، وقاتلهم، فإن الله لن يخذلك، وقد نبأنا الله تبارك وتعالى أن الفئة القليلة مما تغلب الفئة الكثيرة بإذن الله، وأنا مع ذلك مُمِدُّك بالرجال في إثر الرجال، حتى تكتفوا ولاتحتاجوا إلى زيادة إنسان، إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله، وبعث الصديق بهذا الكتاب مع عبدالله بن قرْط الثمالي حتى قدم على يزيد فقرأه على المسلمين، ففرحوا به وسُرُّوا(3)، وجاء كتاب من عمرو بن العاص

---

(1) يعني الخيل بأنواعها، مايصعب قيادة منها ومايسهل والمراد وصفهم بالكثرة.
(2) التاريخ الاسلامي (213/9) نقلاً عن فتوح الشام للأزدي، ص30-31.
(3) فتوح الشام للأزدي، ص30-33 نقلاً عن الحميدي.

بخصوص جموع الروم ورد عليه الصديق فقال: سلام عليك، أما بعد .. فقد جاءني كتابك تذكر ماجمعت الروم من الجموع، وإن الله لم ينصرنا مع نبيه ⇦ بكثرة جنود، وقد كنا نغزو مع رسول الله ⇦ ومامعنا إلا فَرَسان، وإن نحن إلا نتعاقب الإبل، وكنا يوم أحد مع رسول الله ومامعنا إلا فرس واحد، كان رسول الله يركبه، ولقد كان يظهرنا ويعيننا على من خالفنا، واعلم ياعمرو أن أطوع الناس لله أشدهم بغضاً للمعاصي، فأطع الله، ومر أصحابك بطاعته(1)، وشرع الصديق في إمداد الجيوش الإسلامية ببلاد الشام، بالرجال، والسلاح، والخيول، ومايحتاجونه ودعا هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وقال له: ياهاشم، إن من سعادة جدِّك، ووفاء حظك أنك أصبحت ممن تستعين به الأمة على جهاد عدوها من المشركين، وممن يثق الوالي بنصيحته ووفائه وعفافه وبأسه، وقد بعث إليّ المسلمون يستنصرون على عدوهم من الكفار، فسر إليهم فيمن تبعك، فإني نادب الناس معك، فاخرج حتى تقدم على أبي عبيدة أو يزيد، قال: لا، بل على أبي عبيدة، قال: فاقدم على ابي عبيدة. وقام أبو بكر ◀ في الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإن إخوانكم من المسلمين معافون، مدفوع عنهم، مصنوع لهم، وقد ألقى الله الرعب في قلوب عدوهم منهم، وقد اعتصموا بحصونهم، وأغلقوا أبوابها دونهم عليهم، وقد جاءتني رسلهم يخبرونني بهرب هرقل ملك الروم من بين أيديهم حتى نزل قرية من قرى الشام في أقصى الشام، وقد بعثوا إليَّ يخبرونني أنه قد وجه إليهم هرقل جنداً من مكانه ذلك، فرأيت أن أمد إخوانكم المسلمين بجند منكم، يشدد الله بهم ظهورهم، ويكبت بهم عدوهم، ويلقي بهم الرعب في قلوبهم، فانتدبوا -رحمكم الله- مع هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، واحتسبوا في ذلك الأجر والخير، فإنكم إن نصرتم فهو الفتح والغنيمة وإن تهلكوا فهي الشهادة والكرامة ثم انصرف أبو بكر ◀ إلى منزله، ومال الناس على هاشم حتى كثروا عليه، فلما أتموا ألفاً أمره أبو بكر أن يسير، فجاءه فسلم عليه وودّعه، فقال له أبو بكر ◀: ياهاشم، إنا إنما كنا ننتفع من الشيخ الكبير برأيه ومشورته وحسن تدبيره، وكنا ننتفع من الشاب بصبره وبأسه ونجدته، وإن الله-عزوجل- قد جمع لك الخصال كلها، وأنت حديث السن، مستقبل الخير، فإذا لقيت عدوك فاصبر وصابر، واعلم أنك لاتخطو خطوة، ولا تنفق نفقة ولايصيبك ظمأ ولانصب ولامخمصة في سبيل الله إلا كتب الله لك به عملاً صالحاً، إن الله لايضيع أجر المحسنين فقال هاشم: إن يرد الله بي خيراً يجعلني كذلك، وأنا أفعل ولاقوة إلا بالله، وأنا أرجو إن أنا لم أُقْتَل أن أَقْتُل، ثم أُقْتَل إن شاء الله، فقال له عمه سعد بن أبي وقاص ◀: يابن أخي، لاتطعن طعنة، ولاتضربن ضربة إلا وأنت تريد بها وجه الله، واعلم أنك خارج من الدنيا رشيداً، وراجع إلى الله قريباً، ولن يصحبك من الدنيا إلى الآخرة إلا قدم صدق قدّمته، أو عمل صالح أسلفته، فقال: أيْ عم، لاتخافن مني غير هذا، إني إذا لمن الخاسرين، إن جعلت حليَّ وارتحالي، وغدوي ورواحي، وسيفي وطعني برمحي، وضربي بسيفي رياء للناس ثم خرج من عند أبي بكر ◀ فلزم طريق أبي عبيدة

---

(1) خطب أبي بكر الصديق، محمد أحمد عاشور، ص92.

حتى قدم عليه، فتباشر بمقدمه المسلمون، وسُرُّوا به(1)، وبعد ذهاب هاشم بن عتبة بمدة، أمر أبو بكر بلالا، فنادى في الناس ألا انتدبوا أيها المسلمون مع سعيد بن عامر بن حذيم إلى الشام فانتدب معه سبعمائة رجل في أيام يسيرة، فلما أراد سعيد بن عامر الشخوص بالناس أتى بلال أبا بكر. فقال: ياخليفة رسول الله، إن كنت إنما اعتقتني لأقيم معك، وتمنعني مما أرجو لنفسي فيه الخير أقمت معك وإن كنت إنما اعتقتني لله لأملك نفسي وأضرب فيما ينفعني فخلّ سبيلي حتى أجاهد في سبيل ربي، فإن الجهاد أحب إليَّ من المقام... فقال له أبو بكر: أما إذا كان هواك في الجهاد فلم أكن لآمرك بالمقام، إنما كنت أريد للأذان، وإني لأجد لفراقك وحشة يابلال، فما بدَّ من التفرق فرقة لالقاء بعدها أبداً حتى يوم البعث، فاعمل عملاً صالحاً يابلال يكن زادك من الدنيا ويذكرك الله به ماحييت، ويحسن لك به الثواب إذا توفيت. فقال بلال: جزاك الله من وليّ نعمة وأخ في الإسلام خيراً، فوالله ما أمرك لنا بالصبر على طاعة الله والمداومة على الحق والعمل الصالح ببدع، وما أريد أن أؤذّن لأحد بعد رسول الله ⇨ ثم خرج بلال مع سعيد بن عامر بن حذيم، وكان أبو بكر قد أمر سعيد بن عامر أن يسير حتى يلحق بيزيد بن أبي سفيان، فسار حتى لحقه، فشهد معه وقعة العَرَبَة والداشنة(2).

وكانت وفود الجهاد تتوافد على المدينة ويقوم الصديق بتوجيهها إلى الجبهات، وكانت بعض الوفود من أهل القرى، فيهم جهل وجفاء فكان أهل المدينة من صحابة وتابعين يحتملون أذى بعض الوفود الذين لم يتلقوا تربية إسلامية كافية، ويرفعون أمر مايلاقونه منهم إلى خليفة رسول الله، ولم يذكر أنه حصل نزاع بينهم مع كثرة الوفود التي وفدت على المدينة، وكان أبو بكر الصديق قد ناشد المجتمع المدني(3) وقال لهم: نشدتك الله امرءاً مسلماً، سمع نشدي لما كفّ عن هؤلاء القوم ومن رأى لي عليه حقا فليحتمل ذرب(4)، ألسنتهم، وعجلة يكرهها منهم مالم يبلغ ذلك الحد، فإن الله مهلك بهؤلاء أعداءنا، جموع هرقل والروم، وإنما هم إخوانكم فإن كانت منهم عجلة على أحد منكم فليحتمل ذلك، ألم يكن ذلك أصوب في الرأي وخيراً في المعاد من أن يُنتصر منهم؟

قال المسلمون: بلى

قال: فإنهم إخوانكم في الدين، وأنصاركم على الأعداء ولهم عليكم حق، فاحتملوا ذلك لهم، ثم نزل من على المنبر(5).

---

(1) فتوح الشام للأزدي، ص33-35.

(2) نفس المصدر، ص35-38 بتصرف.

(3) التاريخ الاسلامي (224/9).

(4) يعني: حدتها وشدتها.

(5) التاريخ الاسلامي للحميدي (223/9).

خامساً: توجيه خالد إلى الشام، ومعركة اجنادين واليرموك:

كانت قيادة الجيوش الإسلامية بالشام تتابع تطور حركة الجيوش الرومانية وشعر القادة بخطورة الموقف، فعقدوا مؤتمراً بالجولان وكتب أبو عبيدة إلى الخليفة يشرح له الموقف وفي الوقت نفسه قرروا الانسحاب من جميع الأراضي التي تم فتحها وتجمعوا في مكان واحد ليتمكنوا من احباط خطة الرومان واجبارهم على خوض معركة فاصلة تخوضها كل الجيوش الإسلامية وكان عمرو بن العاص اشار على القادة أن يكون التجمع باليرموك، وجاء رأي الصديق مطابقاً لرأي عمرو بن العاص(1) في اختيار مكان التجمع واتفقوا ان يتم الانسحاب مع تجنب الاشتباك مع العدو فانسحب ابو عبيدة من حمص وانسحب شرحبيل بن حسنة من الأردن وانسحب يزيد بن أبي سفيان من دمشق وأخذ عمرو بن العاص من الانسحاب تدريجياً من فلسطين(2)، ولكنه لم يستطيع الانسحاب منها حتى نجده خالد بن الوليد قبل اليرموك، فظل يناور في بئر السبع لمتابعة الروم له وبذلك شن المسلمون هجوماً مضاداً فكانت معركة اجنادين(3).

عندما استلم الصديق رسالة أبي عبيدة وشرح له فيها الموقف امره بالانسحاب إلى اليرموك والتجمع هناك وقال له: بث خيلك في القرى والسوداء وضيق عليهم بقطع الميرة والمادة ولاتحاصروا المدائن حتى يأتيك امري، فإن ناهضوك فانهد لهم واستعن بالله عليهم فإنه ليس يأتيهم مدد إلا امددناك بمثلهم(4) وجاء في رواية: إن مثلكم لايؤتى من قلة، إنما يؤتى العشرة الآلاف إذا أوتوا من تلقاء الذنوب، فاحترسوا من الذنوب، واجتمعوا باليرموك متساندين وليُصَلّ كل رجل منكم بأصحابه(5)، وكان توجيه الصديق للجيوش بأن يجتمعوا ويكونوا عسكراً واحداً، وأن يلقوا زحوف المشركين بزحف المسلمين وقال لهم: بأنكم أعوان الله، والله ناصر من نصره وخاذل من خذله(6).

ونرى من خلال رسائل الصديق بأنه وضع أساس النصر للجيوش بطاعتها لله أولا فالخذلان يأتي بالمعاصي والذنوب، وعمل الصديق على تجميع الجيوش في مكان واحد حتى لايستغل العدو فترة انتشارهم في البلاد لينهك قواهم الواحد بعد الآخر، كما أن تعيينه لليرموك دال على دراسة الصديق لجغرافية الأرض في عصره وإدراكه لمواقعها وهذا فقه حربي عظيم وفقه الله عزوجل له وقرر الصديق أن

---

(1) العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين، ص148.

(2) نفس المصدر ، ص148.

(3) حروب الاسلام في الشام، احمد محمد، ص45.

(4) العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين، ص148.

(5) تاريخ الطبري (211/4).

(6) تاريخ الطبري (211/4).

ينقل خالد بن الوليد بجيشه إلى الشام وأن يتولى قيادة الجيوش بها، فالأمر بالشام يحتاج إلى قائد يجمع بين قدرة أبي عبيدة، ودهاء عمرو، وحنكة عكرمة، وإقدام يزيد، وأن يكون صاحب قدرة عسكرية فائقة، مع قدرة على حسم الأمور، وصاحب دهاء وحيلة وإقدام، وصاحب حنكة ودراية مع دقة في تقدير المواقف وصاحب تجربة طويلة في المعارك(1)، فوقع اختيار الصديق على خالد بن الوليد فكتب إليه بالعراق ونفذ ابن الوليد تعاليم الخليفة ووصل بجيشه إلى الشام بعد رحلة عبر الصحراء لم يذكر التاريخ شبيها لها وقد بينت ذلك، فكانت إمدادات الصديق تتواصل على الشام ويضع الخطط المتطورة ويرد على أساليب الأعداء التكتيكية والمعنوية والمادية التي كان هدفها اشغال الصديق عن هدفه حتى قال قادة الروم: والله لنشغلن أبا بكر عن أن يورد الخيول إلى أرضنا(2)، وكان رد الصديق: والله لاشغلن النصارى عن وساوس الشيطان بخالد بن الوليد(3)، وقد حققت توجيهات الصديق عدة أمور منها توحيد جيش المسلمين في الشام، وتوحيد قيادة هذا الجيش بأمرة خالد، وتحديد موقع اللقاء وهذا يؤكد وضوح الرؤية عند الخليفة أبي بكر في تحريك الجيوش، فكان عندما ارسلها من المدينة خرجت في طرق متباعدة نسبياً فكانت على شكل رؤوس حراب أو على شكل مروحة وهو عبارة مايعرف بحركة الانتشار في الجيوش الحديثة، وعندما حان وقت الاشتباك واللقاء الفاصل جمعها مع بعضها في موقع اختاره لها، فقد ظهرت قدرته البارعة في استعمال الجيوش وهو مااتفق على تسميته (بالاستراتيجية) في العلم العسكري الحديث(4)، وكان الصديق كقائد عام للجيوش الإسلامية يحرص على حضوره المعنوي في ميدان القتال، بالأوامر، مع ماكانت تتميز به تلك الأوامر من تبصر وبعد نظر ونفاذ في البصيرة، وبداهة في فهم الوضع العسكري على أرض المعركة، وبالتالي سرعته في تحريك القوى وفقاً لهذا الوضع وبما يلائمه تمام الملاءمة، وحسن اختياره للقادة الذين كانوا، بفعل الثقة المتبادلة بينه وبينهم، يقرأون أفكاره ويحسون برغباته ونواياه، فتتجسد في مخيلتهم فكرة المناورة التي يعتزم تنفيذها، ويقومون بتنفيذها كما لو كان الخليفة ينفذها، وبواسطة هذه الوسائل، كان الخليفة يدير المعارك على الجبهات المختلفة كأنما هو حاضر في كل منها، بحيث يحس الجيش، قادة وجنوداً، كأن الخليفة نفسه معهم يقودهم ويوجههم، فيأتي عملهم مطابقاً تمام المطابقة لما يريد ويرغب، ووفقاً لأوامره وتوجيهاته(5).

وعندما أرسل الصديق إلى خالد يأمره بالتوجه إلى الشام وتولي الجيوش هناك، قام الصديق بإرسال

---

(1) تاريخ الدعوة الى الاسلام، ص359، 360.

(2) البداية والنهاية (5/7).

(3) نفس المصدر (5/7).

(4) الفن العسكري الاسلامي، ص89؛ ابوبكر الصديق، الحديثي، ص60.

(5) الفن العسكري الاسلامي، ص98.

رسالة إلى أبي عبيدة يخبره فيها بتولية خالد عليه ويأمره فيها بالسمع والطاعة وبين فيها سبب توليه خالد: أما بعد فإني قد وليت خالداً قتال الروم بالشام، فلا تخالفه واسمع له واطع أمره. فإني وليته عليك وأنا أعلم أنك خير منه، ولكن ظننت أن له فطنة في الحرب ليست لك أراد الله بنا وبك سبيل الرشاد والسلام عليك ورحمة الله وبركاته(1)، وكانت رسالة خالد إلى أخيه أبي عبيدة قد قطعت المسافات من العراق إلى الشام واستقرت في قلبه الغني بالإيمان والزهد في هذه الدنيا الفانية وهذا نصها:

لأبي عبيدة بن الجراح من خالد بن الوليد. سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد فإني أسأل الله لنا ولك الأمن يوم الخوف والعصمة في دار الدنيا، فقد آتاني كتاب خليفة رسول الله يأمرني فيه بالمسير إلى الشام، وبالمقام على جندها والتولّي على أمرها والله ماطلبت ذلك ولا أردته، ولاكتبت إليه فيه، وأنت رحمك الله على حالك الذي كنت به: لايُعصَى في أمرك ولايخالف رأيك، ولايقطع أمر دونك، فأنت سيد من سادات المسلمين لاينكر فضلك، ولايستغنى عن رأيك، تمّم الله مابنا وبك من نعمة الإحسان ورحمنا وإياك من عذاب النار. والسلام عليك ورحمة الله(2)، وكان مع حامل الرسالة، خطابا من خالد موجهاً إلى المسلمين بالشام جاء فيه: ... أما بعد فإني أسأل الله الذي أعزنا بالإسلام وشرفنا بدينه، وأكرمنا بنبيه محمد ﷺ، وفضلنا بالإيمان، رحمة من ربنا لنا واسعة، ونعمة منه علينا سابغة، أن يتم مابنا وبكم من نعمته، واحمدوا الله عباد الله يزدكم، وارغبوا إليه في تمام العافية يُدمْها لكم، وكونوا له على نعمه من الشاكرين.

وإن كتاب خليفة رسول الله أتاني يأمرني بالمسير إليكم، وقد شمّرت وانكمشت وكأن خيلي قد أطلّت عليكم في رجال، فأبشروا بإنجاز موعود الله، وحسن ثوابه عصمنا الله وإياكم بالإيمان، وثبّتنا وإياكم على الإسلام، ورزقنا وإياكم حسن ثواب المجاهدين والسلام عليكم(3)، فلما قدم حامل الرسالتين عمرو بن الطفيل بن عمرو الأزدي على المسلمين وقرأ عليهم خطاب خالد بن الوليد وهم بالجابية، دفع إلى أبي عبيدة كتابه، فلما قرأه قال: بارك الله لخليفة رسول الله فيما رأى، وحيا الله خالداً بالسلام(4) إن هذا التعامل الرفيع بين هذين العظيمين يكشف لنا عن معاني الأخوة، المنبثقة عن التوحيد الصحيح والمحفوفة بسياج الأخلاق الحميدة التي كان يتصف بها صحابة رسول الله، فإن خالداً لم تتغير نفسه أو يشعر بعلو على إخوانه بسبب فتوحاته في العراق وثقة الخليفة به، بل يعترف بالفضل لأهله، ويعلن طاعته لأبي عبيدة بن الجراح الذي ولي الأمر من بعده، وفي مقابل ذلك نجد أبا عبيدة بن الجراح الذي يبارك هذا الأمر ويحيِّ خالداً، وهذا يدل على تجرد خالد وأبي عبيدة من حظوظ النفس

---

(1) مجموعة الوثائق السياسية، ص392،393.
(2) نفس المصدر، ص392.
(3) فتوح الشام للأزدي، ص68–72 نقلاً عن الحميدي.
(4) نفس المصدر، ص68–72.

وإيثارهم لمصلحة الأمة، وإرادتهم وجه الله في أعمالهم(1)، وفي هذا درس عظيم لأبناء الأمة على مستوى الحكومات، والحركات، والشيوخ والدعاة، والقادة والزعماء في التعامل فيما بينهم عند التعيين أو العزل أو الفصل.

1-معركة اجنادين:

وصل خالد إلى الشام وفتح بصرى واجتمع بقادة المسلمين أبي عبيدة وشرحبيل بن حسنة، ويزيد بن أبي معاوية، ودرس الموقف العسكري، واطلع على أدق تفاصيله، كما اطلع على موقف عمرو بن العاص الذي كان ينسحب بمحاذاة ضفة نهر الأردن لكي يلتقي بجيوش المسلمين الأخرى ومحاذراً الاشتباك بالجيش الرومي الذي كان يتعقبه وقد حاول قائد هذا الجيش أن يجر جيش عمرو للاشتباك معه في معركة فاصلة إلا أن عمرو كان تمام اليقظة والحذر وعلى علم تام بأنه ليس من مصلحته الاشتباك في مثل هذه المعركة لأن جيشه لم يكن يتجاوز السبعة آلاف بينما كان جيش الروم يزيد على سبعة آلاف وبعد أن درس خالد الموقف العسكري رأى أن أمامه خيارين فأما أن يسرع وينظم إلى جيش عمرو ويخوض واياه معركة فاصلة فيقضي على قوة الروم الكبيرة فيتعزز الموقف العسكري للجيش الإسلامي ويصون خط رجعته ويحمي جناحه الايسر ويثبت أقدام المسلمين في فلسطين وإما أن يقف مكانه ويوعز إلى عمرو بالانضمام إليه ثم ينتظر قوات الروم التي كانت تزحف نحوه من دمشق ليخوض معها معركة فاصلة، وقد فضل خالد أن يأخذ بالخيار الأول لأن التغلب على جيش الروم في فلسطين وتشتيته يحفظ للمسلمين خط رجعتهم ويعزز مركزهم، ويجعلهم في موقف يستطيعون معه تهديد الجيش الرومي ويجعلونه يتوقع حصول حركة التفاف من خلفه فيضطر للأخذ بتدابير خاصة للحماية تشغل جانباً من قواته فيصبح بذلك مدافعاً بعد أن كان مهاجماً فانحدر من اليرموك إلى سهل فلسطين بعدما أصدر أمره إلى عمرو بأن ينسحب متدرجاً جيش الروم حتى يصل جيش خالد فيطبقان عليه فارتد عمرو إلى اجنادين(2)، وعندما وصلت قوات خالد أصبح جيش المسلمين بحدود ثلاثين ألف مقاتل، وكان وصول خالد في الوقت المناسب فما أن اصطدمت قوات عمرو بالروم حتى انقض خالد بقواته الرئيسة، وجرت معركة عنيفة وكان لمهارة القائدين خالد وعمرو العسكرية دور كبير في تحقيق النصر الحاسم، حيث تم توجيه قوة اقتحامية اخترقت صفوف العدو حتى وصلت إلى قائد الروم فقتلوه وبمقتل القائد انهارت مقاومة الروم وهربوا في اتجاهات مختلفة(3).

وقد كانت اجنادين اول المعارك الكبيرة في بلاد الشام بين المسلمين والروم فلما انتهى خبر الهزيمة

---

(1) التاريخ الاسلامي للحميدي (231/9).

(2) اجنادين: موضع معروف من نواحي فلسطين. (ياقوت، المعجم ، 203/1).

(3) أبوبكر رضي الله عنه، نزار الحديثي، ص70.

◀ إلى قيصر الروم هرقل وهو في حمص شعر بمدى الكارثة(1)، وكتب خالد بن الوليد إلى أبي بكر بفتح الله عزوجل عليه وعلى المسلمين: لعبد الله أبي بكر خليفة رسول الله من خالد ابن الوليد، سيف الله المصبوب على المشركين، أما بعد، سلام عليكم، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإني أخبرك أيها الصديق أنّا التقينا نحن والمشركون وقد جمعوا لنا جموعاً جمة كثيرة بأجنادين، وقد رفعوا صُلُبهم ونشروا كتبهم، وتقاسموا بالله، لايفرُّون حتى يُصنونا، أو يخرجونا من بلادهم، فخرجنا إليهم واثقين بالله متوكلين على الله، فطاعنّاهم بالرماح، ثم صرنا إلى السيوف، فقارعنهم في كل فج وشعب وغائط، فأحمد الله على إعزاز دينه، وإذلال عدوه، وحسن الصنع لأوليائه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فلما وصل الكتاب إلى أبي بكر رحمة الله عليه فرح به، وأعجبه، وقال: الحمد لله الذي نصر المسلمين، وأقر عيني بذلك(2).

2-اليرموك:

عادت بواكير النصر من وقعة اجنادين بعد الانتصار الكبير الذي حققه المسلمون في هذه الوقعة وهزيمة الروم واطمئن المسلمون إلى ماحققوه من نصر في اجنادين، واجتمعت جيوش المسلمين في اليرموك تنفيذا لأمر الخليفة الصديق، وتحركت جيوش الروم بقيادة تيدور ونزلت في منزل واسع الطعن واسع المطرد ضيق المهرب، فسارت حشود الروم حتى نزلوا الواقوصة قريباً من اليرموك.

-قوات الطرفين:

- المسلمون 40 ألف مقاتل وقيل 45 ألفا بقيادة خالد بن الوليد.
- الروم: يقدر عدد الروم بـ (240) الف بقيادة تيدور.

-قبل المعركة:

- المسلمون: وصل المسلمون بقيادة خالد بن الوليد باليرموك فعسكروا بها، حتى اجتمعت الروم مع امرائها على الضفة الجنوبية للنهر وقال عمرو بن العاص: (ابشروا ايها الناس فقد حصرت والله الروم، وقلما جاء محصور بخير)(3).

وخرج خالد بن الوليد باسلوب جديد لم يستخدمه العرب من قبل ذلك(4) فاستخدم اسلوب جديد وهو الكراديس، فخرج في ستة وثلاثين كردوساً إلى أربعين ورتب جيشه الترتيب الآتي:

-فرقاً وفيها من عشرة إلى عشرين كردوس ولها قائد وأمير.

---

(1) نفس المصدر، ص71.

(2) فتوح الشام للأزدي، ص84-93.

(3) العمليات التعرضية والدفاعية، ص163.

(4) البداية والنهاية (8/7).

-كراديس: الف مقاتل وله قائد وأمير(1).

وقسم جيشه إلى اربعين كردوساً وكما يلي:

فرقة القلب: مؤلفة من 18 كردوساً بقيادة أبو عبيدة بن الجراح ومعه عكرمة بن أبي جهل والقعقاع بن عمرو.

فرقة الميمنة مؤلفة من 10 كراديس بقيادة عمرو بن العاص ومعه شرحبيل بن حسنة.

فرقة الميسرة: مؤلفة من 10 كراديس بقيادة يزيد بن أبي سفيان.

فرقة الطليعة (المقدمة) من الخيالة والمخافر الامامية ومهمتها المراقبة والاستطلاع والاحتفاظ على التماس مع العدو ولذلك تكون فرقة صغيرة وخفيفة.

فرقة المؤخرة: مؤلفة من 5000 مقاتل (5 كراديس) بقيادة سعيد بن زيد ومهمتها قيادة الظعن (الأمور الإدارية) وكان القاضي (أبو الدرداء) وعلى الاقباض عبدالله بن مسعود، ومهمته تأمين الأمور الإدارية والاعاشة وجمع الغنائم، والقاري المقداد بن الاسود وكان يدور على الناس ويقرأ سورة الأنفال وآيات الجهاد لرفع المعنويات، وخطيب الجيش أبو سفيان بن حرب وهو يطوف على الصفوف(2) يحث الجند على القتال، والقائد العام خالد بن الوليد في الوسط وحوله كبار الصحابة وأعد الجيش الإسلامي بقيادة خالد بن الوليد في الوسط لكل شيء عدته وأخذ كل قائد من القواد يمر على جنده ويحثهم على الجهاد والصبر والمصابرة ورأى قادة المسلمين ان هذه المعركة هي معركة يتوقف عليها نتائج كبرى، وانها الحاسمة وكان خالد يعلم انه: ان رد الروم إلى خندقهم فسيظل يردهم وان هزموه فلن يفلح بعدها. أي أن هزيمة الروم في هذه المعركة تعني هزيمتهم في أرض الشام كلها وتفتح ابواب الشام على مصراعيها للمسلمين دون حواجز ولاعراقيل والانطلاق منها إلى مصر، فآسيا وأوربا(3).

- التعبئة الإيمانية:

ولما تراءى الجمعان وتبارز الفريقان، وعظ أبو عبيدة المسلمين، فقال: عباد الله، انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم فإن وعد الله حق، يامعشر المسلمين: اصبروا فان الصبر منجاة من الكفر، ومرضاة للرب، ومدحضة للعار، ولاتبرحوا مصافكم، ولاتخطوا إليهم خطوة، ولاتبدوهم بالقتال وأشرعوا الرماح، واستتروا بالدرق، والزموا الصمت إلا من ذكر الله في أنفسكم، حتى آمركم إن شاء الله تعالى. وخرج معاذ بن جبل على الناس، فجعل يذكرهم ويقول: يا أهل القرآن، ومستحفظي الكتاب وأنصار الهُدَى وأولياء الحق، إن رحمة الله لاتنال وجنته لاتدخل بالأماني، ولايؤتي الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا

---

(1) العمليات التعرضية والدفاعية، ص163.

(2) البداية والنهاية (8/7).

(3) العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين، ص164.

الصادق المصدق، ألم تسمعوا لقول الله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ....} (سورة النور، آية:55) فاستحيوا رحمكم الله من ربكم أن يراكم فُرّاراً من عدوكم، وأنتم في قبضته، وليس لكم ملتحد من دونه، ولاعز بغيره وقال عمرو بن العاص: يا أيها المسلمون، غضوا الأبصار، واجثوا على الركب، واشرعوا الرماح، فإذا حملوا عليكم فأمهلوهم حتى إذا ركبوا أطراف الأسنة فثبوا إليهم وثبة الأسد، فوالذي يرضى الصدق ويثيب عليه، ويمقت الكذب ويعاقب عليه، ويجزي بالإحسان إحساناً لقد سمعت أن المسلمين سيفتحونها كَفْراً كَفْراً وقَصْراً قَصْراً فلا يهولنكم جموعهم ولاعددهم، فإنكم لو صدقتموهم الشّدة تطايروا تطاير أولاد الحجل، وقال أبو سفيان: يامعشر المسلمين إنكم قد أصبحتم في دار العجم منقطعين عن الأهل، نائين عن أمير المؤمنين وامداد المسلمين، وقد والله أصبحتم بازاء عدو كثير عدده شديد عليكم حَنَقُه وقد وترتموهم في أنفسهم وأولادهم ونسائهم وأموالهم وديارهم، والله لاينجيكم من هؤلاء القوم، ولايبلغ بكم رضوان الله غداً إلا بصدق اللقاء والصبر في المواطن المكروهة فامتنعوا بسيوفكم وتعاونوا، ولتكن هي الحصون. ثم ذهب إلى النساء فوصّاهن(1) ثم عاد فنادى: يامعشر أهل الإسلام حضر ماترون فهذا رسول الله والجنة أمامكم والشيطان والنار خلفكم. ثم سار إلى موقفه(2) رحمه الله.

وقد وعظ الناس أبو هريرة فجعل يقول: سارعوا إلى الحور العين وجوار ربكم عزوجل في جنات النعيم، ما أنتم إلى ربكم في موطن بأحب إليه منكم في مثل هذا الموطن، ألا وإن للصابرين فضلهم وجعل أبو سفيان يقف على كل كردوس ويقول: الله الله إنكم ذادة العرب وأنصار الإسلام، وإنهم ذادة الروم وأنصار الشرك، اللهم إن هذا يوم من أيامك، اللهم أنزل نصرك على عبادك(3) قال رجل من نصارى العرب لخالد بن الوليد: ما أكثر الروم وأقل المسلمين!! فقال خالد: ويلك، أتخوفني بالروم؟ إنما تكثر الجنود بالنصر، وتقل بالخذلان لابعدد الرجال، والله لوددت أن الأشقر برأ من توجّيه وأنهم أضعفوا في العدد، وكان فرسه قد حفيَ واشتكى في مجيئه من العراق(4).

وجعل معاذ بن جبل كلما سمع أصوات القسيسين والرهبان يقول: اللهم زلزل أقدامهم،وارعب قلوبهم وأنزل علينا السكينة، وألزمنا كلمة التقوى، وحبب إلينا اللقاء، وارضنا بالقضاء(5).

5-الروم:

---

(1) البداية والنهاية (9/7).

(2) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية، ص163.

(3) البداية والنهاية (10/7).

(4) نفس المصدر (10/7).

(5) أبوبكر رجل الدولة، ص88.

أقبلت الروم في خيلائها وفخرها قد سدت اقطار تلك البقعة سهلها ووعرها كأنهم غمامة سوداء يصيحون بأصوات مرتفعة، ورهبانهم يتلون الأنجيل ويحثونهم على القتال(1)، ونزلت الروم الواقوصة قريباً من اليرموك وصار الوادي خندقاً عليهم وتعبأ الروم باستخدام اسلوب الكراديس في خطين كل خمسة في دائرة يفصل بينهما وبين الخمسة الأخرى فاصل ثم يأتي الخط الثاني وراء فرجات الخط الأول واتبع الروم في قتالهم الترتيب التالي:

-الرماة في المقدمة واجبهم أن ينشبوا القتال ثم الانسحاب إلى الوراء الاجنحة.

-الخيالة بالجناحين واجبهم حماية الرماة حتى انسحابهم من الخلف.

-الكراديس (المشاة) واجبهم الاقتحام.

قائد المقدمة جرجه.

قائد الجناحين ماهان والدراقص(2).

- المفاوضات قبل القتال:

ولما تقارب الناس تقدم أبو عبيدة، ويزيد بن أبي سفيان نحو جيش الروم، ومعهما ضرار بن الأزور، والحارث بن هشام، ونادوا إنما نريد أميركم لنجتمع به، فأذن لهم في الدخول على تَذَارِق وإذا هو جالس في خيمة من حرير. فقال الصحابة: لانستحل دخولها، فأمر لهم بفراش بسط من حرير، فقالوا: ولانجلس على هذه، فجلس معهم حيث أحبوا وتفاوضوا على الصلح، ورجع عنهم الصحابة بعدما دعوهم إلى الله عزوجل، فلم يتم ذلك(3).

وذكر الوليد بن مسلم، أن باهان طلب خالداً ليبرز إليه فيما بين الصفين فيجتمعا في مصلحة لهم. فقال باهان: إنا قد علمنا أن ما أخرجكم من بلادكم الجَهْد والجوع، فهلموا إلى أن أعطي كل رجل منكم عشرة دنانير وكسوة وطعاماً وترجعون إلى بلادكم، فإذا كان من العام المقبل بعثنا لكم بمثلها، فقال خالد: إنه لم يخرجنا من بلادنا ماذكرت، غير أنا قوم نشرب الدماء، وأنه بلغنا أنه لادم أطيب من دم الروم، فجئنا لذلك. فقال أصحاب باهان: هذا والله ماكنا نحدث به عن العرب(4).

- إنشاب القتال:

لما تكامل الاستعداد، ولم تنجح المفاوضات تقدم خالد إلى عكرمة بن أبي جهل، والقعقاع بن عمرو -وهما على مجنبتي القلب- أن ينشبا القتال، فبدرا يرتجزان ودعوا إلى البِراز، وتنازل الأبطال،

---

(1) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية، ص163.
(2) العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين، ص167.
(3) البداية والنهاية (10/7).
(4) نفس المصدر (10/7).

وتجاولوا وحمى الحرب وقامت على ساق.

هذا وخالد مع كردوس من الحماة الشجعان الأبطال بين يدي الصفوف، والأبطال يتصاولون بين يديه، وهو ينظر ويبعث إلى كل قوم من أصحابه بما يعتمدونه من الأفاعيل، ويدبر أمر الحرب أتم التدبير(1).

● إسلام أحد قادة الروم في ميدان المعركة:

وخرج جَرجَه أحد الأمراء الكبار من الصف واستدعى خالد بن الوليد فجاء إليه حتى اختلفت أعناق فرسيهما، فقال جرجة: ياخالد، أخبرني فاصدقني ولاتكذبني، فإن الحر لايكذب، ولاتخادعني فإن الكريم لايخادع المسترسل بالله، هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكه فلا تسلّه على أحد إلا هزمتهم؟ قال: لا، قال: فيم سميت سيف الله؟ قال: إن الله بعث فينا نبيه فدعانا فنفرنا منه ونأينا عنه جميعاً، ثم إن بعضنا صدّقه وتابعه وبعضنا كذّبه وباعده، فكنت فيمن كذّبه وباعده، ثم إن الله أخذ بقلوبنا، ونواصينا فهدانا به وبايعناه، فقال لي: أنت سيف من سيوف الله سله على المشركين(2)، ودعا لي بالنصر، فسميت سيف الله بذلك فأنا أشد المسلمين على المشركين، فقال جرجة: ياخالد إلى ماتدعون؟ قال: إلى شهادة أن لاإله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، والاقرار بما جاء به من عند الله عزوجل. قال: فمن لم يجبكم؟ قال: فالجزية ونمنعهم. قال: فان لم يعطها قال: نؤذنه بالحرب، ثم نقاتله. قال: فما منزلة من يجيبكم ويدخل في هذا الأمر اليوم؟ قال: منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا، شريفنا، ووضيعنا، وأولنا، وآخرنا. قال جرجة: فِلمن دخل فيكم اليوم من الأجر مثل مالكم من الأجر والذخر؟ قال: نعم وأفضل. قال: وكيف يساويكم وقد سبقتموه؟ فقال خالد: إنا قبلنا هذا الأمر عنوة وبايعنا نبينا وهو حيّ بين أظهرنا، تأتيه أخبار السماء، ويخبرنا بالكتاب، ويرينا الآيات، وحق لمن رأى مارأينا، وسمع ماسمعنا أن يسلم ويبايع، وإنكم أنتم لم تروا مارأينا، ولم تسمعوا ماسمعنا من العجائب والحجج، فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية، كان أفضل منا؟ فقال جَرجَة: بالله لقد صدقتني ولم تخادعني؟ قال: تالله لقد صدقتك وأن الله ولي ماسألت عنه. فعند ذلك قلب جَرجَة الترس ومال مع خالد وقال: علمني الإسلام، فمال به خالد إلى فسطاطه فسنّ عليه قِرْبة من ماء ثم صلى به ركعتين.

وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد وهم يرون أنها منه حَمْلة فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا المحامية، عليهم عكرمة بن أبي جهل، والحارث بن هشام(3).

---

(1) البداية والنهاية (10/7).

(2) نفس المصدر (13/7).

(3) البداية والنهاية (13/7).

● ميسرة الروم تحمل على ميمنة المسلمين:

تقدمت صفوف الروم واقبلت كقطع الليل للقيام بهجوم عام على الجيش الإسلامي وحملت ميسرتهم على ميمنة المسلمين فانكشف قلب الجيش الإسلامي من ناحية الميمنة واستطاع الروم احداث ثغرة في صفوف المسلمين والتسلل إلى مؤخرتهم فصاح معاذ بن جبل: ياعباد الله المسلمين إن هؤلاء شدوا للشد عليكم ولا والله لايردهم إلا صدق اللقاء والصبر في البلاء. ثم نزل عن فرسه وقال من أراد أن يأخذ فرسي ويقاتل عليه فليأخذه وآثر بذلك أن يقاتل راجلاً مع المشاة(1)، وثبتت قبائل الأزد ومذحج، وحضرموت وخولان، حتى صدوا أعداء الله ثم ركبهم من الروم أمثال الجبال، فزال المسلمون من الميمنة إلى القلب، وانكشف طائفة من الناس إلى العسكر، وثبت صُوْر من المسلمين عظيم يقاتلون تحت راياتهم، ثم تنادوا فتراجعوا حتى نَهْنَهوا من أمامهم من الروم، وأشغلوهم عن اتباع من انكشف من الناس، واستقبل النساء من انهزم من سَرعان الناس يضربنهم بالخشب والحجارة. فتراجع إلى مواقفهم(2).

فقال عكرمة بن أبي جهل: قاتلت رسول الله في مواطن وأفر منكم اليوم؟ ثم نادى: من يبايع على الموت؟ فبايعه عَمُّه الحارث بن هشام، وضرار بن الأزور في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم، فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى أُثْبِتوا جميعاً جراحاً، وقتل منهم خلق، منهم ضرار بن الأزور ◄(3).

وقد ذكر الواقدي وغيره أنهم لما صرعوا من الجراح استسقوا ماء، فجئ إليهم بشربة ماء فلما قرّبت إلى أحدهم نظر إليه الآخر فقال: ادفعها إليه، فلما دفعت إليه نظر إليه الآخر فقال: ادفعها إليه، فتدافعوها كلهم من واحد إلى واحد حتى ماتوا جميعاً ولم يشربها أحد منهم رضي الله عنهم أجمعين.

ويقال إن أول من قتل من المسلمين يومئذ شهيداً رجل جاء إلى أبي عبيدة فقال: إني قد تهيأت لأمري فهل لك حاجة إلى رسول الله ⇦ : قال: نعم، تقرئه عني السلام وتقول: يارسول الله إنا قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا، قال: فتقدم هذا الرجل حتى قتل رحمه الله. وثبت كل قوم على رايتهم حتى صارت الروم تدور كأنها الرحا، فلم تر يوم اليرموك إلا مُخّا ساقطا، ومعصماً نادراً، وكفاً طائرة من ذلك الموطن(4).

● ميمنة الروم تحمل على ميسرة المسلمين:

حملت ميمنة الروم بقيادة قناطر على ميسرة المسلمين حملة شديدة وكانت في ميسرة المسلمين

---

(1) العمليات التعرضية والدفاعية ، ص169.
(2) فتوح الشام للأزدي ، ص222.
(3) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية، ص170.
(4) البداية والنهاية (12/7).

قبائل كنانة، وقيس وخثم، وجذام وقضاعة وعاملة وغسان، فأزيلت عن مواضعها فانكشف قلب المسلمين من ناحية الميسرة، وركب الروم اكتاف من انهزم من المسلمين وتبعوهم حتى دخلوا معسكر المسلمين فاستقبلتهم نساء المسلمين بالحجارة واعمدة الخيام يضربنهم على وجوههم ويقلن لهم: أين عز الإسلام والامهات والازواج أين تفرون وتدعوننا للعلوج؟ فإذا زجرنهم خجل أحدهم من نفسه ورجع إلى القتال وقتلوا من الروم خلقاً كثيراً واستشهد في هذه المرحلة سعيد بن زيد، وحاولت ميسرة الروم مرة أخرى بشن الهجوم على ميمنة المسلمين: فشدوا على عمرو بن العاص وجنده في محاولة اختراق الصفوف لكي يقوموا بعملية التطويق، وقاتل عمرو وجنده عن مواضعهم إلا أن الروم تمكنوا من دخول معسكرهم ونزلت المسلمات من التل وأخذن يضربن وجوه الرجال المراجعين وقالت ابنة عمرو: قبح الله رجلا يفر عن حليلته، وقبح الله رجلا يفر عن كريمته، وقالت اخريات: لستم بعولتنا إن لم تمنعونا، وبذلك ارتدت إلى المسلمين عزائمهم ودخلوا القتال مرة أخرى وحمل المسلمون على الروم من جديد حتى أزاحوهم عن المواضع التي كسبوها(1).

- الحركة الافراجية والقضاء على مشاة الروم:

حمل خالد بمن معه من الخيالة على الميسرة التي حملت على ميمنة المسلمين فأزلوهم إلى القلب، فقتل من الروم في حملته هذه ستة آلاف، ثم قال: والذي نفسي بيده لم يبقى عندهم من الصبر والجَلَد غير مارأيتم، وإني لأرجو أن يمنحكم الله أكتافهم، ثم اعترضهم فحمل بمائة فارس معه على نحو من مائة الف فما وصل إليهم حتى انقضّ جميعهم، وحمل المسلمون عليهم حملة رجل واحد، فانكشفوا وتبعهم المسلمون لايمتنعون منهم(2)، وقامت ميمنة المسلمون بأغلاق المنافذ والثغرات في وجوه الروم وحصروا بين وادي اليرموك ونهر الزرقاء ودارت رحى المعركة وابلى المسلمون بها بلاءاً حسناً، واستطاع المسلمون أن يفصلوا فرسان الروم عن مشاتهم فحملوا على الروم وركبوا اكتافهم حتى ارهقوهم وبذلك اراد فرسان الروم مخرجاً لهم للفرار منه وبذلك امر خالد عمرو بن العاص بفسح المجال لهم في طريق الهرب ففعل ذلك وهرب فرسان الروم وبذلك تحرك مشاة الروم دون غطاء من خيالتهم فجاء المشاة إلى الخنادق وهم مقيدين بالسلاسل حتى صاروا كأنهم حائط وقد هدم وجاءهم المسلمون إلى خندقهم في ظلام الليل واخذ معظمهم ينهار بالوادي فإذا منهم شخص قتل سقط معه الجميع الذين كانوا مقيدين معه وقتل منهم المسلمون في هذه المرحلة خلقاً كثيراً قدر عددهم بمئة ألف وعشرون ألفا والناجون منهم قد انسحب منهم إلى فحل والقسم الآخر إلى دمشق داخل بلاد الشام(3).

---

(1) العمليات التعرضية والدفاعية ، ص174.

(2) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية، ص171؛ فتوح البلدان للأزدي ، ص171.

(3) العمليات التعرضية والدفاعية ، ص175.

وثبت يومئذ يزيد بن أبي سفيان، وقاتل قتالاً شديداً، وذلك أن أباه مرّ به فقال له: يابني عليك بتقوى الله والصبر، فإنه ليس رجل بهذا الوادي من المسلمين إلا محقوقاً بالقتال، فكيت بك وبأشباهك الذين ولوا المسلمين؟ أولئك أحق الناس بالصبر والنصيحة، فاتق الله يابني ولايكونن أحد من أصحابك بأرغب في الأجر والصبر في الحرب، ولا أجرأ على عدو الإسلام منك. فقال: أفعل إن شاء الله فقاتل يومئذ قتالاً شديداً وكان من ناحية القلب ◄(1)، وقال سعيد ابن المسيب عن أبيه قال: هدأت الأصوات يوم اليرموك فسمعنا صوتا يكاد يملأ المعسكر يقول: يانصر الله اقترب، الثبات الثبات يامعشر المسلمين، قال: فنظرنا فإذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد(2)، وأخر الناس صلاتي العشاء حتى استقر الفتح(3)، وأكمل خالد ليلته في خيمة تَذَارِق أخي هرقل-وهو أمير الروم كلهم يومئذ-(4)، وهرب فيمن هرب وباتت الخيول تجول حول خيمة خالد يقتلون من مَرّ بهم من الروم حتى أصبحوا، وقتل تَذارِق وكان له ثلاثون سرادقاً، وثلاثون رواقاً من ديباج بما فيها من الفرش والحرير، فلما كان الصباح حازوا ماكان هنالك من الغنائم(5)، وكان عدد شهداء المسلمين بثلاثة آلاف بينهم من صحابة النبي ⇨ وشيوخ المسلمين وأقطابهم وممن استشهد من هؤلاء عكرمة بن أبي جهل وابنه عمرو وسلمة بن هشام، وعمرو بن سعيد، وأبان بن سعيد وغيرهم(6)، وكان عدد قتلى الروم بمائة وعشرون ألفا ثمانون ألف مقيد بالسلاسل واربعين الف مطلق سقطوا جميعهم في الوادي(7)، لقد فرح المسلمون بهذا النصر العظيم، وعكّر ذلك الفرح وصول خبر وفاة الصديق حيث حزنوا عليه حزناً شديداً، وعوضهم الله تعالى بالفاروق رضي الله عنهم أجميعن(8)، وقد كان البريد قد قدم بموت الصديق والمسلمون مصافو الروم فكتم خالد ذلك عن المسلمين لئلا يقع في صفوفهم وهن أو ضعف، فلما تم النصر وأصبحوا أجلى لهم الأمر، وكان الفاروق قد عين أبا عبيدة بن الجراح بدلا من خالد بن الوليد على جيوش الشام، وتقبل خالد أمر الفاروق برحابة صدر(9)، وعزّى المسلمين في خليفة رسول الله وقال لهم: الحمد لله الذي قضى على أبي بكر بالموت، وكان أحب إليّ من عمر، والحمد لله الذي ولى

---

(1) فتوح البلدان للأزدي، ص228.
(2) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية، ص173.
(3) نفس المصدر، ص173.
(4) المصدر السابق، ص173.
(5) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية، ص173.
(6) العلميات التعرضية والدفاعية، ص179.
(7) نفس المصدر، ص179.
(8) البداية والنهاية (14/7).
(9) نفس المصدر (16/7).

عمر وكان أبغض إلي من أبي بكر وألزمني حبه(1)، وتولى أبو عبيدة القيادة العامة لجيوش الشام.

ومما قيل من الأشعر في يوم اليرموك قول القعقاع بن عمرو:

ألم تَرنا على اليرموك فُزنا
كما فُزنا بأيام العراق
وعذراء المدائن قد فتحنا
ومرجَ الصفرِ بالجرد العتاق(2)
فتحنا قبلها بُصرى وكانت
محرمة الجناب لدى النعاق(3)
قتلنا من أقام لنا وفينا
نهابهُمُ بأسياف رقاق
قتلنا الروم حتى ما تساوى
على اليرموك معروق الوراق
فضضنا جمعهم لما استجالوا
على الواقوص بالبتر الرقاق(4)
غداة تهافتوا فيها فصاروا
إلى أمرٍ يعضّلُ بالذواق(5)

وقد أصاب هرقل هما وحزناً، لما أصاب جيشه في اليرموك ولما قدمت على أنطاكية فلول جيشه قال هرقل: ويلكم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا بشراً مثلكم؟ قالوا: بلى فأنتم أكثر أم هم؟ قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافاً في كل موطن. قال فما بالكم تنهزمون؟ فقال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار، ويوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنا نشرب الخمر، ونزني، ونركب الحرام، وننقض العهد، ونغضب ونظلم ونأمر بالسخط وننهى عمّا يرضى الله ونفسد في الأرض، فقال: أنت صدقتني(6).

---

(1) المصدر السابق (14/7).

(2) العتاق: الخيول.

(3) النعاق: صوت الغراب.

(4) الواقوص: اسم موضع، البتر الرقاق: السيوف القاطعة.

(5) البداية والنهاية (15/7).

(6) البداية والنهاية (16/15/7).

المبحث الثالث

أهم الدروس والعبر والفوائد

أولاً: من معالم السياسة الخارجية في دولة الصديق:

رسمت خلافة الصديق ◀ أهدافاً في السياسة الخارجية، للدولة الإسلامية والتي كان من أهمها:

1-بذر هيبة الدولة في نفوس الأمم الأخرى:

فقد حققت سياسة الصديق هذا الهدف، بطرق عديدة منها:

أ-وصول أخبار الانتصارات التي أيد الله بها الأمة المسلمة في حروب الردة مما ساعد على وأد هذه الفتنة وتثبيت أركان الدولة، ومثل هذه الأخبار تصل إلى الدول المجاورة وبخاصة إذا كانت تتابع أنباء الدولة الإسلامية وترقب حركتها وترى فيها خطراً جديداً يهددها، وللفرس والروم في ذلك الوقت قدرة على معرفة الحوادث والأمور فلما وصلت أنباء المرتدين وثبات الناس على الدين أدركت الدولتان أن بنيان هذه الأمة الجديدة يستعصي على المؤامرات ويتجاوز المحن والابتلاءات، وهذا له وقعة في نشر هيبة دولة الإسلام.

ب-جيش أسامة: ظهر لجيش أسامة الذي أنفذه الصديق أثر بالغ في نشر هيبة الدولة الإسلامية، وقد جعل الروم يتساءلون عن الجيش الذي حاربهم وعاد منتصراً إلى عاصمة دولته فامتلأت قلوبهم فزعا حتى حشد هرقل عشرات الألوف من جيشه على الحدود، فقد نقلت تلك الأخبار إلى بلاد كسرى وتناقلها الناس مما كان له الأثر في هيبة المسلمين في قلوب هذه الدول(1).

2-مواصلة الجهاد الذي أمر به النبي ﷺ:

قام الصديق بمواصلة الجهاد لتأمين الدعوة ووصولها للناس، فجهز الجيوش وندب الناس للخروج إلى الجهاد في سبيل الله لنشر دعوة الحق، وإزاحة الطواغيت الذين رفضوا دعوة النبي ﷺ لهم بالإسلام، وصمموا على حجب نور الحق عن شعوبهم، وقد خرج الناس يلبون هذه الدعوة الحبيبة إلى النفوس تحت لواء قادة أصحاب بلاء وجهاد في سبيل الله أمثال خالد، وأبي عبيدة، وعمرو، وشرحبيل، ويزيد رضي الله عنهم اختارهم خليفة محنك مجرب ذو ملكة عسكرية عجيبة صقلتها الظروف التي أحاطت به والأزمات الخطيرة التي أحدقت بأمته مما دفعه إلى العناية بهذه الناحية فاختار القواد أحسن اختيار وأمدهم بتوجيهاته وإرشاداته ففتحوا الشام والعراق في أقصر وقت ممكن وبأقل كلفة متاحة(2).

3-العدل بين الأمم المفتوحة والرفق بأهلها:

كانت السياسة الخارجية للصديق قائمة على بسط لواء العدل على الديار المفتوحة ونشر الأمن والطمأنينة بين أهلها حتى يحس الناس بالفرق بين دولة الحق ودولة الباطل، وحتى لايظن الناس أنه قد ذهب جبار ظالم ليحل مكانه من هو أشد منه أو مثله في ظلمه وجبروته، ووصى أبو بكر قواده بالرحمة والعدل، والإحسان إلى الناس، فإن المغلوب يحتاج إلى الرأفة، وتجنب مايثير فيه حمية القتال، وحافظ

---

(1) تاريخ الدعوة الى الاسلام، ص259،260.

(2) نفس المصدر، ص260.

المسلمون الفاتحون على الإنسان والعمران فشاهدت الشعوب المفتوحة خلقاً جديداً في ذوق رفيع، وإنسانية صادقة، فقام ميزان الشريعة بين الأمم المغلوبة بالقسط، وانتشر نور الإسلام فأخذ يعد له مجامع القلوب، فسارعت الشعوب إلى اعتناق هذا الدين والإنضواء تحت لوائه، وكان جند الأعاجم من الفرس أو الروم إذا وطئوا أرضا دنسوها، ونشروا فيها الرعب والفزع وانتهكوا الحرمات مما قاسى منه الناس الويل والثبور وتناقلت الأجيال قصصه المرعبة والمفزعة جيلاً بعد جيل وقبيلاً إثر قبيل فلما جاء الإسلام ودخل جنده هذه الديار، فإذا بالناس يجدون العدل يبسط رداءه فوق رؤوسهم ويعيد إليهم آدميتهم التي انتزعها الظلم والطغيان، وقد حرص الصديق على هذه السياسة حرصا عظيما وكان يقوم أي عوج يظهر أو خطأ يقع روى البيهقي: أن الأعاجم كانوا إذا انتصروا على عدو استباحوا كل شيء من ملك أو أمير وكانوا يحملون رؤوس البشر إلى ملوكهم كبشائر للنصر وإعلان للفخر، فرأى أمراء المسلمين في حروب الروم أن يعاملوهم بنفس معاملتهم، فبعث عمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة برأس (بنان) أحد بطارقة الشام إلى أبي بكر مع عُقبة بن عامر فلما قدم عليه أنكر ذلك فقال له عقبة: ياخليفة رسول الله إنهم يصنعون ذلك بنا فقال: أفيستنان بفارس والروم، لايحمل إلي رأس إنما يكفي الكتاب والخبر(1).

4-رفع الإكراه على الأمم المفتوحة:

من معالم السياسة الخارجية عند الصديق ◀ رفع الإكراه عن الأمم المفتوحة فلم يكره أحد من الأمم أو الشعوب على دينه بالقوة، وهو في هذا ينطلق من قول الله تعالى: {أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}(سورة يونس، آية:99). والمسلمون أرادوا من الفتوحات إزالة الطغاة وفتح الأبواب أمام الشعوب لترى نور الإسلام أما وقد أزيل كابوس الظلم عن الناس فليتركوا أحراراً ولايكرهوا على شيء طالما حافظوا على عهدهم مع المسلمين والذي كان يشمل في بنوده:

أ-أن يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

ب-أن لايكون لهم مكان في بعض الوظائف كالجيش.

جـ-أن لايُكوِّنوا جهة معادية للإسلام في شعائره أو عباداته أو شريعته.

هـ-إذا غير أحدهم دينه السابق فلا يقبل منه إلا الإسلام.

وتقوم دولة الإسلام بتفسير الإسلام لهم عملياً ونظرياً بحيث يؤدي ذلك إلى إقتناعهم بهذا الدين ليدخلوا فيه عن رغبة فإن العقائد لاتستقر بالإكراه(2).

---

(1) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص123.

(2) تاريخ الدعوة الى الاسلام، ص263.

ثانيا: من معالم التخطيط الحربي عند الصديق:

إن المطالع للفتوحات في عهد الصديق ◀ يمكن له أن يستنتج خطوطاً رئيسة للخطة الحربية التي سار عليه وكيف تعامل هذا الخليفة العظيم مع سنة الأخذ بالأسباب؟ وكيف كانت هذه الخطة المحكمة عاملاً من عوامل نزول النصر والتمكين من الله عزوجل للمسلمين ومن هذه الخطوط مايلي:

1-عدم الإيغال في بلاد العدو حتى تدين للمسلمين:

كان الصديق ◀ حريصاً أشد الحرص على عدم الإيغال في بلاد العدو حتى تدين للمسلمين، وقد كان ذلك واضحاً تمام الوضوح في جبهات العراق والشام، ففي فتوح العراق، أرسل الصديق ◀ إلى خالد وعياض بتكليفهما بغزو العراق من جنوبه وشماله وجاء في الكتاب: وأيكما ماسبق إلى الحيرة فهو أمير على الحيرة فإذا اجتمعتما بالحيرة إن شاء الله وقد فَضَضْتُما مسالح مابين العرب وفارس(1)، وأمنتم أن يؤتى المسلمون من خلفهم، فليُقم بالحيرة أحدكم وليقتحكم الآخر على القوم وجالدوهم عما في أيديهم واستعينوا بالله واتقوه، وآثروا أمر الآخرة على الدنيا يجتمعا لكم، ولاتؤثروا الدنيا فتسلبوهما واحذروا ماحذركم الله بترك المعاصي ومعاجلة التوبة، وإياكم والإصرار وتأخير التوبة(2)، وهذا الكتاب الجليل يدل على فكر أبي بكر العالي وتخطيطه الدقيق، وقبل ذلك توفيق الله له، فقد جاء تخطيطه الحربي موافقاً تماماً لما اقتضته مصلحة الجيوش الإسلامية أثناء تطبيق هذه الخطة الحكيمة، وقد شهد ببراعة أبي بكر في التخطيط الحربي أخبر الناس بالحروب آنذاك وهو خالد بن الوليد، فإنه لما نهض للقيام بمهمة عياض في فتح شمال العراق ونزل بكربلاء واشتكى إليه المسلمون ماوقعوا فيه من التأذي بذُبابها الكثيف قال لعبدالله بن وثيمة: اصبر فإني إنما أريد أن أستفرغ المسالح التي أمر بها عياض فنُسكنها العرب فتأمن جنود المسلمين أن يؤتوا من خلفهم، وتجيئنا العرب آمنة وغير متعتعة، وبذلك أمرنا الخليفة، ورأيه يعدل نجدة الأمة(3)، وقد سار على هذه الخطة بالعراق المثنى بن حارثة حيث يقول ذلك القائد الفذ: قاتلوا الفرس على حدود أرضهم على أدنى حجر من أرض العرب، ولاتقاتلوهم بعقر دارهم، فإن يظهر الله المسلمين فلهم ماوراءهم، وإن كانت الأخرى رجعوا إلى فئة ثم يكونون أعلم بسبيلهم وأجرأ على أرضهم إلى أن يرد الله الكرة عليهم(4)، وأما في فتوحات الشام، فقد كانت الصحراء من خلف المسلمين حماية لهم ومع هذا كان المسلمون يتأكدون أولا من أن عدوهم قد انقطع أمله في مفاجأتهم

---

(1) يعني تفريق التجمعات الحربية التي دون بلاد فارس.

(2) تاريخ الطبري (188/4، 189).

(3) نفس المصدر (189/4).

(4) الإصابة (568/5) رقم 7736؛ تاريخ الدعوة الى الاسلام، ص331.

من خلف ظهورهم، وأن يستولوا على مايقع بيمينهم وشمالهم من المدن والبلاد، وسدَّ كل ثغر بالمقاتلة، وقد كانت تلك القاعدة مرعية عندهم يحرصون عليها أشد الحرص(1).

2- التعبئة وحشد القوات:

عندما تولى الصديق الخلافة وضع من خطوط الإعداد الحربي: التعبئة وحشد القوات، وقد ناد المسلمين لحروب الردة ثم استنفرهم بعدها للفتوحات وأرسل الى أهل اليمن كتابه المعروف في ذلك(2).

3- تنظيم عملية الإمداد للجيوش:

حينما تطورت معارك الجبهة الشرقية ووجد قائدا الجبهة -خالد والمثنى- أنهما في حاجة الى مدد بشري لأن الطاقة التي معهما لاتستطيع تلبية المعركة في متطلباتها وواجباتها فكتبا إلى الصديق ◀ يلتمسان المدد فقال لهما: استنفرا من قاتل أهل الردة، ومن بقى على الإسلام بعد رسول الله ⇨ ولايغزون أحد ارتد حتى أرى رأيي(3) وشرع في إمداد جبهات العراق والشام حتى اللحظات الأخيرة من حياته.

4-تحديد الهدف من الحرب:

وضعت هذه النقطة في خطة الحرب الإسلامية في الفتوحات لتكون هدف العمليات الذي يسعى إليه الجميع، وقد وضع الصديق خطته في هذه القضية على أساس أن يعلم كل فرد مقاتل أن هدف المسلمين من هذه الفتوحات نشر الإسلام وتبليغه إلى الشعوب بإزالة الطواغيت الذين يحرمون شعوبهم من هذا الخير العميم، فقد كان القادة يعرضون على عدوهم قبل المعركة واحدة من ثلاث: الإسلام أو الجزية أو الحرب(4).

5-إعطاء الأفضلية لمسارح العمليات:

قاد الصديق ◀ بنفسه أولى العمليات الحربية ضد المرتدين، ونظم الجيوش لحربهم ولم يهمل بقية المسارح فوجه أسامة إلى الشام، والمثنى إلى العراق، وكرس جهود المسلمين في السنة الأولى للقضاء على الردة، وعندما تمت عملية إعادة توحيد الجزيرة وأصبح بالإمكان الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة، وجه ثقل العمليات إلى الجبهتين العراقية والشامية، وعندما احتاجت الجبهة الشامية إلى المدد، نقل الصديق محور ثقل الهجوم إلى الشام، ووجه خالداً إليه-وترك المثنى في الجبهة العراقية.

---

(1) تاريخ الدعوة الى الاسلام، ص331.

(2) نفس الصدر، ص332.

(3) تاريخ الطبري (163/4).

(4) تاريخ الدعوة الى الاسلام، ص332.

6-عزل ميدان المعركة:

عندما بدأ الصديق ◄ باستنفار القوات لحرب الروم والفرس أرسل خالد بن سعيد إلى تبوك بمهمة الى مناطق الحشد، ومحاور التقدم، وأمره أن يكون ردءاً للمسلمين، وعندما فشل في هذا الواجب وتجاوزه قام عكرمة بن أبي جهل به(1).

7-التطور في أساليب القتال:

كتب الصديق إلى أبي عبيدة عندما بلغه تقدم جيوش الروم وانضمام أهل دمشق إليهم مايلي: بث خيولك في القرى والسواد، وضيق عليهم الميرة والمادة، ولاتحاصرن المدائن حتى يأتيك أمري(2)، وعندما دعمه بقوات كافية كتب له:فإن ناهضوك، فانهد لهم واستعن بالله عليه فإنه ليس يأتيهم مدد إلا أمددناك بمثلهم(3).

8-سلامة خطوط الاتصال مع القادة:

كانت خطوط الاتصال بين الصديق وقادة المعارك منظمة ومنتظمة بحيث تصل المكاتبات من القادة في أمان، وتصل ردود الخليفة في سرية تامة وسرعة متقدمة لاتسمح للعدو أن يفاجأ المسلمين بشيء لايتوقعونه، وهكذا كانت الخطط الحربية عند المسلمين محكمة دقيقة مما كان عاملاً من عوامل دحر الأعداء والتغلب عليهم بفضل الله في حركة الفتوح(4).

9-ذكاء الخليفة وفطنته:

امتازت الخطط الحربية الإسلامية في بداية الفتوحات بوجود العقل المدبر، ذي الفطنة والذكاء، والكياسة والفراسة، وهو الصديق وقد ساعد أبو بكر على فهمه الواسع للتخطيط العسكري طول ملازمته للنبي ⇦، فقد تربى على تعليمه وتوجيهاته، فكسب علوماً شتى، وخبرات متنوعة، فقام بعد رحيل رسول ⇦ في مقام الخلافة خير قيام، فحمل البصيرة الواعية، وزود الجيش بالنصائح الغالية، وأرسل الإمدادات في أوقاتها تسعف المجاهدين، وتمدهم بالهمة والعزيمة الماضية(5).

ثالثا: حقوق الله، والقادة، والجنود من خلال وصايا الصديق:

---

(1) نفس المصدر، ص334.

(2) العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين، ص148.

(3) تاريخ الدعوة الى الاسلام، ص334.

(4) نفس المصدر، ص334.

(5) تاريخ الدعوة الى الاسلام، ص336.

1-حقوق الله:

بين الخليفة في توجيهاته للقادة والجنود حقوق الله تعالى، كمصابرة العدو، واخلاص قتالهم لله، وأداء الأمانة، وعدم الممالئة والمحاباة في نصرة دين الله.

أ-مصابرة العدو:

حين وجه أبو بكر ◀ عكرمة بن أبي جهل ◀ إلى عمان كان مما أوصاه به قوله: واتق الله فإذا لقيت العدو فاصبر(1)، كما قال الصديق ◀ لهاشم بن عتبة بن أبي وقاص: عندما وجهه مدداً لجند الشام: إذا لقيت عدوك فاصبر وصابر واعلم أنك لاتخطو خطوة ولاتنفق نفقة ولايصيبك ظمأ ولامخمصة في سبيل الله إلا كتب الله لك به عملاً صالحاً إن الله لايضيع أجر المحسنين(2).

ب-أن يقصدوا بقتالهم نصرة دين الله:

فقد جاء في خطاب الصديق لخالد حين أمره بالذهاب للشام مايفيد هذا المعنى حيث ذكره بأن يجتهد ويخلص النية لله وحده، وحذره من العجب بالنفس والزهو والفخر فذلك حظ النفس الذي يفسد العمل على العامل ويرده في وجهه، كما حذره أن يدل ويمن على الله بالعمل الذي يعمله فإن الله هو المان به إذ التوفيق بيده سبحانه(3) وهذا بعض ماجاء في تلك الرسالة:... فليهنئك أبا سليمان النية والحظوة، فأتمم يتم الله لك، ولايدخلنك عجب فتخسر وتخذل، وإياك أن تدل بعمل، فإن الله له المن وهو ولي الجزاء(4).

ج-أداء الأمانة:

وقد كانت توجيهات الصديق لأمرائه وجنوده واضحة في وجوب أن يؤدوا الأمانة فيما حازوه من الغنائم ولايغل أحد منهم شيئاً بل يحمل جميعه إلى المغنم ليقسم بين جميع الغانمين ممن شهدوا الواقعة وكانوا على العدو يداً واحدة(5)، وعلى سبيل المثال ماجاء في وصية الصديق ليزيد بن أبي سفيان في النهي عن الغلول(6)، هذه بعض توجيهات الصديق مما يتعلق ببعض حقوق الله على القادة والجنود.

---

(1) عيون الأخبار (188/1).

(2) فتوح الشام للأزدي، ص34.

(3) تاريخ الدعوة الى الاسلام، ص295.

(4) تاريخ الطبري (202/4).

(5) الإدارة العسكرية في الدولة الاسلامية (46/1).

(6) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص121.

2-حقوق القائد:

وقد بين الخليفة الصديق حقوق القادة على الجنود والرعية، كالتزام طاعته، والمسارعة إلى امتثال أمره، وعدم منازعته في شيء من قسمة الغنائم وغير ذلك.

أ-التزام طاعته:

فعندما تولى أبو بكر ◀ بعد أن تولى الخلافة كان أول شيء نبه المسلمين إليه في خطاب التولية أنه سائر على نهج رسول الله ⇨ كما ذكّر بالطاعة حيث قال: واعلموا أن ماأخلفتم لله من أعمالكم فطاعة أتيتموها(1)، والزم قادته بالطاعة لبعضهم فمن ذلك ماكتبه إلى المثنى بن حارثة الشيباني بقوله: إني قد بعثت إليك خالد بن الوليد إلى أرض العراق فاستقبله بمن معك من قومك ثم ساعده ووازره وكاتفه ولاتعصين له أمراً ولاتخالفوا له رأيا فإنه من الذين وصف الله تبارك وتعالى في كتابه فقال: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا....}(2) (سورة الفتح، آية:29) كذلك أخذ أبو بكر ◀ يوصي في خلافته جيوش المسلمين المتجهة لفتح بلاد الشام بالطاعة فقال لهم: أيها الناس إن الله قد أنعم عليكم بالإسلام وأكرمكم بالجهاد وفضلكم بهذا الدين عن كل دين فتجهزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام فإني مؤمر عليكم أمراء وعاقد لكم ألوية فأطيعوا ربكم ولاتخالفوا أمراءكم لتحسن نيتكم وأشربتكم وأطعمتكم فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون(3)، فكان جوابهم له بقولهم: أنت أميرنا ونحن رعيتك فمنك الأمر ومنا الطاعة فنحن مطيعون لأمرك وحيثما توجهنا نتوجه(4)، وعندما عين الصديق خالد بن الوليد إدارة جيوش الشام طلب من أبي عبيدة بأن يسمع ويطيع لأمر خالد بن الوليد لفطنته وعلمه بالحرب، ولما وصل خالد بن الوليد للشام طلب من أبي عبيدة بن الجراح بأن يبعث إلى أهل كل راية ويأمرهم أن يطيعوه فدعا أبو عبيدة الضحاك بن قيس، فأمره بذلك فخرج الضحاك يسير في الناس طالبا منهم طاعة القائد الجديد لجيوش الشام خالد بن الوليد فيما يأمرهم به، فأجاب الناس بالسمع والطاعة(5).

ب-أن يفوضوا أمرهم إلى رأيه:

قال تعالى: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ

---

(1) تاريخ الطبري (44/4).

(2) فتوح الشام للأزدي، ص60،61.

(3) نفس المصدر، ص5.

(4) الفتوح ابن أعتم (82/1).

(5) فتوح الشام للأزدي، ص189.

عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً}(سورة النساء، آية:83). جعل الله تفويض الرعية الأمر إلى ولي الأمر سببا لحصول العلم وسداد الرأي، فإن ظهر لهم صواب خفي عليه بينوه له وأشاروا به عليه ولذلك ندب إلى المشاورة ليرجع بها إلى الصواب(1)، وفي خلافة الصديق نرى أبا بكر ◀ كلف أمراء وقادة جيوشه بالتوجه إلى الشام، وفوض لهم أمر الجيوش حيث قال لهم: يا أبا عبيدة ويامعاذ وياشرحبيل، ويايزيد، أنتم من حماة هذا الدين وقد فوضت إليكم أمر هذه الجيوش فاجتهدوا في الأمر واثبتوا وكونوا يداً واحدة في مواجهة عدوكم(2)، ثم أمر القادة بمراعاة أحوال الجنود وتقديم الإخلاص، والإتحاد حتى لاتختلف آراؤهم(3)، وأضاف الصديق قائلاً: فإذا قدمتم البلد ولقيتم العدو واجتمعتم على قتالهم فأميركم أبو عبيدة بن الجراح وإن لم يلقكم أبو عبيدة وجمعتكم حرب فأميركم يزيد بن أبي سفيان(4)، وهكذا فوض خليفة رسول الله ◀ إدارة العسكر إلى رأي أحد قادته ووكله إلى تدبيره حتى لاتختلف آراؤهم، وأكد على ذلك عندما قال لعمرو بن العاص: أنت أحد أمرائنا هناك فإن جمعتكم حرب فأميركم أبو عبيدة بن الجراح(5)، وكان ذلك رأيه أيضاً مع قادة العراق حيث قال للمثنى بن حارثة: إني بعثت إليك خالد بن الوليد إلى أرض العراق... فما أقام معك فهو الأمير فإن شخص عنك فأنت على ماكنت عليه والسلام عليك(6).

ج-المسارعة إلى امتثال أمره:

ففي حروب الردة كتب أبو بكر الصديق ◀ إلى خالد ابن الوليد في أمر مسيلمة الكذاب فقد أمره بالمسير إليه فجمع خالد بن الوليد أصحابه وقرأ عليهم الكتاب وسألهم الرأي فأجابوه بقولهم: الرأي رأيك وليس فينا أحد يخالف أوامرك(7)، كما كتب الصديق ◀ لخالد بن الوليد أثناء مقامه بالعراق بالخروج في شطر الناس إلى الشام وأن يخلف على الشطر الباقي المثنى بن حارثة وقال له: لاتأخذ نجداً إلا خلفت له نجداً، فامتثل خالد للأمر وقسم الجند نصفين(8)، وكتب إلى عمرو بن العاص بالسير من بلاد قضاعة إلى اليرموك، ففعل، وبعث بأبي عبيدة ويزيد وأمرهما بالإغارة وألا يوغلوا في بلاد الشام حتى لايكون وراءهم أحد من العدو، وقد استجاب القادة والجنود لتوجيهاته، وأوامر الصديق ◀(9).

---

(1) الأحكام السلطانية للماوردي، ص48.

(2) فتوح الشام للأزدري، ص7.

(3) الفتوح ابن أعثم (84/1).

(4) فتوح الشام، ص7.

(5) نفس المصدر، ص48.

(6) الوثائق السياسية، حميد الله، ص371.

(7) الفتوح، ابن أعتم (29/1).

(8) الإدارة العسكرية في الدولة الاسلامية، سليمان آل كمال (112/1).

(9) نفس المصدر (113/1).

د-عدم منازعته في شيء من قسمة الغنائم:

سار أبو بكر ◄ في خلافته على نهج الرسول ⇦ في تقسيم الغنائم، فبعد انتهاء خالد بن الوليد ◄ من معركة اليمامة كتب إلى الصديق ◄ يخبره بما فتح الله عليه وما أغنمه منهم فكتب إليه أبو بكر قائلاً: اجمع الغنائم والسبي وما أفاء الله عليك من مال بني حنيفة فأخرج من ذلك الخمس ووجه به إلينا ليقسم فيمن بحضرتنا من المسلمين وادفع إلى كل ذي حق حقه والسلام، وهذا ماكان يفعله جميع قادة أبي بكر ◄ في إدارتهم العسكرية في قسمة الغنائم ولم ينازعهم الجند في شيء من قسمتها والتسوية بينهم فيها(1).

3-حقوق الجند:

بين الصديق ◄ من خلال وصاياه ورسائله حقوق الجند، كاستعراضهم، وتفقد أحوالهم، والرفق بهم في السير، وأن يقيم عليهم العرفاء والنقباء، واختيار مواضع نزولهم لمحاربة العدو، وإعداد مايحتاج إليه الجند من زاد وعلوفة، والتعرف على أخبار العدو بالجواسيس الثقات لسلامة الجند، وتحريضهم على الجهاد، وتذكيرهم بثواب الله وفضل الشهادة، ومشاورة ذوي الرأي منهم، وأن يلزمهم بما أوجبه الله من حقوق، وأن ينهاهم عن الإشتغال عن الجهاد بتجارة وزراعة ونحوها(2) وإليك تفصيل بعض هذه النقاط:

أ-إستعراضهم وتفقد أحوالهم:

فقد رأينا ابو بكر الصديق ◄ عندما طرق المرتدين المدينة المنورة أخذ أهلها بحضور المسجد وقال لهم: إن الأرض كافرة وقد رأى وفدهم منكم قلة وإنكم لاتدرون أليلاً تؤتون أم نهاراً وأدناهم منكم على بريد(3)، وأخذ ◄ يعرض أصحابه ثم يعين منهم على أنفاق المدينة نفراً للحراسة(4)، وعندما اجتمع جيش فتوح الشام عد أبو بكر ◄ على دابته حتى أشرف على الجيش فنظر إليهم وقد ملأوا الأرض فتهلل وجهه وأخذ يعرضهم قبل سيرهم ويوصيهم ويدعو لهم وعقد لهم الألوية ومشى معهم نحوا من ميلين(5).

ب-الرفق بالجند في السير:

---

(1)الإدارة العسكرية في الدولة الاسلامية (120/1).
(2) نفس المصدر (131/1 الى 255).
(3) تاريخ الطبري (64/4).
(4) تاريخ الطبري (64/4).
(5) الإدارة العسكرية في الدولة الاسلامية (136/1).

فقد أوصى أبو بكر خالد بن الوليد في حروب الردة بالرفق بمن معه وأن يتخذ الأدلاء في مسيره(1)، وأوصى سائر أمراء الردة بذلك(2)، وفي فتوح العراق عندما عقد خالد بن الوليد معاهدة الصلح مع أهل أليس(3)، وغيرهم كان من ضمن شروط المعاهدة يبذرقوا(4) المسلمين ويكونوا أدلاء وأعوانا لهم على الفرس لأنهم أعرف وأعلم بطرق بلادهم من غيرهم(5)، وحين كلف أبو بكر ◄ خالد بن الوليد بالتوجه من العراق إلى الشام مدداً وعونا لهم دعا خالد الأدلاء وتشاور معهم حول سيرهم في طريق المفازة إلى الشام لأنه أسرع الطرق وأسرعها لنجدة إخوانه ثم رافقه منهم رافع بن عميرة الطائي دليلاً(6)، وأوصى الصديق ◄ يزيد بن أبي سفيان عندما وجهه إلى الشام بقوله: إذا سرت فلا تضيق على نفسك ولاعلى أصحابك في مسيرك(7)، وعندما جد الجند في السير ذكر أحدهم يزيد بوصية أبي بكر له بالرفق بهم في السير وأن يلتزم بها(8) كما أوصى الصديق عمرو بن العاص عندما وجهه إلى فلسطين بقوله له: وكن والداً لمن معك وأرفق بهم في السير فإن فيهم أهل ضعف(9)، وقد امتثل قادة الصديق ◄ لأمره بالرفق بالجند في مسيرهم وأصبحوا لايسيرون إلى قتال الأعداء إلا ومعهم أدلاء يدلونهم على أسهل الطرق وأوفرها ماء وعشبا حتى يتمكنوا من مواصلة سيرهم نحو العدو، من غير إهدار لقوتهم أو تحطيم لمعنوياتهم(10).

ت-أن يجعل لكل طائفة شعاراً يتداعون به:

ففي بعثة جيش أسامة لقتال الروم كان شعارهم: يامنصور أمت(11)، وفي حروب الردة عند مسير خالد بن الوليد نحو مسيلمة الكذاب باليمامة كان شعارهم يومئذ: يامحمداه، يامحمداه(12)، وشعار تنوخ في فتوح العراق (يا آل عباد الله)(13)، وفي فتوح الشام باليرموك نجد أن لكل قائد وقبيلة

---

(1) نفس المصدر (147/1).

(2) مآثر الانافة للقلقشندي (140/3).

(3) أليس: قرية من قرى الأنبار. (ياقوت، معجم البلدان، 248/1).

(4) البذرقة: الخفارة والحراسة وهي الجماعة تتقدم القافلة لتحرسها وأصل الكلمة فارسية.

(5) الخراج لأبي يوسف، ص294.

(6) الإدارة العسكرية في الدولة الاسلامية (148/1).

(7) فتوح الشام للواقدي (23/1).

(8) نفس المصدر (23/1).

(9) المصدر السابق (130/1).

(10) الإدارة العسكرية في الدولة الاسلامية (149/1).

(11) الطبقات لابن سعد (191/2).

(12) تاريخ الطبري (111/4).

(13) الإدارة العسكرية في الدولة الاسلامية (174/1).

شعاراً مميزاً يميزها عن غيرها اتخذته ليستدل به عليها وكانوا يجهرون به عند القتال ويتعارفون به، فكان شعار أبي عبيدة: أمت أمت، وشعار خالد بن الوليد ومن معه: ياحزب الله، وشعار قبيلة عبس يالعبس، وشعار اليمن من أخلاط الناس ياأنصار الله، وشعار حمير الفتح، وشعار دارم والسكاسك (الصبر الصبر)، وشعار بني مراد يانصر الله انزل، فهذه كانت أبرز الشعارات في معركة اليرموك(1).

ث-أن يتصفحهم عند مسيرهم:

ومن وصايا أبي بكر الصديق ◄ لقواده حين بعث بهم في حروب الردة: وان يمنع أصحابه العجلة والفساد وألا يدخل فيهم حشوا حتى يعرفهم ويعلم ماهم، لئلا يكونوا عيوناً، ولئلا يؤتى المسلمون من قبلهم(2)، كما أمر قادته بعدم الإستعانة بالمرتدين في جهاد العدو وذلك احتراساً وحرصاً على سلامة جند المسلمين(3)، كذلك أوصى الصديق ◄ قادة فتوح الشام بالحذر والحيطة والتيقظ من رسل العدو حتى لايتعرفوا على مابجيشهم من ثغرات، ومكامن ضعف وأمرهم بأن لايخالطوا العسكر ولايحدثوهم فمن ذلك قوله ليزيد بن أبي سفيان: وإذا قدمت عليك رسل عدوك فأكرم منزلتهم فإنه أول خبرك إليهم، وأقلل حبسهم حتى يخرجوا وهم جاهلون بما عندك، وامنع من قبلك من محادثتهم وكن أنت الذي تلي كلامهم ولاتجعل سرك مع علانيتك فيمرج(4) عملك(5).

ج-حراستهم من غرة يظفر بها العدو في مقامهم ومسيرهم:

وظهر ذلك عندما وضع الصديق الحرس على أنقاب المدينة خشية أن تطرقها بعض القبائل المرتدة، وحين وجه ◄ خالد بن الوليد إلى حرب أهل الردة حذره من البيات والغرة وقال له: واحترس من البيات فإن في العرب غرة(6)، كما أوصى أمراء وقادة فتوح الشام بالإحتراس ونشر الحرس على العسكر لحفظهم من الأعداء وأن يقوموا بالتفتيش المفاجئ على الحرس حتى يتأكدوا من قيامهم بمهامهم المعدين لها فمن ذلك ماقاله ليزيد بن أبي سفيان: وأكثر حرسك وأكثر مفاجأتهم في ليلك ونهارك(7)، وقال لعمرو بن العاص: وأمر أصحابك بالحرس ولتكن أنت بعد ذلك مطلعاً عليهم وأطل الجلوس بالليل على أصحابك، وأقم بينهم وأجلس معهم(8)، وحذى قادة الصديق ◄ حذوه في إتخاذ الحرس

---

(1) الإدارة العسكرية في الدولة الاسلامية (174/1).
(2) تاريخ الطبري (72،71/4).
(3) نفس المصدر (163/4).
(4) المرج: الفساد، والقلق، والاختلاط، والإضطراب.
(5) مروج الذهب للمسعودي (309/2).
(6) نهاية الأرب للنويري (168/6).
(7) مروج الذهب (309/2).
(8) فتوح الشام للواقدي (23/1).

على العسكر في مقامهم وسيرهم(1).

ح-إعداد مايحتاج إليه العسكر من زاد وعلوفة:

فقد كان الصديق ◀ يشتري الإبل والخيل والسلاح فيجعلها في سبيل الله(2)، إلى جانب مايكسبه ويغنمه العسكر من العدو(3)، وحينما كلف الصديق خالد بن الوليد بمحاربة المرتدين كان مما أوصاه به إذا دخل على أرض العدو أن لايسير إليهم إلا وهو مستظهر بالزاد(4)، وكان قادة الصديق أثناء مصالحتهم للعدو يشترطون عليهم أن يضيفوا من مر بهم من المسلمين بما يحل من طعامهم وشرابهم(5)، وقد سمح أبو بكر ◀ لجند الشام أثناء ماأوصاهم بأنهم إذا عقروا شاة أو بعيراً للعدو لايعقرونها إلا للأكل(6).

خ-ترتيب الجند في مصاف الحرب:

استعمل قادة الصديق في معاركهم الحربية نظام الصف، والصفوف تزيد وتنقص بحسب مايقتضيه الموقف ويراه القائد في ميدان القتال(7) إلا أن خالد بن الوليد في معركة اليرموك أدخل نظام الكراديس في أعينهم وذلك لأن نظام الكراديس عبارة عن مجموعة من الجند تقف في صفوف لاتكون منفصلة عن الأخرى بينهما مسافات متباعدة مما يسهل ذلك عليها عملية الحركة وزيادة الانتشار فمن قول خالد للجند لإستخدامه لنظام الكراديس: إن عدوكم قد كثر وطغى وليس من التعبئة تعبئة أكثر في رأي العين من الكراديس(8)، فجعل القلب كراديس وأقام فيه أبا عبيدة وجعل الميمنة كراديس وعليها عمرو بن العاص وفيها شرحبيل بن حسنة، وجعل الميسرة وعليها يزيد بن أبي سفيان وهكذا حيث خرج في ستة وثلاثين كردوساً إلى الأربعين، وخرج في تعبئة لم تعبئها العرب قبل ذلك ووزع المهام الإدارية بين القيادة(9)، إلا أن نظام الصف ظل قائماً ومعمولاً به في النظام الحربي الإسلامي بعد اليرموك(10).

---

(1) الإدارة العسكرية في الدولة الاسلامية (196/1).

(2) نفس المصدر (215/1).

(3) الخراج لأبي يوسف، ص 286،287.

(4) نهاية الأرب للنويري (168/6).

(5) الخراج لأبي يوسف ، ص289.

(6) نهاية الأرب للنويري (168/6).

(7) الإدارة العسكرية في الدولة الاسلامية (231/1).

(8) تاريخ الطبري (215/4).

(9) نفس المصدر (215/4).

(10) الإدارة العسكرية في الدولة الاسلامية (232/1).

د-تحريضهم على القتال:

كان الصديق ◀ يحرّض المجاهدين على القتال ويقوي نفوسهم بما يشعرهم من الظفر ويذكر لهم أسباب النصر ليقل العدو في أعينهم فيكونوا عليه أجرأ وبالجرأة يسهل الظفر(1)، فقد حرض وحض أبو بكر خالد بن الوليد على القتال بقوله: احرص على الموت توهب لك الحياة(2)، وعندما عقد الألوية لجيوش الشام أخذ يحرضهم ويحضهم على الجهاد في سبيل الله ويوصيهم، ويدعو لهم بالنصر على الأعداء(3).

ذ-أن يذكرهم بثواب الله وفضل الشهادة:

فمما قاله أبو بكر الصديق ◀ في تلك الجيوش المتوجهة إلى الشام قوله: ألا وإن في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله لما ينبغي للمسلم أن يحب أن يخص به هي التجارة التي دل عليها ونجى بها من الخزي وألحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة(4).

ر-أن يشاور ذوي الرأي منهم:

وهذا مافعله الصديق في حروب الردة، وفتوحات الشام، وكثير من القضايا الفقهية والمستجدات التي تحدث في المجتمع المسلم، وقد طلب من القادة أن يتناصحوا ويتشاوروا(5) وقد كان الصديق قدوة في ذلك، ففي حروب الردة دعا عمرو بن العاص وقال له ياعمرو إنك ذو رأي في قريش وقد تنبأ طليحة فما ترى واستشاره ثم سأله عن خالد بن الوليد عند اختياره لقيادة الجند فأجابه يسوس للحرب نصير للموت له أناة القطاة ووثوب الأسد فعقد له(6)، وسار خالد بن الوليد لما كلف به وأخذ يستشير من معه لإعداد الخطة لمحاربة المرتدين ويخبر القيادة العليا بما استقر عليه رأي الجند(7)، وحين أراد أبو بكر ◀ أن يغزو الروم ويعد الجيوش لفتح بلاد الشام شاور في ذلك جماعة من أصحاب رسول الله وبعد أن أخذ رأيهم وما أجمعوا عليه أمر الجند بالتجهيز للتوجه لما أمروا به(8)، وكان مما

---

(1) الإدارة العسكرية في الدولة الاسلامية (234/1).

(2) نفس المصدر (238/1).

(3) فتوح الشام للأزدي ، ص11-15.

(4) تاريخ الطبري (208/4).

(5) العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين، ص143.

(6) تاريخ اليعقوبي (129/2).

(7) الفتوح، ابن أعثم (29/1).

(8) تاريخ فتوح الشام، ص2؛ الفتوح، ابن أعثم (81/1).

أوصى به الصديق ◄ أمراء وقادة جند الشام بأن يعملوا بالمشورة، فمن ذلك ماقاله ليزيد بن أبي سفيان: هذا ربيعة بن عامر(1) من ذوي العلاء والمفاخر قد علمت صولته وقد ضممته إليك وأمرتك عليه فاجعله في مقدمتك وشاوره في أمرك ولاتخالفه(2)، قال يزيد حباً وكرامة، وأضاف أبو بكر ◄ قائلاً: إذا سرت فلا تضيق على نفسك ولا على أصحابك في مسيرك ولاتغضب على قومك ولا على أصحابك وشاورهم في الأمر واستعمل العدل(3) كما قال ليزيد: وإذا استشرت فاصدق الخبر تصدق لك المشورة، ولاتكتم المستشار فتؤتى من قبل نفسك(4)، إلى غير ذلك مما قاله ليزيد بن أبي سفيان حول مبدأ الشورى والإلتزام بها وقد أوصى أمراء جند الشام بما لايخرج عن ذلك(5)، وامتثل قادة الصديق بما أمروا به من إجراء المشورة فيما بينهم فقد قال أبو عبيدة بن الجراح لعمرو بن العاص: ياعمرو لرب يوم لك قد شهدته فبورك فيه للمسلمين برأيك ومحضرك وإنما أنا رجل منكم ولست وإن كنت الوالي عليكم بقاطع أمراً دونكم فاحضرني رأيك في كل يوم بما ترى فإنه ليس بي عنك غنى(6) هذا بالإضافة إلى طلب القادة في أرض المعركة من القيادة العليا المركزية المشورة فيما أشكل عليهم من أمور الإدارة العسكرية لمرحلة وضع الخطط الحربية والتنفيذ ومعاملة الأسرى(7).

ز-أن يلزمهم بما أوجبه الله من حقوق:

فقد كان أبو بكر ◄ يوصي قادته بذلك، فحين بعث عمرو بن العاص إلى أرض فلسطين قال له: اتق الله في سرك وعلانيتك واستحيه في خلواتك فإنه يراك في عملك وقد رأيت تقدمي لك على من هو أقدم منك سابقة وأقدم حرمة فكن من عمال الآخرة وأرد بعملك وجه الله وكن والداً لمن معك والصلاة ثم الصلاة أذن بها إذا دخل وقتها ولاتصل صلاة إلا بأذان يسمعه أهل العسكر واتق الله إذا لقيت العدو والزم أصحابك قراءة القرآن وأنههم عن ذكر الجاهلية وماكان منها فإن ذلك يورث العداوة بينهم، وأعرض عن زهرة الدنيا حتى تلتقي بمن مضى من سلفك وكن من الأئمة الممدوحين في القرآن إذ يقول الله تعالى: {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ}(سورة الأنبياء،

---

(1) ربيعة بن عامر القرشي العامري له ذكر في الفتوح، صحابي يعد من أهل فلسطين.

(2) فتوح الشام للواقدي (22/1).

(3) نفس المصدر (22/1).

(4) مروج الذهب (309/2).

(5) تاريخ فتوح الشام للأزدي، ص13، 15، 20،21.

(6) نفس المصدر، ص51،84.

(7) الإدارة العسكرية في الدولة الاسلامية (272/1).

آية:73) (1).

هذه أهم حقوق الله، والقادة والجند، التي تحدث عنها الصديق في وصاياه ورسائله لقادته ◀.

رابعاً: السر في اكتساح المسلمين لقوات الفرس والروم:

إن المتأمل في حركة الفتح الإسلامي يرى توفيق الله تعالى لجيوش الخليفة أبي بكر ◀، فقد اندفعت تلك الجيوش المظفرة نحو العراق والشام واستطاعت أن تكسر شوكة الرومان والفرس وتفتح تلك الديار في وقت قياسي في تاريخ الحروب والسبب في سرعة هذا الفتح، عوامل تتعلق بالمسلمين الفاتحين، وأخرى ترجع إلى الأمم التي فتح المسلمون ديارهم، فمن العوامل التي تتعلق بالمسلمين:

1-إيمان المسلمين بالحق الذي يقاتلون من أجله.

2-يقين المسلمين بربهم في قضيتي الرزق والأجل والقضاء والقدر.

3-تأصل الصفات الحربية في المسلمين.

4-سماحة المسلمين وعدالتهم مع الشعوب.

5-رحمة المسلمين في تقدير الجزية والخراج ووفائهم بعهودهم.

6-ثروة المسلمين الواسعة من الرجال والقواد العظام.

7-إحكام الخطة الحربية الإسلامية(2).

وأما الأسباب التي تتعلق بالبلاد المفتوحة فأهمها، ضعف الروم والفرس، فقد ضعفوا وانتشر بينهم الظلم وعم الفساد، ودب فيهم سوء الأخلاق، وأصابت حضارتهم الشيخوخة، وقضى عليها إسراف ملوكها، وانحرفوا عن منهج الله، ومضت فيهم سننه التي لاترحم ولاتجامل ولاتتبدل وأما المسلمون، فقد أكرمهم الله بمنهجه فساروا عليه وأخذوا بأسباب التمكين وحققوا شروطه، وتعاملوا مع سنن الله في الشعوب، وبناء الدول، وإصلاح المجتمعات ولايفهم من كلامي أن ضعف الروم والفرس سهل السبيل أمام المسلمين بشكل كبير، فرغم ضعف الدولتين بسبب العوامل السابقة إلا أنه لم يمنعها من الإعداد الهائل لملاقاة المسلمين فجهزتا مئات الآلاف من الجند المدربين الذين يفوقون جند المسلمين عدداً وعدة، كما أنهما أبرزتا أسلحة غير معهودة عند المسلمين كالفيلة والكلاليب المحماة التي كانوا يرسلونها من خلف الحصون يصطادون بها من تقع عليه من المسلمين، كما أن الظن بأن الروم استهانوا بالمسلمين ولم يستعدوا لهم يدفعه الكلام السابق وترده رواية ابن عساكر: أن هرقل جمع بطارقته وهو بحمص وقال لهم: هذا الذي حذرتكم فأبيتم أن تقبلوه مني!! قد صارت العرب تأتي مسيرة شهر فتغير عليكم، ثم تخرج من ساعتها ولم تكلم، قال أخوه: ابعث رباطا إلى البلقاء فبعث رباطا واستعمل عليه

(1) الإدارة العسكرية في الدولة الاسلامية (251/1) هذا الكتاب لخصت واختصرت منه حقوق الله، والقادة والجنود.

(2) تاريخ الدعوة الى الاسلام، ص222 الى 227.

رجلاً من أصحابه فلم يزل حتى تقدمت الجيوش إلى الشام في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما(1).

المبحث الرابع

استخلاف الصديق لعمر بن الخطاب ووفاته

أولاً: استخلافه لعمر:

في شهر جمادي الآخرة من العام الثالث عشر للهجرة النبوية مرض الخليفة أبو بكر ◄، واشتد به المرض(2) فلما ثقل واستبان له من نفسه –جمع الناس إليه فقال: إنه قد نزل بي ماقد ترون ولا أظنني إلا ميت لما بي وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتي، وحل عنكم عقدتي، ورد عليكم أمركم فأمَّروا عليكم من أحببتم فإنكم إن أمرتم في حياة منيّ كان أجدر أن لاتختلفوا بعدي(3).

وقد قام أبو بكر ◄ بعدة إجراءات لتتم عملية اختيار الخليفة القادم:

1-استشارة أبي بكر كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار:

وتشاور الصحابة رضي الله عنهم، وكل يحاول أن يدفع الأمر عن نفسه ويطلبه لأخيه إذ يرى فيه الصلاح والأهلية، لذا رجعوا إليه، فقالوا: رأينا ياخليفة رسول الله رأيك، قال: فأمهلوني حتى أنظر لله ولدينه ولعباده، فدعا أبو بكر عبدالرحمن بن عوف فقال له: أخبرني عن عمر بن الخطاب فقال له: ماتسألني عن أمرإلا وأنت أعلم به مني: فقال أبو بكر: وإن فقال عبدالرحمن: هو والله أفضل من رأيك فيه، ثم دعا عثمان بن عفان. فقال: أخبرني عن عمر بن الخطاب. فقال: أنت أخبرنا به. فقال: على ذلك يا أبا عبدالله فقال عثمان: اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته، وأنه ليس فينا مثله. فقال أبو بكر: يرحمك الله والله لو تركته ماعَدَتْك ثم دعا أسيد بن حضير فقال له: مثل ذلك، فقال أسيد: اللهم أعلمه الخيرة بعدك، يرضى للرضا، ويسخط للسخط، والذي يسر خير من الذي يعلن، ولن يلي هذا الأمر أحد أقوى عليه منه، وكذلك استشار سعيد بن زيد وعدداً من الأنصار والمهاجرين، وكلهم تقريباً كانوا برأي واحد في عمر إلا طلحة بن عبيدالله خاف من شدته، فقد قال لأبي بكر ماأنت قائل لرَبِّك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد ترى غلظته؟ فقال أبو بكر: أجلسوني أبالله تخوفوني؟ خاب من تزوَّدَ من أمركم بظلم أقول اللهم استخلفت عليهم خيرُ أهْلكَ(4).

---

(1) تاريخ الدعوة الى الاسلام، ص338.

(2) البداية والنهاية (18/7)؛ تاريخ الطبري (238/4).

(3) التاريخ الاسلامي (258/9).

(4) الكامل لابن الأثير (79/2)؛ التاريخ الاسلامي، محمود شاكر، ص101 الخلفاء الراشدون.

وبين لمن نبهه إلى غلظة عمر وشدته فقال: ذلك لأنه يراني رقيقاً ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيراً مما عليه(1).

2-ثم كتب عهداً مكتوباً يقرأ على الناس في المدينة وفي الأنصار عن طريق أمراء الأجناد فكان نص العهد:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماعهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها، وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها، حيث يؤمن الكافر، ويوقن الفاجر، ويصدق الكاذب، إني أستخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاستمعوا له وأطيعوا، وإني لم آلُ الله ورسوله ودينه ونفسي، وإياكم خيراً، فإن عَدَلَ فذلك ظني به وعلمي فيه، وإن بدل فلكل امرئ مااكتسب، والخير أردت ولاأعلم الغيب {وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ}(2) (سورة الشعراء، آية:227).

إن عمر هو نصح أبي بكر الأخير للأمة، فقد أبصر الدنيا مقبلة تتهادى وفي قومه فاقة قديمة يعرفها، فإذا ماأطلوا لها استشرفتهم شهواتها، فنكلت بهم واستبدت، وذاك ماحذرهم رسول الله ﷺ إياه(3)، قال رسول الله ﷺ: فوالله لا الفقر اخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بُسِطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم(4). لقد أبصر أبو بكر الداء فأتى لهم ◄ بدوء ناجع.. جبل شاهق، إذا مارأته الدنيا أيست وولت عنهم مدبرة، إنه الرجل الذي قال فيه النبي ﷺ: أيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده مالقيك الشيطان سالكا فجاً قط إلا سلك فجّاً غير فجّك(5). إن الأحداث الجسام التي مرت بالأمة، قد بدأت بقتل عمر، هذه القواصم خير شاهد على فراسة أبي بكر وصدق رؤيته في العهد لعمر، فعن عبدالله بن مسعود ◄ قال: أفرس الناس ثلاثة صاحبة موسى التي قالت: يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين، وصاحب يوسف حيث قال: أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا، وأبو بكر حين استخلف عمر(6)، فقد كان عمر هو سد الأمة المنيع الذي حال بينها وبين أمواج الفتن(7).

3-أنه أخبر عمر بن الخطاب بخطواته القادمة فقد دخل عليه عمر فعرّفه أبو بكر بما عزم فأبى أن

---

(1) الكامل لابن الأثير (79/2).
(2) تاريخ الاسلام للذهبي - عهد الخلفاء- ص116-117.
(3) أبوبكر رجل الدولة، ص99.
(4) البخاري، كتاب الجزية والموادعة رقم 3158.
(5) البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي رقم 3683
(6) مجمع الزوائد (268/10) قال الهيثمي رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح، وأخرجه الحاكم (90/3) وصححه ووافقه الذهبي.
(7) أبوبكر رجل الدولة، ص100.

يقبل، فتهدده أبو بكر بالسيف فما كان أمام عمر إلا أن يقبل(1).

4-أنه أراد إبلاغ الناس بلسانه واعياً مدركاً حتى لايحصل أي لبس فأشرف أبو بكر على الناس وقال لهم: أترضون بما استخلف عليكم، فإني والله ماألوت من جهد الرأي، ولاوليت ذات قرابة، وإني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا. فقالوا: سمعنا وأطعنا(2).

5-أنه توجه بالدعاء إلى الله يناجيه ويبثه كوامن نفسه، وهو يقول: اللهم وليته بغير أمر نبيك، ولم أرد بذلك إلا صلاحهم، وخفت عليهم الفتنة، واجتهدت لهم رأيي، فولَّيت عليهم خيرهم، وأحرصهم على ماأرشدهم، وقد حضرني من أمرك ماحضر، فاخلفني فيهم فهم عبادك(3).

6-أنه كلف عثمان بن عفان أن يتولى قراءة العهد على الناس وأخذ البيعة لعمر قبل موت أبي بكر بعد أن ختمه بختمه لمزيد من التوثيق والحرص على إمضاء الأمر، دون أي آثار سلبية، وقال عثمان للناس: أتبايعون لمن في هذا الكتاب؟ فقالوا: نعم. فأقروا بذلك جميعاً ورضوا به(4).

7-البيعة لعمر بن الخطاب قبل أن يتوفى أبو بكر الصديق، فبعد أن قُرِءَ العهد على الناس ورضوا به أقبلوا عليه وبايعوه(5)، ولم تتم بيعة بعد الوفاة بل باشر عمر بن الخطاب أعماله بصفته خليفة للمسلمين فور وفاة أبي بكر ◀(6)، ويلحظ الباحث أنّ عمر ولي الخلافة باتفاق أصحاب الحل والعقد وإرادتهم فهم الذين فوضوا لأبي بكر انتخاب الخليفة، وجعلوه نائباً عنهم في ذلك، فشاور ثم عين الخليفة، ثم عرض هذا التعيين على الناس فأقروه، وأمضوه ووافقوا عليه، وأصحاب الحل والعقد في الأمة هم النواب (الطبيعيون) عن هذه الأمة، وإذن فلم يكن استخلاف عمر ◀ إلا على أصح الأساليب الشورية وأعدلها(7).

---

(1) مآثر الانافة (49/1).
(2) تاريخ الطبري (248/4).
(3) طبقات ابن سعد (199/3)؛ تاريخ المدينة لابن شبة (665/2-669).
(4) طبقات ابن سعد (200/3).
(5) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص272.
(6) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص272.
(7) أبوبكر الصديق، علي الطنطاوي، ص237.

إن الخطوات التي سار عليها أبو بكر الصديق في اختيار خليفته من بعد لاتتجاوز الشورى بأي حال من الأحوال، وإن كانت الإجراءات المتبعة فيها غير الإجراءات المتبعة في تولية أبي بكر نفسه(1). وهكذا تم عقد الخلافة لعمر ◄ بالشورى والاتفاق، ولم يرد التاريخ أي خلاف وقع حول خلافته بعد ذلك، ولا أن أحداً نهض طوال عهده لينازعه الأمر، بل كان هناك إجماع على خلافته وعلى طاعته في أثناء حكمه، فكان الجميع وحدة واحدة(2).

8-وصية الصديق لعمر بن الخطاب:

فقد اختلى الصديق بالفاروق وأوصاه بمجموعة من التوصيات لإخلاء ذمته من أي شيء، حتى يمضي إلى ربه خالياً من أي تبعة بعد أن بذل قصارى جهده واجتهاده(3)، وقد جاء في الوصية: اتق الله ياعمر، واعلم أن لله عملاً بالنهار لايقبله بالليل، وعملاً بالليل لايقبله بالنهار، وأنه لايقبل نافلة حتى تُؤدى فريضة، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في دار الدنيا وثقله عليهم، وحُقَّ لميزان يوضع فيه الحق غداً أن يكون ثقيلاً، وإنما خفَّت موازين من خفَّت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل غداً أن يكون خفيفاً، وإن الله تعالى ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئه، فإذا ذكرتهم قلت: إني أخاف أن لاألحق بهم، وإن الله تعالى ذكر أهل النار، فذكرهم بأسوأ أعمالهم، وردّ عليهم أحسنه، فإذا ذكرتهم، قلت: إني لأرجو أن لاأكون مع هؤلاء، ليكون العبد راغباً راهباً، لايتمنى على الله ولايقنط من رحمة الله، فإن أنت حفظت وصيتي فلايك غائب أبغض إليك من الموت ولستَ تُعجزه(4).

ثانيا: وحان وقت الرحيل:

قالت عائشة رضي الله عنها: أول مابُدئ مرض أبي بكر أنه اغتسل، وكان يوماً بارداً فحُمّ خمسة عشرة يوماً لايخرج إلى صلاة، وكان يأمر عمر بالصلاة، وكانوا يعودونه، وكان عثمان ألزمهم له في مرضه(5)، ولما اشتد به المرض قيل له: ألا تدعو لك الطبيب؟ فقال: قد رآني فقال إني فعال لما أريد(6)، وقالت عائشة رضي الله عنها قال أبو بكر: انظروا ماذا زاد في مالي منذ دخلت في الإمارة

---

(1) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص273.

(2) النظرية السياسية الاسلامية، ضياء الريس، ص181.

(3) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص272.

(4) صفة الصفوة (265،264/1).

(5) أصحاب الرسول، محمد المصري (104/1).

(6) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية، ص33.

فابعثوا به إلى الخليفة بعدي. فنظرنا فإذا عبد نوبي كان يحمل صبيانه، وإذا ناضح(1) كان يسقي بستاناً له. فبعثنا بهما إلى عمر، فبكى عمر وقال: رحمة الله على أبي بكر لقد أتعب من بعده تعباً شديداً(2).

وقالت عائشة رضي الله عنها: لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه، دخلت عليه وهو يعالج مايعالج الميت ونفسه في صدره فتمثلت هذا البيت:

لعمرك مايغني الثراء عن الفتى

إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فنظر إليّ كالغضبان، ثم قال: ليس كذلك يا أم المؤمنين، ولكن قول الله أصدق {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ}(سورة ق، آية:19). ثم قال: ياعائشة: إنه ليس أحد من أهلي أحب إليَّ منك، وقد كنت نحلتك حائطاً(3)، وإن في نفسي منه شيئاً فردِّيه الى الميراث. قالت: نعم فرددته. وقال ◀: أما إنا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم ديناراً ولا درهماً، ولكنا قد أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا، وليس عندنا من فيء المسلمين قليل ولا كثير إلا هذا العبد الحبشي، وهذا البعير الناضح، وجرد هذه القطيفة، فإذا مت فابعثي بهن الى عمر، وابرئي منهن ففعلت، فلما جاء الرسول الى عمر بكى حتى جعلت دموعه تسيل في الأرض، ويقول: رحم الله أبابكر، لقد أتعب من بعده، رحم الله أبابكر، لقد أتعب من بعده، رحم الله أبابكر، لقد أتعب من بعده(4). وقد جاء في رواية: أن أبابكر لما حضرته الوفاة قال: إن عمر لم يدعني حتى أصبت من بيت المال ستة آلاف درهم، وان حائطي الذي بمكان كذا فيها، فلما توفي ذكر ذلك لعمر فقال: يرحم الله أبابكر، لقد أحب أن لايدع لأحد بعده مقالاً(5).

ويظهر من هذه المواقف ورع الصديق في المال العام، فقد ترك هذا الخليفة العظيم تجارته وتخلى عن ذرائع كسبه اشتغالاً عنها بأمور المسلمين وقياماً بوظائف الخلافة فيضطر الى أخذ نفقته من بيت المال بما لايزيد عن الحاجة الى سد الجوع وستر العورة، ثم هو يؤدي للمسلمين خدمة هيهات أن تؤدي حقها الخزائن ولما أشرف على وفاته، وعنده فضلة من مال المسلمين وهي ذلك المتاع الحقير، يأمر بردها الى المسلمين ليلقى ربه آمناً مطمئناً، نزيه القلب، طاهر النفس، خفيف الحمل إلا من التقوى،

---

(1) الناضح: هوالبعير الذي يستقى عليه.

(2) صفة الصفوة (265/1).

(3) حائطاً: وفي رواية جَداد وهي بمعنى قطع ثمرة النخل (صفة الصفوة، 266/1).

(4) الطبقات لابن سعد (146/3،147) رجاله ثقات.

(5) المنتظم لابن الجوزي (127/4)؛ وأصحاب الرسول (105/1).

فارغ اليدين إلا من الايمان، إن في هذا لبلاغاً وانها لموعظة لقوم يعقلون(1). كما أن ماقام به من الوصية بتعويض بيت مال المسلمين بأرضه المذكورة مقابل ماأنفق على نفسه وعياله منه، وكان ورعاً منه ورغبة في أن يكون عمله في الولاية تطوعا وخالصاً لله تعالى بعيداً عن أي حظ من حظوظ الدنيا.

وقد استمر مرض أبي بكر مدة خمسة عشر يوماً حتى كان يوم الإثنين ليلة الثلاثاء في الثاني والعشرين من جمادي الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة، قالت عائشة -رضي الله عنها-: إن أبا بكر قال لها: في أي يوم مات رسول الله ﷺ؟ قالت في يوم الإثنين، قال: إني لأرجو فيما بيني وبين الليل، قال: ففيم كفنتموه؟

قالت: في ثلاثة أثواب بيض سحولية يمانية ليس فيها قميص، ولاعمامة فقال أبو بكر: انظري ثوبي هذا فيه ردع زعفران أو مشق فاغسليه واجعلي معه ثوبين آخرين(2)، فقيل له قد رزق الله وأحسن نكفنك في جديد، قال: إن الحي هو أحوج إلى الجديد ليصون به نفسه عن الميت، إنما يصير الميت إلى الصديد، وإلى البلى(3)، وقد أوصى أن تغسله زوجه أسماء بنت عميس، وأن يدفن بجانب رسول الله ﷺ، وكان آخر ماتكلم به الصديق في هذه الدنيا قول الله تعالى:{ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ}(4) (سورة يوسف، آية:101).

وارتجّت المدينة لوفاة أبي بكر الصديق، ولم تر المدينة منذ وفاة الرسول يوماً، أكثر باكياً، وباكية من ذلك المساء الحزين وأقبل علي بن أبي طالب مسرعاً، باكياً، مسترجعاً ووقف على البيت الذي فيه أبو بكر فقال: رحمك الله يا أبا بكر.. كنت إلف رسول الله وأنيسه ومستراحه وثقته وموضع سره ومشاورته، وكنت أول القوم إسلاماً، وأخلصهم يقيناً، وأشدهم لله يقيناً، وأخوفهم لله، وأعظمهم غناء في دين الله عزوجل، وأحوطهم على رسول الله ﷺ، وأحدبهم على الإسلام، وأحسنهم صحبة، وأكثرهم مناقب، وأفضلهم سوابق، وأرفعهم درجة وأقربهم وسيلة، وأشبههم برسول الله هدياً وسمتاً، وأشرفهم منزلة، وأرفعهم عنده، وأكرمهم عليه، فجزاك الله عن رسول الله وعن الإسلام أفضل الجزاء. صدقت رسول الله ﷺ حين كذبه الناس، وكنت عنده بمنزلة السمع والبصر، سماك الله في تنزيله، صديقاً فقال: {وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}(سورة الزمر، آية:33). وواسيته حين بخلوا، وقمت معه على المكاره حين قعدوا، وصحبته في الشدة أكرم الصحبة، ثاني اثنين صاحبه في الغار، والمُنَزّل عليه

---

(1) أشهر مشاهير الاسلام (94/1).

(2) أصحاب الرسول (106/1).

(3) التاريخ الاسلامي، محمود شاكر، الخلفاء الراشدون، ص104.

(4) الشيخان ابوبكر الصديق وعمر بن الخطاب برواية البلاذري في انساب الأشراف. تحقيق د. إحسان صدقي العمد، ص69.

السكينة، ورفيقه في الهجرة، وخليفته في دين الله وأمته، أحسن الخلافة حين ارتدوا، فقمت بالأمر مالم يقم به خليفة نبي، ونهضت حين وهن أصحابه وبرزت حين استكانوا، وقويت حين ضعفوا، ولزمت منهاج رسول الله إذ وهنوا، وكنت كما قال رسول الله ضعيفاً في بدنك قوياً في أمر الله تعالى، متواضعاً في نفسك عظيماً عند الله تعالى، جليلاً في أعين الناس كبيراً في أنفسهم، لم يكن لأحدهم فيك مغمز، ولالقائل فيك مهمز، ولالمخلوق عندك هوادة، الضعيف الذليل عندك قوي عزيز حتى تأخذ بحقه القريب والبعيد عنك في ذاك سواء، وأقرب الناس عندك أطوعهم لله عزوجل، وأتقاهم ... شأنك الحق والصدق والرفق قولك حكم وحتم، وأمرك حلم وحزم، ورأيك علم وعزم، اعتدل بك الدين وقوي بك الإيمان وظهر أمر الله، فسبقت –والله– سبقاً بعيداً، واتعبت من بعدك إتعاباً شديداً، وفزت بالخير فوزاً مبيناً، فإنا لله وإنا إليه راجعون رضينا عن الله عزوجل قضاءه وسلمنا له أمره، والله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله بمثلك أبداً، كنت للدين عزاً، وحرزاً وكهفاً فألحقك الله عزوجل بنبيك محمد ﷺ، ولاحرمنا أجرك، ولاأضلنا بعدك، فسكت الناس حتى قضى كلامه، ثم بكوا حتى علت أصواتهم وقالوا: صدقت(1) وجاء في رواية: إن علياً قال عندما دخل على أبي بكر بعدما سُجِّي أنه قال: ماأحد ألقى الله بصحيفته أحب إليّ من هذا المُسَجَّى(2) هذا وقد توفي الصديق رحمه الله وهو ابن ثلاث وستين سنة ... مجمع على ذلك في الروايات كلها، استوفى سن رسول الله، وغسلته زوجه أسماء بنت عميس، وكان قد أوصى بذلك(3)، ودفن جانب رسول الله، وقد جعل رأسه عند كتفي رسول الله(4)، وصلى عليه خليفته عمر بن الخطاب، ونزل قبره عمر وعثمان وطلحة وابنه عبدالرحمن، وألصق اللحد بقبر رسول الله ﷺ(5).

وهكذا خرج أبو بكر الصديق من هذه الدنيا بعد جهاد عظيم في سبيل نشر دين الله في الآفاق، وستظل الحضارة الإنسانية مدينة لهذا الشيخ الجليل الذي حمل لواء دعوة الرسول بعد وفاته وحمى غرسه عليه الصلاة والسلام، وقام برعاية بذور العدل والحرية، وسقاها أزكى دماء الشهداء، فأتت من كل الثمرات عطاء جزيلاً، حقق عبر التاريخ تقدماً عظيماً في العلوم والثقافة والفكر، وستظل الحضارة مدينة للصديق لأنه بجهاده الرائع، وبصبره العظيم حمى الله به دين الإسلام في ثباته في الردة ونشر الله به الإسلام في الأمم والدول والشعوب بحركة الفتوحات العظيمة التي لم يشهد لها التاريخ مثيل وأختم هذا

---

(1) التبصرة لابن الجوزي (477/1-479) نقلاً عن أصحاب الرسول (108/1).

(2) تاريخ الاسلام للذهبي ، عهد الخلفاء الراشدين، ص120.

(3) الطبقات لابن سعد (203/3،204) وإسناده صحيح.

(4) تاريخ الاسلام للذهبي، عهد الخلفاء الراشدين، ص120.

(5) أصحاب رسول الله (106/1).

الكتاب بقول أبي محمد عبدالله القحطاني الأندلسي:

قل إن خير الانبياء محمد
وأجلَّ من يَمشي على الكُثبان
وأجلَّ صَحْبِ الرُّسل صَحْب محمدٍ
وكذاك أفضل صحبه العمران(1)
رجلان قد خُلقا لنصر محمد
بدمي ونفسي ذانك الرجلان
فهما اللّذان تظاهرا لنبيِّنا
في نصره وهما له صهران
بنتاهما أسن نساء نبينا
وهما له بالوحي صاحبتان
أبواهما أسْنَى صحابة أحمد
ياحبَّذا الأبوان والبنتان
وهما وزيره اللَّذان هُما هما
لفضائل الأعمال مُستبِقانِ
وهما لأحمد ناظره وسمعه
وبقربه في القبر مُضطَجعَان
كانا على الإسلام اشفق أهله
وهما لدين محمد جَبَلانِ
أصفاهما أقواهُما أخشاهما
أتقاهما في السِّرِّ والإعلان
آسناهما أزكاهما أعلاهما
أوفاهما في الوزن والرُّجحان
صديق أحمد صاحب الغار الذي
هو في المغارة والنبيُّ اثنان
أعني أبا بكر الذي لم يختلف
من شرعنا في فضله رجلان

---

(1) أي: ابوبكر وعمر رضي الله عنهما.

هو شيخ أصحاب النبي وخيرهم
وامامهم حقًّا بلا بطلان
وأبو المطهرة التي تنزيهها
قد جاءنا في النور والفرقان(1)

(وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين)
(سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك وأتوب إليك)

الخلاصة

1-إن سيرة الخلفاء الراشدين وتاريخهم المجيد من أقوى مصادر الإيمان والعاطفة الإسلامية الصحيحة التي لاتزال هذه الأمة تقتبس منها شعلة الإيمان، وتحمل زاد الدعوة فتشعل أنوار الحق في

(1) نونية القحطاني، 22،21.

قلوب الناس حتى لاتنطفئ بريح الهدم التي يوجهها أعداء الأمة ضد دعوتها وتاريخها.

2-إن المسلمين -بل الإنسانية كلها- أشد ماكانوا اليوم حاجة إلى معرفة فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، وكرم معدنهم، وأثر تربية رسول الله فيهم وماكانوا عليه من علو المنزلة التي صاروا بها الجيل المثالي الفذ في تاريخ البشر.

3-لقد تعرّض التاريخ الإسلامي في عمومه وتاريخ صدر الإسلام على الخصوص للتزوير والتشكيك والتحريف، والبتر والزيادة، وسوء التأويل من الروافض والمستشرقين والنصارى واليهود والعلمانيين، ولذلك أصبح من الفروض الكفائية على الأمة تصحيح الحقائق، فعلى كل من يستطيع تصحيح تاريخ صدر الإسلام أن يعتبر ذلك من أفضل العبادات، وأن يبادر له ويجتهد فيه، مااستطاع حتى يكون أمام أبناء الأمة مثال صالح من سلفهم يقتدون به ويجددون عهده، ويصلحون من سيرتهم بالسير على منهجهم.

4-إن سيرة الصديق مليئة بالدروس والعبر، فهو أعظم شخصية في الإسلام بعد النبي ﷺ، فقد كان هذا الصحابي الجليل قد اتصف بمكارم الأخلاق، والصفات الحميدة، منذ الجاهلية، فلم يعرف عنه أنه سجد لصنم، أو شرب الخمر،.

5-كان الصديق ◀ عالماً بالأنساب وكانت له مزية حببته إلى قلوب العرب وهي أنه لم يكن يعيب الأنساب، ولايذكر المثالب بخلاف غيره، فقد كان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بها، وبما فيها من خير وشر، وقد اشتهر بالتجارة، وكان ينفق من ماله بسخاء وكرم عرف به في الجاهلية.

6-كان أبو بكر كنزاً من الكنوز ادخره الله تعالى لنبيه وكان من أحب قريش لقريش، فذلك الخلق السمح الذي وهبه الله إياه جعله من الموطئين أكنافاً من الذين يألفون ويؤلفون.

7-كان تحرك الصديق ◀ في الدعوة إلى الله يوضح صورة من صور الإيمان بهذا الدين، والاستجابة لله ورسوله صورة المؤمن الذي لايقر له قرار، ولايهدأ له بال، حتى يحقق في دنيا الناس ماآمن به.

8-تعرّض الصديق للإبتلاء، فقد أوذي أبو بكر الصديق وحُثي على رأسه التراب، وضرب في المسجد الحرام بالنعال، حتى مايعرف وجهه من أنفه، وحمل إلى بيته.

9-من صفات الصديق التي تميز بها: الجرأة والشجاعة، فقد كان لايهاب أحداً في الحق، ولاتأخذه لومة لائم في نصرة دين الله والعمل له والدفاع عن رسوله ﷺ.

10-ساهم الصديق في سياسة فك رقاب المسلمين المعذبين واصبح هذا المنهج من ضمن الخطة التي تبنتها القيادة الإسلامية لمقاومة التعذيب الذي نزل بالمستضعفين فدّعم الدعوة بالمال والرجال والأفراد فراح يشتري العبيد والإماء المملوكين من المؤمنين والمؤمنات وأعتقهم لوجه الله.

11-استخدم الصديق ◀ علم الأنساب كوسيلة من وسائل الدعوة ولذلك كان مرافقاً لرسول

الله أثناء دعوته للقبائل في أسواق العرب في المواسم.

12-رافق الصديق ◀ رسول الله في هجرته إلى المدينة فكان الساعد الأيمن لرسول الله منذ بزوغ الدعوة حتى وفاته ⇨، فكان ◀ ينهل بصمت وعمق من ينابيع النبوة: حكمة وإيماناً، ويقيناً، وعزيمة، وتقوى وإخلاصاً، فأثمرت هذه الصحبة، صلاحاً وصدِّيقية، ذكراً ويقظة حُباً وصفاء عزيمة وتصميماً، إخلاصاً وفهماً، فوقف مواقفه المشهودة بعد وفاة رسول الله ⇨ في سقيفة بني ساعدة وغيرها من المواقف كبعث جيش أسامة، وحروب الردة، فأصلح مافسد وبني ماهُدم، وجمع ماتفرق، وقوّم ماانحرف.

13-شهد أبو بكر مع النبي ⇨ المشاهد كلها، ولم يفته منها مشهد، وثبت مع رسول الله يوم أحد حين انهزم الناس، ودفع إليه النبي ⇨ رايته العظمى يوم تبوك وكانت سوداء.

14-كانت حياة الصديق في المجتمع المدني مليئة بالدروس والعبر وتركت لنا نموذجاً حياً لفهم الإسلام وتطبيقه في دنيا الناس، وقد تميزت شخصية الصديق بصفات عظيمة ومدحه رسول الله في أحاديث كثيرة وبين فضله وتقدمه على كثير من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

15-كان إيمان الصديق بالله عظيماً، فقد فهم حقيقة الإيمان، وتغلغلت كلمة التوحيد في نفسه وقلبه وانعكست آثارها على جوارحه وعاش بتلك الآثار في حياته، فتحلى بالأخلاق الرفيعة وتطهر من الأخلاق الوضيعة وحرص على التمسك بشرع الله والاقتداء بهديه ⇨، وكان إيمانه بالله باعثاً له على الحركة والهمة والنشاط، والسعي والجهد والمجاهدة، والجهاد والتربية، والاستعلاء والعزة، وكان في قلبه من اليقين والإيمان شيء عظيم لايساويه فيه أحد من الصحابة.

16-كان الصديق من أعلم الناس بالله وأخوفهم له، وقد اتفق أهل السنة على أن أبا بكر أعلم الأمة، وحكي الإجماع على ذلك غير واحد، وسبب تقدمه على كل الصحابة في العلم والفضل ملازمته للنبي ⇨، فقد كان أدوم إجتماعاً به ليلاً ونهاراً، وسفراً وحضراً، وكان يسمر عند النبي ⇨ بعد العشاء، يتحدث معه في أمور المسلمين، وقد استعمله النبي ⇨ على أول حجة حجت من مدينة النبي ⇨ وعلم المناسك أدق مافي العبادات، ولولا سعت علمه لم يستعمله، وكذلك الصلاة استخلفه عليها ولولا علمه لم يستخلفه ولم يستخلف غيره لافي حج ولافي صلاة، وكتاب الصدقة التي فرضها رسول الله أخذه أنس من أبي بكر وهو أصح ماروي فيها، وعليه اعتمد الفقهاء وغيرهم في كتابة ماهو متقدم منسوخ، فدل على أنه أعلم بالسنة الناسخة، ولم يحفظ له قول يخالف فيه نصاً، وهذا يدل على غاية البراعة والعلم.

17-لما مات رسول الله ⇨ اضطرب الناس، فثبت الله الأمة بالصديق، فوقف موقفه العظيم وقال: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لايموت، وظهر موقفه العظيم في سقيفة بني ساعدة حيث استطاع أن يقنع الأنصار بما رآه هو الحق من غير أن يعرّض

المسلمين للفتنة فأثنى على الأنصار ببيان فضلهم من الكتاب والسنة، والثناء.

18-بايع سعد بن عبادة الصديق بالخلافة في أعقاب النقاش الذي دار في سقيفة بني ساعدة إذ أنه نزل عن مقامه الأول في دعوى الإمارة وأذعن للصديق بالخلافة، وكان ابن عمه بشير بن سعد الأنصاري أول من بايع الصديق بالخلافة في اجتماع السقيفة ولم يثبت النقل الصحيح أية أزمات لابسيطة ولاخطيرة، ولم يثبت أي انقسام أو فرق لكل منها مرشح يطمع في الخلافة كما زعم بعض كتاب التاريخ، ولكن الأخوة الإسلامية ظلت كما هي، بل ازدادت توثقاً كما يثبت النقل الصحيح.

19-وردت آيات كريمة وأحاديث نبوية شريفة أشارت إلى خلافة الصديق وأجمع أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً على أن أحق الناس بالخلافة بعد النبي ﷺ أبو بكر الصديق لفضله وسابقته ولتقديم النبي ﷺ إياه في الصلوات على جميع الصحابة وقد فهم أصحاب النبي ﷺ مراد المصطفى عليه الصلاة والسلام من تقديمه في الصلاة فأجمعوا على تقديمه في الخلافة.

20-الخلافة الإسلامية هي المنهج الذي اختارته الأمة الإسلامية وأجمعت عليه طريقة وأسلوباً للحكم، تنظم من خلاله أمورها وترعى مصالحها، وقد ارتبطت نشأة الخلافة بحاجة الأمة لها واقتناعها بها، ومن ثم كان إسراع المسلمين في اختيار خليفة لرسول الله ﷺ، فالخلافة هي نظام حكم المسلمين وقد استمدت أصولها من دستور المسلمين، من القرآن الكريم ومن سنة النبي ﷺ، وقد تحدث الفقهاء عن أسس الخلافة الإسلامية فقالوا بالشورى والبيعة وهما أصلان قد أشير إليهما في القرآن الكريم.

21-تحدث العلامة أبو الحسن الندوي عن شروط خلافة النبي، ومتطلباتها، وقد أثبت بالأدلة والحجج من خلال سيرة الصديق بأن أبا بكر كانت شروط خلافة النبي متحققة فيه.

22-بعد البيعة العامة للصديق ألقى خطبة على الأمة، تعتبر من عيون الخطب الإسلامية على إيجازها فقد بين فيها منهجه لقيادة الدولة، وقرّر فيها قواعد العدل والرحمة في التعامل بين الحاكم والمحكوم وركز على أن طاعة ولي الأمر مترتبة على طاعة الله ورسوله، ونص على الجهاد في سبيل الله لأهميته في إعزاز الأمة، وعلى اجتناب الفاحشة لأهمية ذلك في حماية المجتمع من الانهيار والفساد.

23-أراد الصديق رضي الله عنه أن ينفذ السياسة التي رسمها لدولته واتخذ من الصحابة الكرام أعواناً يساعدونه على ذلك فجعل أبا عبيدة بن الجراح أمين هذه الأمة (وزير المالية) فأسند إليه شؤون بيت المال، وتولى عمر بن الخطاب القضاء (وزارة العدل) وباشر الصديق القضاء بنفسه أيضا، وتولى زيد بن ثابت الكتابة (وزير البريد والمواصلات) وأحياناً يكتب له من يكون حاضراً من الصحابة كعلي بن أبي طالب، أو عثمان بن عفان رضي الله عنهم وأطلق المسلمون على الصديق لقب خليفة رسول الله، ورأى الصحابة ضرورة تفريغ الصديق لمنصب الخلافة وتكفلت الأمة بنفقاته الخاصة.

24-عاش الصديق بين المسلمين كخليفة لرسول الله، فكان لايترك فرصة تمر إلا علم الناس وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، فكانت مواقفه تشع على من حوله من الرعية بالهدى والإيمان والأخلاق.

25-يعتبر عهد الصديق بداية العهد الراشدي الذي تتجلى أهميته بصلته بالعهد النبوي وقربه منه، فكان العهد الراشدي عامة والجانب القضائي خاصة، امتداداً للقضاء في العهد النبوي مع المحافظة الكاملة والتامة على جميع ماثبت في العهد النبوي، وتطبيقه بحذافيره وتنفيذه بنصه ومعناه.

26-كان أبو بكر يستعمل الولاة في البلدان المختلفة ويعهد إليهم بالولاية العامة في الإدارة والحكم والإمامة، وجباية الصدقات، وسائر أنواع الولايات، وكان ينظر إلى حسن اختيار الرسول للأمراء والولاة على البلدان فيقتدي به في هذا العمل، ولهذا نجده قد أقر جميع عمال الرسول الذين توفي الرسول وهم على ولايتهم، ولم يعزل أحداً منهم إلا ليعينه في مكان آخر أكثر أهمية من موقعه الأول ويرضاه كما حدث لعمرو بن العاص، وكانت مسؤوليات الولاة في عهد أبي بكر الصديق بالدرجة الأولى امتداداً لصلاحيتهم في عصر الرسول ﷺ خصوصاً الولاة الذين سبق تعيينهم أيام الرسول ﷺ.

27-وردت أخبار كثيرة في شأن تأخر علي على مبايعة الصديق رضي الله عنهما وكذا تأخر الزبير بن العوام وجُلّ هذه الأخبار ليس بصحيح إلا ماورواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن عليا والزبير ومن كان معهما تخلفوا في بيت فاطمة بنت رسول الله، فقد كان انشغال جماعة من المهاجرين وعلى رأسهم علي بن أبي طالب بأمر جهاز رسول الله من تغسيل، وتكفين وقد بايع الزبير بن العوام وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما أبا بكر في اليوم التالي لوفاة الرسول، وهو يوم الثلاثاء.

28-عندما سئل الصديق عن ميراث رسول الله قال للسيدة فاطمة والعباس عم النبي ﷺ سمعت رسول الله يقول: لانورث ماتركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال وفي رواية قال أبو بكر ◄ ... لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، فإني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ، ومن الثابت تاريخياً أن أبا بكر دام أيام خلافته يعطي أهل البيت حقهم في فئ رسول الله في المدينة، ومن أموال فدك وخمس خيبر، إلا أنه لم ينفذ فيها أحكام الميراث، عملاً بما سمعه من رسول الله.

29-بين الصديق في خطبته ◄ طبيعة خليفة رسول الله وأنه ليس خليفة عن الله، بل عن رسوله ﷺ، وأنه بشر غير معصوم لايطيق ماكان رسول الله ﷺ بنبوته ورسالته، فهو في سياسته متبع وليس بمبتدع.

30-من الدروس والعبر في بعث جيش أسامة ◄، أن الأحوال تتغير وتتبدل والشدائد لاتشغل أهل الإيمان عن أمر الدين، والمسيرة الدعوية لاترتبط بأحد، ووجوب اتباع النبي ﷺ، وحدوث الخلاف بين المؤمنين وردّه إلى الكتاب والسنة، وجعل الدعوة مقرونة بالعمل ومكانة الشباب في خدمة الإسلام، وروعة الآداب الإسلامية في الجهاد، وتحقيق جيش أسامة لأهدافه، فقد ضعفت جبهة الردة في الشمال وأصبحت من أضعف الجبهات.

31-إن الردة التي قامت بها القبائل العربية بعد وفاة رسول الله لها أسباب منها، هول الصدمة

بموت رسول الله، ورقة الدين والسقم في فهم نصوصه، والحنين إلى الجاهلية، ومقارفة موبقاتها، والتفلت من النظام والخروج على السلطة الشرعية، والعصبية القبلية، والطمع في الملك، والتكسب بالدين والشح بالمال، والتحاسد، والمؤثرات الأجنبية، كدور اليهود والنصارى والمجوس.

32-وأما أصناف الردة، فمنهم من ترك الإسلام جملة وتفصيلاً، وعاد إلى الوثنية، وعبادة الأصنام، ومنهم من ادعى النبوة، ومنهم من عاد إلى ترك الصلاة، ومنهم من بقي يعترف بالإسلام ويقيم الصلاة، ولكنه امتنع عن أداء الزكاة، ومنهم من شمت بموت الرسول وعاد أدراجه يمارس عاداته الجاهلية، ومنهم من تحير وتردد وانتظر على من تكون الدبرة وكل ذلك وضحه علماء الفقه والسير.

33-كان موقف الصديق ◀ من المرتدين لاهوادة فيه ولامساومة فيه ولاتنازل، يرجع إليه الفضل الأكبر-بعد الله تعالى- في سلامة هذا الدين وبقائه على نقائه وصفائه وأصالته، وقد أقر الجميع وشهد التاريخ بأن أبا بكر قد وقف في مواجهة الردة الطاغية ومحاولة نقض عرى الإسلام عروة عروة، موقف الانبياء والرسل في عصورهم، وهذه خلافة النبوة التي أدى أبو بكر حقّها واستحق بها ثناء المسلمين ودعاءهم إلى أن يرث الله الأرض وأهلها.

34-إن من الحقائق الأساسية حول هذه الفتنة أنها لم تكن شاملة لكل الناس كشمولها الجغرافي، بل إن هناك قادة وقبائل وافراد وجماعات وأفراد تمسكوا بدينهم في كل منطقة.

35-في حروب الردة باليمن ظهرت صورتان مختلفتان للنساء، صورة المرأة الطاهرة العفيفة التي تقف مع الإسلام وتحارب الرذيلة وتقف مع المسلمين لكبح جماح شياطين الإنس والجن، مثل (آزاد) الفارسية زوج شهر بن باذان، وابنة عم فيروز الفارسي، وصورة أخرى كالحة مظلمة وهي ماقامت به بعض بنات اليمن من يهود ومن لف لفهم في حضرموت، فقد طرن فرحاً بموت رسول الله، فأقمن الليالي الحمراء مع المجان والفساق، يشجعن على الرذيلة ويزرين بالفضيلة، فقد رقص الشيطان فيها معهنّ وأتباعه طربا لنكوص الناس عن الإسلام والدعوة إلى التمرد عليه وحرب أهله.

36-كان بعض أهل اليمن لهم مواقف عظيمة في الثبات على الحق والدعوة إلى الإسلام وتحذير قومهم من خطورة الردة، ومن هؤلاء كان مران بن ذي عمير الهمداني أحد ملوك اليمن، وعبدالله بن مالك الأرحبي وكان من أصحاب النبي ﷺ وشرحبيل بن السِّمط وابنه في بني معاوية من كندة.

37-بعد حروب الردة تجمعت اليمن تحت قيادة مركزية عاصمتها المدينة المنورة، وقسم اليمن إلى أقسام إدارية لاوحدات قبلية، فقد قسم إلى ثلاثة أقسام إدارية، صنعاء والجند وحضرموت، ولم تعد العصبية القبلية أساساً في الزعامة أو في التولية ولم تعد القبلية سوى وحدة عسكرية لاسياسية، وأصبحت المقاييس المعتبرة هي المقاييس الإيمانية، التقوى والإخلاص والعمل الصالح.

38-كان لهزيمة طليحة الأسدي في معركة بزاخه أثر كبير في رجوع كثير من القبائل إلى حظيرة الإسلام، فقد أقبلت بنو عامر بعد هزيمة بزاخة يقولون: ندخل فيما خرجنا منه فبايعهم خالد على

مابايع عليه أهل بزاخة من أسد وغطفان وطيئ.

39-إن مقتل مالك بن نويرة بسبب كبره وتردده، فقد بقى للجاهلية في نفسه نصيب ولذلك ماطل في التبعية للقائم بأمر الإسلام بعد رسول الله، وفي تأدية حق بيت مال المسلمين عليه، المتمثل بالزكاة.

40-قام الصديق بالتحقيق في مقتل ابن نويرة وانتهى إلى براءة ساحة خالد من تهمة قتل مالك بن نويرة، فقد كان الصديق في هذا الشأن أكثر إطلاعاً على حقائق الأمور، وابعد نظراً في تصريفها من بقية الصحابة، لأنه الخليفة وإليه تصل الأخبار.

41-إن من كمال الصديق توليته لخالد واستعانته به، لأنه كان شديداً ليعتدل به أمره، ويخلط الشدة باللين، فإن مجرد اللين يفسد، ومجرد الشدة تفسد، فكان يقوم باستشارة عمر وباستنابة خالد وهذا من كماله الذي صار به خليفة رسول الله.

42-كان للمثنى بن حارثة دور كبير في إخماد فتنة البحرين والوقوف بقواته بجانب العلاء الحضرمي، وقد سار بجنوده من البحرين شمالاً ووضع يده على القطيف وهجر حتى بلغ مصب دجلة وقضى في سيره على قوات الفرس وعمالهم وقد كانت أخباره تصل إلى الصديق، وسأل عنه أصحابه فقال له قيس بن عاصم المنقري: هذا رجل غير خامل الذكر ولامجهول النسب ولاذليل العماد هذا المثنى بن حارثة الشيباني.

44-تعتبر هزيمة بني حنيفة في اليمامة أمام جيوش خالد قاصمة الظهر لحركة الردة، وكان من ضمن شهداء المسلمين في حرب اليمامة كثير من حفظة القرآن وقد نتج عن ذلك أن قام أبو بكر ◀ بمشورة عمر بن الخطاب ◀ بجمع القرآن من الرقاع والعظام والسعف ومن صدور الرجال، وأسند الصديق هذا العمل العظيم والمشروع الحضاري الضخم إلى الصحابي الجليل زيد بن ثابت الأنصاري ◀.

45-تحققت شروط التمكين ولوازمه كلها في عهد الصديق والخلفاء الراشدين من بعده وكان للصديق الفضل بعد الله في تذكير الأمة بهذه الشروط ولذلك رفض طلب الأعراب في وضع الزكاة عنهم، وأصّر على بعث جيش أسامة، والتزم بالشرع كاملاً ولم يتنازل عن صغيرة ولاكبيرة.

46-كان إعداد الصديق في حروب الردة شاملاً معنوياً ومادياً، فجيش الجيوش، وعقد الألوية، واختار القادة لحروب الردة، وراسل المرتدين، وحرّض الصحابة على قتالهم وجمع السلاح والخيل والإبل وجهز الغزاة، وحارب البدع، والجهل، والهوى، وحكّم الشريعة وأخذ بأصول الوحدة والاتحاد والاجتماع، وأخذ بمبدأ التفرغ وساهم في إحياء مبدأ التخصص، فخالد لقيادة الجيوش، وزيد بن ثابت لجمع القرآن، وأبو برزة الأسلمي للمراسلات الحربية واهتم بالجانب الأمني والإعلامي، وغير ذلك من الأسباب.

47-تظهر آثار تحكيم شرع الله في عصر الصديق في تمكين الله للصحابة، فقد حرصوا على إقامة شعائر الله على أنفسهم وأهليهم وأخلصوا لله في تحاكمهم إلى شرعه، فالله سبحانه وتعالى قواهم وشد أزرهم ونصرهم على المرتدين، ورزقهم الأمن والاستقرار.

48-كان الجهاد الذي خاضه الصحابة في حروب الردة إعداداً ربانياً للفتوحات الإسلامية حيث تميزت الرايات وظهرت القدرات، وتفجرت الطاقات، واكتشفت قيادات ميدانية وتفنن القادة في الأساليب والخطط الحربية، وبرزت مؤهلات الجندية الصادقة المطيعة المنضبطة الواعية التي تقاتل وهي تعلم على ماذا تقاتل، وتقدم كل شيء وهي تعلم من أجل ماذا تضحي وتبذل، ولذا كان الأداء فائقاً والتفاني عظيماً.

49-توحدت شبه الجزيرة العربية -بفضل الله- ثم جهاد الصحابة مع الصديق -تحت راية الإسلام لأول مرة في تاريخها بزوال الرؤوس أو انتظامها ضمن المد الإسلامي، وبسطت عاصمة الإسلام -المدينة- هيمنتها على ربوع الجزيرة وأصبحت الأمة تسير وراء زعيم واحد بمبدأ واحد، بفكرة واحدة، فكان الانتصار انتصاراً للدعوة الإسلامية ولوحدة الأمة بتضامنها وتغلبها على عوامل التفكك والعصبية كما كانت برهاناً على أن الدولة الإسلامية بقيادة الصديق قادرة على التغلب على أعنف الأزمات.

50- اثبتت أحداث التاريخ أن أية محاولة للتمرد على دين الاسلام سواء أقام بها فرد أم جماعة، أم دولة إنما هي محاولة يائسة مآلها الإخفاق الذريع والخيبة الشنيعة، لأن التمرد، إنما هو تمرد على أمر الله المتمثل بكتابه الذي تكفل بحفظه، وحفظ جماعة تلتف حوله، وتقيمه في نفوسها وواقعها مدى الدهر، وبحكمه القاضي بالعاقبة للمتقين، وبالمن على المستضعفين أن يديل لهم من الظالمين.

51- ماإن انتهت حروب الردة واستقرت الأمور في الجزيرة العربية التي كانت ميداناً لها حتى شرع الصديق في تنفيذ خطة الفتوحات التي وضع معالمها رسول الله ﷺ، فجيش الجيوش لفتح العراق والشام.

52- إن الأوامر التي وجهها الصديق الى قادة فتوح العراق (خالد وعياض) تشير الى الحس الاستراتيجي المتقدم الذي كان يملكه الصديق ◄، فقد أعطى جملة تعليمات عسكرية استراتيجية منها وتكتيكية، فحدد لكل من القائدين المسلمين جغرافياً، منطقة للدخول الى العراق، كأنما هو يمارس القيادة من غرفة العلميات بالحجاز، وقد بسطت أمامه خارطة العراق بكل تضاريسها ومسالكها.

53- خاض خالد في العراق عدة معارك كانت السبب في فتح العراق، كمعركة ذات السلاسل، ومعركة المذار، الولجة، أليس، فتح الحيرة، الأنبار، عين التمر، دومة الجندل، وقعة الحصيد، وقعة المصيخ، وقعة الفراض.

54- عزم الصديق على فتح الشام فستشار كبار الصحابة ثم استنفر أهل اليمن للجهاد وعقد

الألوية للقادة وأرسل أربعة جيوش لبلاد الشام وكان قادة الجيوش كل من ، يزيد بن أبي سفيان ، أبي عبيدة بن الجراح، عمرو بن العاص، شرحبيل بن حسنة.

55- كانت الجيوش المكلفة بفتح الشام تلاقي صعوبة في تنفيذ المهمات الموكلة إليها، فقد كانت تواجه جيوش الامبراطورية الرومانية التي تمتاز بقوتها وكثرة عددها فراسلوا الصديق وأعلموه بوضعهم الحرج، فأمر الصديق الجيوش بالإنسحاب الى اليرموك والتجمع هناك، وأمر خالد بالسير بنصف جيش العراق نحو جبهات الشام وأمره بقيادة الجيوش هناك.

56- استطاع خالد بن الوليد أن يحقق انتصارات عظيمة على جيوش الشام من أهمها معركة اجنادين واليرموك.

57- يمكن للباحث أن يستنبط أهم معالم السياسة الخارجية في دولة الصديق وهي، بذر هيبة الدولة في نفوس الأمم الأخرى، مواصلة الجهاد الذي أمر به الرسول ﷺ ، العدل بين الأمم المفتوحة والرفق بأهلها، رفع الإكراه عن الأمم المفتوحة، وإزالة الحواجز البشري بينهم وبين الاسلام.

58- إن المطالع للفتوحات في عهد الصديق ◄ يمكن له أن يستنتج خطوط رئيسية للخطة الحربية التي سار عليها، وكيف تعامل هذا الخليفة العظيم مع سنّة الأخذ بالأسباب؟ وكيف كانت هذه الخطة المحكمة عاملاً من عوامل نزول النصر والتمكين من الله عز وجل للمسلمين ومن هذه الخطوط مايلي: عدم الإيغال في بلاد العدو حتى تدين للمسلمين، التعبئة وحشد القوات، تنظيم عملية الإمداد للجيوش، تحديد الهدف من الحرب، إعطاء الأفضلية لمسارح العمليات، عزل ميدان المعركة، التطور في أساليب القتال، سلامة خطوط الاتصال مع القادة، ذكاء الخليفة وفطنته.

59- بين الصديق في توجيهاته للقادة والجنود حقوق الله تعالى، كمصابرة العدو، وأخلاص قتالهم لله، وأداء الأمانة، وعدم المماالئة والمحاباة في نصر دين الله، ووضع حقوق القادة على الجنود والرعية، كالتزام طاعته، والمسارعة الى امتثال أمره، وعدم مسارعته في شيء من قسمة الغنائم وغير ذلك من الحقوق وفصل الصديق ◄ من خلال وصاياه ورسائله في حقوق الجند، كستعراضهم، وتفقد أحوالهم، والرفق بهم في السير، وأن يقيم عليهم العرفاء والنقباء، واختيار مواضع نزولهم لمحاربة العدو، وإعداد مايحتاج إليه الجند من زاد وعلوفة، والتعرف على أخبار العدو بالجواسيس الثقات لسلامة الجند، وتحريضهم على الجهاد، وتذكريهم بثواب الله وفضل الشهادة، ومشاورة ذوي الرأي منهم، وأن يلزمهم بما أوجبه الله من حقوق، وأن ينهاهم عن الإشتغال عن الجهاد بزراعة أو تجارة، وكل هذه الحقوق قد استخرجت من رسائله ووصاياه للقادة.

60- إن المتأمل في حركة الفتح الاسلامي يرى توفيق الله تعالى لجيوش الخليفة أبي بكر ◄ ، فقد استطاعت تلك الجيوش المظفرة أن تكسر شوكة الرومان والفرس وفتح تلك الديار في وقت قياسي في تاريخ الحروب ومن أهم أسباب تلك الفتوح؛ إيمان المسلمين بالحق الذي يقاتلون من أجله، تأصل

الصفات الحربية في المسلمين، سماحة المسلمين وعدالتهم مع تلك الشعوب، رحمة المسلمين في تقدير الجزية والخراج ووفائهم بعهودهم، ثروة ا لمسلمين الواسعة من الرجال والقادة العظام، إحكام الخطة الاسلامية الحربية وغير ذلك من الأسباب.

61- عندما نزل المرض بالصديق وأشرف على الموت قام بعدة إجراءات عملية لتتم عملية اختيار الخليفة القادم وهي: استشار كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار، وبعد أن تم ترشيح الصديق لعمر ووافق معظم الصحابة على ذلك كتب عهداً مكتوباً يقرأ على الناس في المدينة وفي الأمصار، وأخبر عمر بن الخطاب بخطواته القادمة وعرّفه ماعزم عليه وألزمه بذلك، وابلغ الناس بلسانه وأعيا مدركاً حتى لايحصل أي لبس، وتوجه بالدعاء الى الله يناجيه ويبثه كوامن نفسه، وكلف عثمان بن عفان أن يتولى قراءة العهد على الناس وأخذ البيعة لعمر قبل موته، وقام بتوجيه الفاروق عندما اختلى به.

62- إن الخطوات التي سار عليها أبوبكر الصديق في اختيار خليفته من بعده لاتتجاوز الشورى بأي حال من الأحوال، وإن كانت الإجراءات المتبعة فيها غير الإجراءات المتبعة في تولية أبي بكر نفسه، وهكذا تم عقد الخلافة لعمر ◄ بالشورى والاتفاق ولم يرد التاريخ أي خلاف وقع حول خلافته بعد ذلك، ولا أن أحداً نهض طوال عهده لينازعه الأمر، بل كان هناك إجماع على خلافته وعلى طاعته في أثناء حكمه، فكان الجميع وحدة واحدة.

63- خرج أبوبكر الصديق من هذه الدنيا بعد جهاد عظيم في سبيل نشر دين الله في الآفاق وستظل الحضارة الانسانية مدينة لهذا الشيخ الجليل الذي حمل لواء دعوة الرسول ⇨ بعد وفاته وحمى غرسه عليه الصلاة والسلام، وقام برعاية بذور العدل والحرية وسقاها أزكى دماء الشهداء، فآتت من كل الثمرات عطاءً جزيلاً حقق عبر التاريخ تقدماً عظيماً في العلوم والثقافة والفكر، وستظل الحضارة مدينة للصديق، لأنه بجهاد الرائع، وبصبره العظيم حمى الله به دين الاسلام في ثباته في الردة ونشر اللله به الاسلام في الأمم والدول والشعوب بحركة الفتوحات العظيمة.

64- إن هذا المجهود المتواضع قابل للنقد والتوجيه وماهي إلا محاولة متواضعة هدفها معرفة حقيقة عصر الخلافة الراشدة لكي نستفيد منها في حركتنا المستمرة لتحكيم شرع الله ونشر دعوته في دنيا الناس وبيني وبين الناقد قول الشاعر:

إن تجد عيباً فسد الخللا

جلّ من لا عيب فيه وعلا

وأسأل الله العلي العظيم رب العرش الكريم أن يتقبل هذا الجهد قبولاً حسناً وأن يبارك فيه وأن يجعله من أعمالي الصالحة التي أتقرب بها إليه وأن لايحرمني ولا إخواني الذين أعانوني على أكماله من الأجر والمثوبة ورفقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}

(سورة الحشر، الاية:10) وبقول الشاعر ابن الوردي لابنه:

اطلب العلم ولا تكسل فما
أبعد الخير على أهل الكسل
احتفل للفقه في الدين ولا
تشتغل عنه بمال وَحَولْ
واهجر النوم وحَصِّله فمن
يعرف المطلوب يحقر مابذل
لاتقل قد ذهبت اربابه
كل من سار على الدرب وصلْ

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين)

المصادر والمراجع

1.أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ. د.ابراهيم علي شعوط المكتب الإسلامي، الطبعة السادسة، 1408هـ-1988م.
2.أبو بكر الصديق، أول الخلفاء الراشدين، محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ-1983م.
3. أبو بكر الصديق، افضل الصحابة وأحقهم بالخلافة، محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، دار القاسم، الطبعة الأولى، **1417هـ-1996**م.
4. أبو بكر الصديق، د. نزار الحديثي، د.خالد جاسم الجنابي، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، الطبعة الأولى، **1989**م.
5.أبو بكر الصديق، علي طنطاوي، دار المنارة، جدة السعودية، الطبعة الثالثة، 1406هـ-1986م.
6.أبو بكر الصديق، محمد مال الله، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الأولى، 1410هـ-1989م.
7.أبو بكر رجل الدولة، مجدي حمدي، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، 1415هـ.
8.الأحكام السلطانية لأبي الحسن الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت.
9. أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ، استخلاف ابو بكر الصديق، د. جمال عبدالهادي محمد مسعود، دكتور محمد رفعت جمعة، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى، **1406هـ-1986**م.
10.الأساس في السنة، سعيد حوى، دار السلام بمصر، الطبعة الأولى، 1409هـ-1989م.
11.أسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبي الحسن علي بن محمد الجزري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، 1417هـ-1996م.
12.أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة، رفيق العظم، دار الرائد العربي، بيروت-لبنان، الطبعة السادسة، **1403هـ-1983**م.

13.أصحاب الرسول، محمود المصري، مكتبة أبي حذيفة السلفي، الطبعة الأولى، 1420هـ-1999م.

1.أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي الشنقيطي، مطبعة المدني، 1386هـ.

15.أضواء على الهجرة، لتوفيق محمد سبع، مطبعة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1393هـ-1973م.

16.الأنصار في العصر الراشدي (سياسيا وعسكريا وفكريا) للدكتور حامد محمد خليفة، رسالة دكتوراه من كلية الآداب في جامعة بغداد لم تطبع من صورة مصورة.

17.الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري، ط، الجامعة الإسلامية، 1975م.

18.الإحسان في صحيح ابن حبان، علاء الدين علي بن بلبان الفارسي مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ-1991م.

19.الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية نشأتها وتطورها، الدكتور سليمان بن صالح بن سليمان آل كمال، جامعة أم القرى معهد البحوث وإحياء التراث، الطبعة الأولى، 1419هـ-1998م.

2.الإصابة في تمييز الصحابة، احمد بن علي بن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ-1995م.

21.الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، عبدالله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار طيبة السعودية، الطبعة الثانية، 1409هـ.

22.الإيمان وأثره في الحياة، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة العاشرة، 1405هـ-1984م.

23.الابعاد السياسية لمفهوم الأمن في الإسلام، مصطفى محمود منجود، المعهد العالي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، 1417هـ-1996م.

24.اتمام الوفاء في سيرة الخلفاء، محمد الخضري، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ-1996م.

25.احكام المرتد في الشريعة الإسلامية، نعمان عبدالرزاق السامرائي، دار العربية، 1968م.

26.الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر بن عبدالبر، دار الكتاب العربي، بيروت.

27.الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة لأبي بكر احمد بن الحسين البيهقي، الناشر، حديث أكاديمي نشاط آباد فيصل آباد، باكستان.

28.الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء لأبي الربيع سليمان الكلاعي الأندلسي، عالم الكتب بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ-1997م.

29.البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، دار الريان، القاهرة، الطبعة الأولى، 1408هـ-1988م.

30.تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر الطبري، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى،1407هـ-

1987م.
31.تاريخ الأنصار السياسي، د.عبدالمنعم الدسوقي، دار الخلفاء، مصر.
32.تاريخ الإسلام للذهبي، عهد الخلفاء الراشدين، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى،1407هـ-1987م.
33.التاريخ الإسلامي، الخلفاء الراشدون، محمود شاكر، المكتب الإسلامي، الطبعة الخامسة، 1411هـ-1990م.
34.التاريخ الإسلامي، مواقف وعبر، د. عبدالعزيز عبدالله الحميدي، دار الدعوة، الاسكندرية، دار الأندلس الخضراء جدة، الطبعة الأولى، 1418هـ-1998م.
35.تاريخ الخلافة الراشدة، محمد بن أحمدكنعان، مؤسسة المعارف، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1417هـ-1997م.
36.تاريخ الخلفاء، للإمام جلال الدين السيوطي، عُني بتحقيقه، إبراهيم صالح، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ-1997م.
37.تاريخ الدعوة إلى الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين، د. يسري محمد هاني، الطبعة الأولى، 1418هـ، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث.
38.تاريخ الدعوة الإسلامية في زمن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، د. جميل عبدالله المصري، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1407هـ-1987م.
39.التاريخ السياسي والعسكرين د. علي معطي، مؤسسة المعارف، بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ-1998م.
40.تاريخ القضاء في الإسلام، د.محمد الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1415هـ-1995م.
41.تاريخ اليعقوبي، دار بيروت للطباعة والنشر، طبعة 1400هـ-1980م.
42.تاريخ بغداد، أو مدينة السلام، لأبي بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
43.تاريخ صدر الإسلام وفجره، د.شحادة علي الناطور، 1995م.
44.تاريخ فتوح الشام، تحقيق عبدالمنعم عبدالله عامر، لأبي زكريا يزيد بن محمد الأزدي، مؤسسة القاهرة، 1970م.
45.التبيين في انساب القرشيين، لأبي محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، عالم الكتب، بيروت.
46.التحالف السياسي في الإسلام، منير الغضبان، دار السلام، الطبعة الثانية، 1408هـ-1988م.
47.تحفة الأحوذي بشرح الترمذي، عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباكفوري، دار الاتحاد العربي للطباعة، الطبعة الثانية، 1385هـ-1965م.
48.تراث الخلفاء الراشدين في الفقه الإسلامي، د. صبحي محمصاني، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، 1984م.

49.التربية القيادية، للغضبان، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى، 1418هـ-1998م.

50.ترتيب وتهذيب البداية والنهاية، خلافة أبي بكر الصديق، د.محمد بن صامل السُّلمي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، 1418هـ-1997م.

51.تفسير ابن كثير، دار الفكر للطباعة، بيروت، الطبعة الثانية، 1389هـ-1970م.

52.تفسير الآلوسي، المسمى روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للآلوسي(محمود الآلوسي البغدادي)، إدارة الطباعة المصطفائية بالهند، بدون ذكر سنة الطبع.

53.تفسير الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة.

54.تفسير القاسمي، المسمى محاسن التأويل، **محمد جمال الدين القاسمي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، 1398هـ-1978م.**

55.تفسير القرطبي، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري، القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1965م.

56.التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1411هـ-1991م.

5.التفوق والنجابة على نهج الصحابة، حمد بن بليه بن مرهان العجمي، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى.

5.التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم، محمد السيد محمد يوسف، دار السلام، مصر، الطبعة الأولى، 1418هـ-1997م.

59.تهذيب تاريخ دمشق الكبير، لابن عساكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407هـ-1987م.

6.الثابتون على الإسلام، أيام فتنة الردة، في عهد الخليفة ابي بكر الصديق، د. مهد رزق الله احمد، دار طيبة، الطبعة الأولى، 1417هـ-1996م.

61.جامع الأصول في أحاديث الرسول، ابو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق عبدالقادر الأرناؤط، طبع مكتبة الحلواني، سوريا، عام 1392هـ.

62.الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي، مكتبة المعارف بالرياض، 1403هـ-1983م.

6.الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، محمد خير هيكل، الطبعة الأولى، 1414هـ-1993م، دار البيارق، عمان.

64.الحجاز والدولة الإسلامية، د.ابراهيم بيضون، دار النهضة العربية، طبعة،1416هـ-1995م.

65.الحرب النفسية من منظور إسلامي، د. أحمد نوفل، دار الفرقان، عمان، طبعة عام 1407هـ-1987م.

66.حركة الردة، د. علي العتوم، مكتبة الرسالة الحديثة، عمّان، الطبعة الثانية،1997م.

67.الحركة السنوسية في ليبيا، علي محمد الصلاّبي، دار البيارق، عمان، طبعة أولى، 1999م.

68.حركة الفتح الإسلامي، شكري فيصل، دار العلم للملايين، الطبعة السادسة،1982م.

6.حروب الإسلام في الشام، محمد احمد باشميل، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1400هـ-1980م.

70.حروب الردة من قيادة النبي إلى أمرة أبي بكر، شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق.

71.حروب الردة وبناء الدولة الإسلامية، احمد سعيد بن سالم، دار المنار، 1415هـ-194م.

72.حروب الردة، محمد احمد باشميل، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1399هـ-1979م.

73.الحكم بغير ماأنزل الله، أحواله وأحكامه، د. عبدالرحمن بن صالح المحمود، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، 1420هـ-1999م.

74.حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت.

75.حياة أبي بكر، محمود شلبي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، عام 1979م.

76.خاتم النبيين لأبي زهرة، الطبعة الأولى، 1972م، دار الفكر، بيروت.

77.خالد بن الوليد، صادق ابراهيم عرجون، الدار السعودية، الطبعة الرابعة، 1407هـ-1987م.

78.الخراج لأبي يوسف، منشورات مكتبة الرياض الحديثة، بدون تاريخ طبع.

79.خطب أبي بكر الصديق، د. محمد أحمد عاشور، جمال عبدالمنعم الكومي، دار الاعتصام.

80.الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح الباري د. يحيى إبراهيم اليحيى، دار الهجرة، السعودية، الطبعة الأولى، 1417هـ-1996م.

81.الخلافة والخلفاء الراشدون بين الشورى والديمقراطية، سالم بهنساوي، مكتبة المنارالإسلامية، الكويت، الطبعة الثانية، 1418هـ-1997م.

8.الخلفاء الراشدون بين الاستخلاف والاستشهاد، صلاح عبدالفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، الدّار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، 1416هـ-1995م.

83.الخلفاء الراشدون، عبدالوهاب النجار، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى،1406هـ-1986م.

84.خلفاء الرسول، خالد محمد خالد، دار ثابت القاهرة، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1415هـ-1994م.

85.الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الإمام السيوطي، الناشر، محمد أمين دمج، بيروت-لبنان.

86.دراسات في الحضارة الإسلامية، احمد ابراهيم الشريف دار الفكر العربي.

87.دراسات في السيرة النبوية، عماد الدين خليل، الطبعة الحادية عشر، 1409هـ-1989م، بيروت.

88.دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، د.عبدالرحمن الشجاع، دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى، 1419هـ-1999م.

8.دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر احمد البيهقي، تحقيق عبدالمعطي قلعجي، الطبعة الأولى، 1405هـ، دار الكتب العلمية بيروت.

90.دواعي الفتوحات الإسلامية ودواعي المستشرقين، د.جميل عبدالله المصري، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى،1411هـ-1991م.
91.دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة، د. احمد ابراهيم الشريف، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، 1977م.
92.الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام، السيد عمر، الطبعة الأولى، 1417هـ-1996م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1417هـ-1996م.
93.الدولة العربية الإسلامية الأولى، عصام محمد سابور، دار النهضة العربية بيروت، الطبعة الثالثة، 1995م.
94.الدولة العربية الإسلامية، منصور الحرابي، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية الليبية، الطبعة الثانية، 1396هـ-1987م.
95.ديوان الردة، د. علي العتوم، مكتبة الرسالة الحديثة، عمّان، الطبعة الأولى، 1408هـ-1987م.
96.ديوان حساب بن ثابت، تحقيق وليد عرفات.
97.الرياض النظرة في مناقب العشرة، أبي جعفر احمد الشهير بالمحب الطبري، المتوفى 694هـ، المكتبة القيمة القاهرة.
98.سلسلة الأحاديث الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني، منشورات المكتب الإسلامي.
99.سنن أبي داود، سليمان السجستاني، تحقيق وتعليق عزت الدعاس، 1391هـ سوريا.
100.سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، دار الفكر، 1398هـ.
101.السياسة الشرعية بين الراعي والرعية، لشيخ الإسلام ابن تيمية.
102.سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة، 1410هـ-1990م.
103.السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، علي بن برهان الدين الحلبي، دار المعرفة.
104.السيرة النبوية عرض لوقائعها وتحليل لأحداثها، د.علي محمد الصلاّبي، لم تطبع بعد.
105.السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د.مهدي رزق الله احمد، الطبعة الأولى، 1412هـ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض.
106.السيرة النبوية لأبي شهبة، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، 1417هـ-1996م.
107.السيرة النبوية لابن هشام، دار احياء التراث، الطبعة الثانية، 1417هـ-1997م.
108.السيرة النبوية، دروس وعبر، د.مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة التاسعة، 1406هـ-1986م.
109.السيرة النبوية، لابن كثير، للإمام ابي الفداء اسماعيل، تحقيق، مصطفى عبدالواحد، الطبعة

الثانية، 1398هـ، دار الفكر بيروت.

110.سيرة وحياة الصديق، مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث بطنطا، الطبعة الأولى، 1417هـ-1996م.

111.الشورى بين الأصالة والمعاصرة، عز الدين التميمي، دار البشير، الطبعة الأولى، 1405هـ-1985م.

11.الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب برواية البلاذري في أنساب الأشراف، تحقيق د. إحسان صدقي العمد، المؤتمن للنشر، السعودية، الطبعة الثالثة، 1418هـ-1997م.

113.صحيح البخاري، لأبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1411هـ-1991م.

114.صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، 1408هـ-1988م، المكتب الإسلامي بيروت، لبنان.

11.صحيح السيرة النبوية، ابراهيم صالح العلي، دار النفائس، الطبعة الثالثة، 1408هـ-1998م.

116.الصحيح المسند من فضائل الصحابة، لأبي عبدالله مصطفى العدوي، دار ابن عفّان، السعودية، الطبعة الأولى، 1416هـ-1995م.

117.صحيح سنن ابن ماجة، لمحمد ناصر الدين الألباني، منشورات المكتب الإسلامي.

118.صحيح سنن ابي داود، لمحمد ناصر الدين الألباني، منشورات المكتب الإسلامي.

11.صحيح مسلم، بشرح النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى، 1347هـ-1929م.

120.صحيح مسلم، تحقيق، محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان الطبعة الثانية، 1972م.

121.الصديق أول الخلفاء، عبدالرحمن الشرقاوي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، 1410هـ-1990م.

122.الصديق، أبو بكر، محمد حسين هيكل، دار المعارف بمصر، ط،1971م.

123.صفة الصفوة، للإمام أبي الفرج ابن الجوزي، دار المعرفة، بيروت.

124.صفحات من تاريخ ليبيا الإسلامي، علي محمد الصلاّبي، دار البيارق، عمان، 1418هـ-1998م.

125.صور من جهاد الصحابة عمليات جهادية خاصة تنفذها مجموعات خاصة من الصحابة، د. صلاح عبدالفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1421هـ-2000م.

126.الطبقات الكبرى لابن سعد، دار صادر بيروت.

127.عبقرية الصديق، عباس محمود العقاد، المكتبة العصرية، بيروت.

128.عتيق العتقاء الإمام ابو بكر الصديق، محمود علي البغدادي، دار الندوة الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ-1994م.

129.العشرة المبشرون بالجنة، د. سيد الجميلي، دار الريان للتراث، بيروت، الطبعة الثانية، 1408هـ-1988م.

130.عصر الخلافة الراشدة، د.أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1414هـ-1994م.

131.عصر الخلفاء الراشدين، دكتورة فتحية عبدالفتاح النبراوي، الدار السعودية، الطبعة الثالثة، 1415هـ-1994م.

132.عصر الصحابة، عبدالمنعم الهاشمي، دار ابن كثير، الطبعة الثالثة، 1421هـ-2000م.

13.عقيدة اهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام، د.ناصر بن علي عائض حسن الشيخ، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى،1413هـ-1993م.

13.العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط، د.سليمان بن سالم بن رجاء السحيمي، مكتبة الإمام البخاري، الطبعة الأولى، 1420هـ-200م.

135.العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين، الرائد نهاد عباس شهاب الجبوري، دار الحرية، بغداد.

136.العواصم من القواصم، تحقيق محب الدين الخطيب، إعداد محمد سعيد مبيَّض، دار الثقافة، الدوحة، الطبعة الثانية، 1989م.

137.عيون الأخبار، لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1406هـ-1986م.

138.فتح الباري: المطبعة السلفية، الطبعة الثانية، 1401هـ.

139.فتوح البلدان، لأبي العباس احمد بن يحيى البلاذري، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، 1407هـ-1987م.

140.فتوح الشام، محمد بن عمر الواقدي، دار ابن خلدون.

14.فرائد الكلام للخلفاء الكرام، قاسم عاشور، دار طويق السعودية، الطبعة الأولى، 1419هـ-1998م.

142.الفصلل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد بن حزم الظاهري مكتبة الخانجي، مصر.

143.فضائل الصحابة، لأبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الثانية، 1420هـ-1999م.

14.فقه التمكين في القرآن الكريم، د. علي محمد الصلاّبي، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى، 1421هـ-2001م.

14.فقه الشورى والاستشارة، د. توفيق الشاوي، دار الوفاء بالمنصورة، الطبعة الثانية، 1413هـ-1992م.

146.الفن العسكري الإسلامي، د.ياسين سويد، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، لبنان، الطبعة الأولى، 1409هـ-1988م.

147.في التاريخ الإسلامي، د. شوقي ابو خليل، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الثانية، 1417هـ-1996م.

148.في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة التاسعة، 1400هـ-1980م.

14.قراءة سياسية للسيرة النبوية، محمد قلعجي، دار النفائس، الطبعة الأولى، 1416هـ-1996م، بيروت-لبنان.

150.قصة بعث جيش أسامة، د. فضل إلهي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الثانية، 420هـ-2000م.

151.القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ،د.عبدالله محمد الرشيد، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1410هـ-1990م.

15.الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي المكارم الشيباني المعروف بابن الأثير، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى 1408هـ-1989م.

15.كيف نكتب التاريخ الإسلامي، محمد قطب، دار الوطن، السعودية، الطبعة الأولى،1412هـ.

154.لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي.

15.مآثر الانافة في معالم الخلافة للقلقشندي، تحقيق عبدالستار أحمد الفرج، عالم الكتب، بيروت.

156.مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان، القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت.

15.مجموعة الفتاوي، تقي الدين أحمد بن تيمية الحرّابي، دار الوفاء، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، 1418هـ-1997م.

15.مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله، دار النفائس، الطبعة الخامسة، 1405هـ-1985م.

159.محمد رسول الله، محمد صادق عرجون، دار القلم، الطبعة الثانية، 1415هـ-1995م.

160.محنة المسلمين في العهد المكي، د.سليمان السويكت، مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الأولى، 1412هـ-1992م.

161.المرتضى، سيرة أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب لأبي الحسن الندوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، 1419هـ-1998م.

162.مرض النبي ووفاته وأثره على الأمة، خالد أبو صالح، دار الوطن، الطبعة الأولى، 1414هـ.

163.مروج الذهب ومعادن الجواهر، لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، دار المعرفة، بيروت، 1403هـ-1982م.

16.مرويات ابي مخنق في تاريخ الطبري، عصر الخلافة الراشدة د. يحيى ابراهيم اليحيى، دار العاصمة بالرياض الطبعة الأولى، 1410هـ.

165.المستدرك على الصحيحن، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1411هـ-1990م.

166.المستفاد من قصص القرآن، عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى،1418هـ-1997م.

167.المسلمون والروم في عصر النبوة، د.عبدالرحمن احمد سالم، دار الفكر العربي، طبعة 1418هـ-1997م.

168.معارك خالد بن الوليد ضد الفرس، عبدالجبار محمود السامرائي، الدار العربية للموسوعات، لبنان، الطبعة الأولى 1984م.

169.معارك خالد بن الوليد، د. ياسين سويد، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، الطبعة الرابعة، 1989م.

170.معجم البلدان ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، 1397هـ-1977م.

171.المعجم الكبير لأبي القاسم سليمان بن احمد الطبراني، 260هـ-360هـ دار مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثانية، 1406هـ-1985م.

172.المغازي، للواقدي، محمد بن عمر بن واقد، تحقيق مارسدن جوسن، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، 1404هـ-1984م.

173.مقدمة ابن خلدون.

17.مقومات النصر في ضوء القرآن والسنة، د.أحمد أبو الشباب المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ-1999م.

175.ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية، عدنان علي رضا النحوي، الطبعة الثانية، 1404هـ-1984م.

176.من دولة عمر إلى دولة عبدالملك، ابراهيم بيضون، دار النهضة العربية، بيروت، 1411هـ-1991م.

17.من معين السيرة، صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1413هـ-1992م.

178.منهاج السنة لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة.

179.منهج كتابة التاريخ الإسلامي، محمد صامل العلياني، دار طيبة، الطبعة الأولى، 1406هـ-1986م.

18.مواقف الصديق مع النبي في مكة، د. عاطف لماضة دار الصحابة، التراث بطنطا، مصر، الطبعة الأولى، 1413هـ-1993م.

181.مواقف الصديق، مع النبي في المدينة، د.عاطف لماضة، دار الصحابة للتراث، الطبعة الأولى، 1413هـ-1993م.

18.موسوعة التاريخ الإسلامي، د.أحمد شاكر، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة، الطبعة الثانية عشر، 1987.

183.موسوعة فقه أبي بكر الصديق، د.محمد رواس قلعجي، دار النفائس، الطبعة الثانية، 1415هـ-1994م.

184.موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف صالح عبدالله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الطبعة الأولى، 1418هـ-1998م، دار الوسيلة، جدة.

185.نسب قريش: ابو عبدالله مصعب بن عبدالله بن المصعب الزبيري، دار المعارف، القاهرة.
186.نظام الحكم في الإسلام، عارف أبو عيد، دار النفائس الأردن، الطبعة الأولى، 1416هـ-1996م.
187.نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، ظافر القاسمي، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407هـ-1987م.
188.نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين، حمد محمد العمد، المؤسسة الجماعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ-1994م.
189.نظام الحكومة النبوية، المسمى التراتيب الإدارية، محمد عبدالحي الكتاني الإدريسي الحسن الفاسي، شركة الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت.
190.نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم، محمد الطاهر بن عاشور.
191.النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، تحقيق طاهر احمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي.
192.نونية القحطاني، لأبي محمد عبدالله بن محمد الأندلسي القحطاني، دار السوادي، السعودية، الطبعة الثالثة. 1410هـ-1989م.
193.الهجرة النبوية المباركة، د.عبدالرحمن البر، دار الكلمة، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، 1418هـ-1997م.
194.الهجرة في القرآن الكريم، أحزمي سامعون جزولي، مكتبة الراشد، الرياض، الطبعة الأولى، 1417هـ-1996م.
195.الوحي وتبليغ الرسالة، د.يحيى اليحيى، أخذت من المؤلف صورة قبل الطبع.
196.وقائع ندوة النظم الإسلامية، أبو ظبي، 1405هـ-1984م.
197.ولاية الشرطة في الإسلام، العميد الدكتور نمر بن محمد الحميداني، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الثانية، 1414هـ-1994م.
198.الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، د. عبدالعزيز ابراهيم العمري، الطبعة الأولى، 1409هـ.
199.اليمن في صدر الإسلام، د.عبدالرحمن شجاع، دار الفكر، دمشق.

فهرس الكتاب

الموضوع

الموضوع

الموضوع

الموضوع

الموضوع

الموضوع

الموضوع

الموضوع

الموضوع

الموضوع